المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقة تعريفية بكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة المنافقون"

أولا ً: التعريف بالكتاب

· اسم الكتاب: المفاهيم القرآنية من سورة المنافقون
· موضوع الكتاب: تفسير تحليلي متكامل لسورة المنافقون، مع استخلاص المفاهيم القرآنية والرسائل النفسية والتربوية والفكرية والعملية من آياتها، وكشف حقيقة النفاق وأساليب المنافقين وخطورتهم على الأمة الإسلامية.
· طبيعة الكتاب: كتاب تفسيري تحليلي يجمع بين التفسير اللغوي والبياني، والتحليل النفسي والتربوي، والاستنباط الفكري والعقدي، مع ربط مباشر بالواقع العملي المعاصر.
· تأليف: أحمد عبد الرزاق مربوش العامري
· مراجعة وتدقيق: الأستاذ منير عبده عثمان الصلوى

ثانيا: محاور الكتاب ومحتواه

يتناول الكتاب تفسير سورة المنافقون آيةً آية، وفق المحاور التالية:

1. المقدمة التمهيدية: بيان سبب نزول السورة وصلتها بسورة الجمعة.
2. العلاقة بين الآيات: بيان الصلة والتناسب بين الآيات المتتالية.
3. الأفكار الرئيسية: استخلاص الأفكار المحورية التي تحملها كل آية.
4. الأهداف والمقاصد: بيان المراد الإلهي من كل آية.
5. التحليل اللغوي والبياني: دراسة دلالات الألفاظ والتراكيب واللمسات البلاغية.
6. الرسائل النفسية والتربوية والفكرية والعملية: استخلاص العبر والتوجيهات.
7. الوقفات التأملية: تطبيق عملي للآيات في الحياة اليومية.
8. الأبعاد والآفاق: تحليل الأبعاد الأمنية والاجتماعية والنفسية والعقدية والتاريخية.
9. المفاهيم والقيم: استخلاص المفاهيم الجوهرية للبناء والتنمية.
10. المهارات المستخلصة: تقديم مهارات حياتية ومعرفية وعملية.
11. التطبيقات العملية: كيفية تحويل النص إلى واقع ملموس.

ثالثا: منهجية الكتاب

يعتمد المؤلف منهجية تحليلية متكاملة تقوم على:

1. التفسير التكاملي: الجمع بين التفسير بالمأثور والدراسة اللغوية والتحليل الموضوعي.
2. التحليل النفسي والاجتماعي: دراسة شخصية المنافق ودوافعه النفسية وأساليبه في المجتمع.
3. التفكيك والتركيب: تقسيم الآية إلى وحدات دلالية، ثم إعادة تركيبها لفهم المعنى الكلي.
4. التطبيق العملي: الانتقال من النص المتلو إلى الواقع الملموس عبر أسئلة تأملية وخطوات عملية.
5. الاستنباط: استخراج المفاهيم والمهارات والقيم من النص القرآني.
6. الربط الموضوعي: ربط آيات السورة بعضها ببعض، وربطها بسورة الجمعة.

رابعا: أسلوب المؤلف وأهميته

أسلوب المؤلف:

· أسلوب تحليلي عميق، دقيق، يجمع بين العلمية والسهولة.
· استخدام لغة عربية واضحة مع شرح المصطلحات.
· الاعتماد على التكرار والتقسيم لتثبيت المعلومات.

· مخاطبة القارئ مباشرة بأسلوب تعليمي حواري.
· استخدام الأسئلة التأملية والوقفات العملية.

أهميته:

· يكشف عن جوانب خفية في النفاق لم تتطرق لها التفاسير التقليدية.
· يقدم رؤية شاملة تجمع بين العقيدة والنفس والتربية والمجتمع.
· يربط النص القرآني بالواقع المعاصر بشكل مبتكر.
· يزوّد القارئ بأدوات عملية لمواجهة النفاق في حياته.

خامساً: ما يتميز به الكتاب عن بقية التفاسير

الميزة التوضيح
التركيز على المفاهيم لا يقتصر على التفسير اللغوي بل يستخلص مفاهيم جوهرية.
التحليل النفسي يدرس شخصية المنافق ودوافعه النفسية بعمق.
الرسائل التربوية يقدم توجيهات تربوية للأفراد والأسر والمجتمعات.
التطبيق العملي يحوّل الآيات إلى خطوات عملية في الحياة اليومية.
المهارات الحياتية يستخرج مهارات معرفية وعملية من الآيات.
الأبعاد المتعددة يغطي الأبعاد الأمنية والاجتماعية والسياسية والعقدية.
ربط السور يبين العلاقة الوثيقة بين سورة المنافقون وسورة الجمعة.

سادساً: الجمهور المستهدف بالكتاب

.1طلاب العلم الشرعي الراغبون في فهم عميق لسورة المنافقون.
.2الدعاة والمربون الباحثون عن وسائل توعوية لمواجهة النفاق.
.3القادة والمصلحون المهتمون ببناء مجتمع واعٍ منيع ضد الاختراق.
.4المؤمنون عامة الراغبون في تحصين أنفسهم وأسرهم من خطر النفاق.
.5المهتمون بالتفسير الموضوعي والتحليلي للقرآن الكريم.
.6المشتغلون بعلم النفس الإسلامي والتربية الروحية.

سابعاً: أهداف المؤلف وأغراضه

.1كشف حقيقة النفاق وخطورته: بيان أن النفاق أخطر من الكفر المعلن.
.2فضح أساليب المنافقين: كشف شهاداتهم الكاذبة، وأيمانهم الجُنّة، واستكبارهم، ومخططاتهم الا قتصادية.
.3تحصين الأمة: توعية المؤمنين بعدم الانخداع بالمظاهر والأقوال المعسولة.
.4تربية اليقظة الأمنية: بناء مجتمع واعٍ يفرق بين الصادق والكاذب.
.5تعزيز العزة الإيمانية: تثبيت أن العزة الحقيقية لله ولرسوله وللمؤمنين.
.6تحفيز العمل الصالح: حث المؤمنين على اغتنام الوقت قبل حلول الأجل.
.7تقديم دستور حياة: استخلاص منهج عملي للتعامل مع المنافقين في كل زمان.

ثامناً: المفاهيم المستخلصة من الكتاب

المفاهيم العقدية:

· النفاق الاعتقادي) إظهار الإيمان وإبطان الكفر.(
· العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.
· حتمية الأجل وعدم التأجيل.

· علم الله المحيط بكل شيء) الخبير.(

المفاهيم النفسية:

· التناقض بين اللسان والقلب.
· الخوف والاضطراب النفسي عند المنافق.
· الجبن والمراوغة كصفات للنفاق.
· الغضب كاشف للمستور.

المفاهيم التربوية:

· التربية على عدم الانخداع بالمظاهر.
· أهمية الصدق والتواضع.
· اليقظة الأمنية والوعي الاجتماعي.
· اغتنام الوقت وعدم التسويف.

المفاهيم الاجتماعية:

· خطر العدو الداخلي.
· أهمية التمييز بين الصادق والكاذب.
· التضامن مع المظلومين والمستضعفين.
· رفض العصبية القبلية والجاهلية.

تاسعاً: لماذا يجب أن تقرأ الكتاب؟

.1لتعرف حقيقة النفاق: لا يقتصر النفاق على زمن النبي ﷺ، بل هو ظاهرة متجددة في كل عصر.
.2لتحصن نفسك وأسرتك: يزوّدك بمعايير التمييز بين الصادق والكاذب.
.3لتكتشف أساليب الخداع: يكشف عن أدوات المنافقين) الشهادات الكاذبة، الأيمان، الإطراء، التملق.(
.4لتتعلم كيفية التعامل: يقدّم منهجاً عملياً في التعامل مع المنافقين بحذر وحكمة.
.5لتستشعر العزة الإيمانية: يربط العزة بالله لا بالمال والجاه والنسب.
.6لتستعد للموت: يذكرك بحتمية الأجل ويدفعك للعمل الصالح قبل فوات الأوان.
.7لتكون قائداً بصيراً: يعلمك كيفية اختيار الأعوان وعدم الانخداع بالمظاهر.

عاشراً: مخرجات الكتاب

.1فهم عميق لسورة المنافقون وآياتها ومقاصدها.
.2القدرة على التمييز بين المؤمن الصادق والمنافق الكاذب.
.3امتلاك أدوات التحليل النفسي والاجتماعي للشخصيات.
.4استشعار عزة الإيمان والاستغناء بالله.
.5تطبيق عملي للآيات في الحياة اليومية.
.6اكتساب مهارات حياتية كالصبر، والتواضع، وضبط الغضب، وعدم التسويف.
.7بناء شخصية "المؤمن البصير" غير المنخدع بالمظاهر.
.8تربية الأبناء على اليقظة والصدق والثبات.
.9تحصين المجتمع من الاختراق الداخلي.
.10الاستعداد للموت بالتوبة والعمل الصالح.

الحادي عشر: أقوال مأثورة وردت بلسان المؤلف

"آية} إذا جاءك المنافقون {هي إعلان الحرب على النفاق."

"المنافقون كالخشب المسندة: جميلة المنظر، جافة المضمون، لا حياة فيها ولا حركة."

"العزة لله، ولرسوله، وللمؤمنين، وليست للقبيلة ولا للمال ولا للجاه."

"المبالغة في التوكيد قد تكون علامة على الكذب."

"المنافق يعيش في حالة خوف دائم، يظن أن كل صيحة موجهة ضده."

"الغضب يكشف المستور، فانظر ماذا يقول الإنسان عند غضبه لتعرف حقيقته."

"التجويغ سلاح الأعداء القديم المتجدد، وهو أشد فتكاً من السلاح المادي."

"لن يُؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها، فلا تؤخر التوبة ولا العمل الصالح."

"من أذل نفسه لله أعزه الله، ومن استكبر عن عبادته أذله الله."

"الصادق لا يحتاج إلى كثير من الأيمان والتوكيدات."

الخلاصة

يعد كتاب "المفاهيم القرآنية من سورة المنافقون" للمؤلف أحمد عبد الرزاق مربوش العامري، بإشراف ا لأستاذ منير عبده عثمان الصلوى، عملا ً تفسيرياً متميزاً يخرج عن النمط التقليدي لكتب التفسير . فهو يجمع بين التحليل اللغوي والبياني، والاستنباط النفسي والتربوي، والتطبيق العملي المباشر، في منهجية متكاملة تهدف إلى كشف حقيقة النفاق وأساليبه، وتحصين الأفراد والمجتمعات من خطره، وتربية المؤمنين على اليقظة والبصيرة، وتعزيز العزة الإيمانية، والاستعداد للقاء الله بالأعمال الصالحة قبل حلول الأجل المحتوم.

يتميز الكتاب بمعالجته للظاهرة النفاقية من جميع أبعادها، واستخلاصه لمفاهيم ومهارات حياتية عملية ، مما يجعله مرجعاً مهماً للدعاة والمربين والقادة وطلاب العلم، ولكل مسلم يريد أن يصون دينه ونفسه وأسرته من أخطر الآفات التي تهدد الأمم من الداخل.

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمه تمهيديه كمدخل لاستنباط المفاهيم من سورة المنافقون
التعريف بسوره المنافقون

١/ عدد آيات السورة

عدد آيات سورة المنافقون (11) إحدى عشرة آية. وعدد كلماتها (180) كلمة، وحروفها (780) حرفاً.

٢/ مكان نزول السورة

سورة المنافقون مدنيّة بإجماع، نزلت على رسول الله ﷺ بالمدينة، وقد نزلت ليلا ً عقب غزوة بني المصطلق.

٣/ ترتيب السورة

الترتيب الرقم
ترتيبها في المصحف السورة رقم 63
ترتيبها في النزول السورة رقم 104

نزلت بعد سورة الحج ، وقبل سورة المجادلة.

أهمية هذا الترتيب ودلالته:

· موقِعها بعد سورة الجمعة مباشرة: سورة الجمعة خُتمت بتحذير المؤمنين من أن تشغلهم التجارة عن ذكر الله، وجاءت سورة المنافقون لتكشف عن خطر أعظم: أن هناك فئة تتظاهر بالإيمان وهي كاذبة، تخطط من الداخل .هذا الترتيب يُعلم الأمة أن الخطر لا يأتي فقط من ضعف الإيمان، بل من وجود أعداء يدّعون الإيمان.
· الانتقال من الخطر الظاهري إلى الخطر الباطني: ترتيب السور يبني وعي الأمة بأن التهديد الداخلي)النفاق (أشدّ من التهديد الخارجي.
· دوره في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة:
· بناء الإنسان: يزرع في المؤمن اليقظة والبصيرة، فلا ينخدع بالمظاهر والأقوال المعسولة.
· بناء المجتمع: يُعلّم المجتمع كيفية التمييز بين الصادق والكاذب، وكيفية التعامل مع المنافقين بحذر وحكمة.
· بناء الحضارة: يُرسّخ مبدأ أن الحضارة القوية تُبنى على الصدق والإخلاص، لا على المظاهر الخادعة والخطابات الرنانة.

٤/ أسماء السورة وسبب التسمية وعلاقته بالدور التربوي

الأسماء:

.1الاسم التوقيفي: سورة المنافقون
.2الاسم الاجتهادي: سورة} إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ{

سبب التسمية:

سُمّيت "سورة المنافقون" لأنها تناولت مواقف المنافقين من رسول الله ﷺ والمؤمنين، وذكرت صفاتهم وأحوالهم. وقد ورد هذا الاسم في كتب السنة وكتب التفسير، وفي حديث زيد بن أرقم: "فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين".

علاقته بالدور التربوي للسورة:

هذا الاسم يُحقق أغراضاً تربوية مهمة:

· التوعية بخطورة النفاق: تسمية السورة بأهلها يجعل النفاق قضية مركزية يجب دراستها وفهمها.
· فضح المنافقين: الاسم نفسه يُعلن أن السورة جاءت لكشفهم وفضحهم.
· تحذير الأمة: الاسم يبقى شاهداً على أن خطر المنافقين قائم في كل زمان ومكان.
· تربية اليقظة: يعلم المؤمنين ألا ينخدعوا بمن يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

٥/ الأجواء التي نزلت فيها السورة

نزلت سورة المنافقون في أجواء مدنية، بعد غزوة بني المصطلق (غزوة المريسيع) في السنة الخامسة من الهجرة.

وقد نزلت في أجواء:

· فتنة داخلية كادت تشعل الحرب بين المهاجرين والأنصار.
· صراع على الماء بين رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، انتهى بتبادل للصرخات القبلية.
· حديث بغيض صدر عن رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول، هاجم فيه المهاجرين وتوعّد بطرد النبي ﷺ وأصحابه من المدينة.
· مواجهة بين الصدق والنفاق، حيث صدّق الله الصحابي الجليل زيد بن أرقم وكذّب رأس المنافقين.

٦/ أسباب النزول للسورة وبعض آياتها

سبب النزول العام:

اتفق المفسرون على أن قضية زيد بن أرقم مع عبد الله بن أبيّ بن سلول (رأس المنافقين) هي سبب نزول الآيات الكريمة.

تفصيل القصة:

في غزوة بني المصطلق، ازدحم الناس على الماء، فحدث شجار بين رجل من المهاجرين ورجل من الأ نصار. صرخ كل منهما بقبيلته، فغضب عبد الله بن أبيّ بن سلول وقال: "أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل". سمع ذلك الفتى زيد بن أرقم وأبلغ النبي ﷺ. فأنزل الله سورة المنافقون تصدّق زيداً وتكذّب ابن أبيّ.

آيات خاصة بأسباب النزول:

· الآيات1) -(4: فضحت شهادة المنافقين الكاذبة وأيمانهم الفاجرة.
· الآيات5) -(6: كشفت استكبارهم عن طلب المغفرة.
· الآيات7) -(8: فضحت مؤامرتهم الاقتصادية بمنع النفقة عن المهاجرين.
· الآيات9) -(10: وجّهت المؤمنين وحذّرتهم من فتنة الأموال والأولاد.
· الآية(11) : خُتمت السورة بتأكيد حتمية الأجل وعدم التأجيل.

٧/ أهداف وغايات السورة) تم ترقيمها ب-(٨

من أهداف سورة المنافقون:

.1فضح المنافقين والكشف عن دخائلهم ونواياهم الخبيثة.
.2تحذير المؤمنين من خطر النفاق وأهله.
.3تكذيب المنافقين في دعوى الإيمان وأيمانهم الكاذبة.

.4مطالبة المؤمنين بصدق الأقوال والأفعال ومطابقة الظاهر للباطن.
.5تحذير المؤمنين من خطط المنافقين ووجوب الانتباه لها.
.6النهي عن نسيان ذكر الله والغفلة عنه.
.7حث المؤمنين على الطاعة وإنفاق المال قبل انقضاء الأجل.
.8تثبيت النبي ﷺ والمؤمنين، وإعلان أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

٨/ الموضوع الرئيسي للسورة

الموضوع الرئيسي: كشف حقيقة النفاق الاعتقادي، وفضح المنافقين وصفاتهم، وتحذير الأمة من خطرهم الداخلي، مع توجيه المؤمنين إلى الصدق والإخلاص واغتنام الوقت قبل الموت.

وهي سورة مقصورة حديثها على المنافقين، بخلاف غيرها من السور التي تذكر المنافقين ضمن موضوعات أخرى.

٩/ محاور السورة والمواضيع التي تتحدث عنها

تتضمن سورة المنافقون محاور رئيسية:

.1وصف المنافقين وبيان سيء خصالهم: الكذب، والأيمان الفاجرة، والجبن، والخوف، والمراوغة.
.2فضح شهادتهم الكاذبة) الآية(1 : يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.
.3كشف أيمانهم الكاذبة كجُنّة) الآيات2 -(3: يتخذون أيمانهم تترساً ووقاية.
.4بيان ظاهرهم الخادع وباطنهم الفاسد) الآية(4 : "كأنهم خشب مسندة".
.5كشف استكبارهم عن طلب المغفرة) الآيات5 -.(6
.6فضح مخططهم الاقتصادي) الآية(7 : منع النفقة عن المهاجرين.
.7إعلان العزة الحقيقية) الآية(8 : العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.
.8تحذير المؤمنين من فتنة الأموال والأولاد) الآيات9 -.(10
.9تأكيد حتمية الموت وعدم التأجيل) الآية.(11

١٠/ خصائص السورة وفضائلها

الخصائص:

.1سورة مدنية بإجماع.
.2مقصور حديثها على المنافقين.
.3افتُتحت بأسلوب شرطي "إذا جاءك المنافقون". **
.4خُتمت بتأكيد حتمية الأجل.
.5تحمل توجيهاً تربوياً وأمنياً فريداً.
.6جمعت بين وصف الظاهر والخداع والباطن الفاسد.

الفضائل:

.1كان النبي ﷺ يقرؤها في صلاة الجمعة: عن ابن عباس: "أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين". **
.2تسن قراءتها في الركعة الثانية من صلاة الجمعة.
.3فيها فضح للمنافقين وبيان لصفاتهم.

١١/ ما انفردت به السورة

1.الإفراد الكامل للمنافقين: هي السورة الوحيدة التي تحدثت عن المنافقين فقط، ولم تخلط حديثها بغيرهم.
2.افتتاحها بوصف مشهد المنافقين: بدأت بوصف مباشر لمجيء المنافقين وشهادتهم الكاذبة.
3.التشبيه الفريد: وصفهم بـ "خشب مسندة") الآية (4 وهو تشبيه بليغ لم يرد في غيرها.
4.إعلان العزة الإلهية للمؤمنين: قوله تعالى: "ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين") الآية (8 يجعل المؤمنين شركاء في العزة مع الله ورسوله.
5.ربط فتنة الأموال والأولاد بالنفاق: في الآيات9) -.(10
6.الختام بحتمية الأجل: خُتمت بتأكيد أن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها.

١٢/ مقاصد السورة

مقاصد سورة المنافقون:

1.التحذير من النفاق وأهله، وهو المقصد الأعظم.
2.فضح المنافقين والكشف عن خسة نفوسهم.
3.مطالبة المؤمنين بصدق الأقوال والأفعال.
4.الحرص على مطابقة الظاهر للباطن.
5.تحذير المؤمنين من الاغترار بالمظاهر والأقوال المعسولة.
6.تثبيت النبي ﷺ والمؤمنين بأن العزة الحقيقية لله ولرسوله وللمؤمنين.
7.حث المؤمنين على اغتنام الوقت والمسارعة إلى الطاعة.
8.تأكيد حتمية الموت ليكون دافعاً للاستعداد الدائم.

١٣/ الرسالة الكبرى لسورة المنافقون

"الخطر الأكبر على الأمة لا يأتي من خارجها فقط، بل من داخلها، ممن يتظاهرون بالإيمان وهم يبطنون الكفر، يسعون لتفتيت الصف وإضعاف القيادة، فتنبهوا لهم، ولا تنخدعوا بمظاهرهم وأقوالهم، وتذكروا أن العزة الحقيقية لله ولرسوله وللمؤمنين، واستعدوا للموت قبل أن يفاجئكم."

الخلاصة

سورة المنافقون، السورة المدنية رقم 63 في المصحف و104 في النزول، ذات آياتها الإحدى عشرة، جاءت لتكشف أخطر آفة تهدد المجتمعات من الداخل: النفاق. سميت بذلك لانفرادها بذكر أحوال المنافقين وصفاتهم، نزلت في أعقاب غزوة بني المصطلق لتفضح زعيم المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول وتُصدّق الصحابي زيد بن أرقم.

تتميز السورة بأنها الوحيدة التي قصر حديثها على المنافقين، وتحتوي على تشبيهات فريدة، وتعلن أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وتختتم بتأكيد حتمية الأجل. مقاصدها تتلخص في: التحذير من النفاق، وفضح المنافقين، وتحذير المؤمنين من الاغترار بالمظاهر، وحثهم على الصدق والإخلاص واغتنام الوقت قبل الموت. رسالتها الكبرى: اليقظة الدائمة من خطر العدو الداخلي، والتمسك بالعزة الإيمانية، و الاستعداد الدائم للقاء الله.
وبعد هذه المقدمه ننتقل إلى تفسير سوره المنافقون
القسم الاول
اولا
تفسير الآية الأولى من سورة المنافقون

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ۗ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ

أولا ً: المدخل التأسيسي للآية

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية

دعني آخذك في رحلة إلى أعماق أخطر جريمة يمكن أن ترتكب في حق الدعوة الإسلامية: جريمة النفاق .بعد أن ختمت سورة الجمعة بتحذير المؤمنين من الانشغال بالدنيا) التجارة واللهو (عن ذكر الله، تأتي سورة المنافقون لتكشف عن الخطر الأعظم الذي يهدد الأمة من الداخل: خطر المنافقين الذين يتسللون إلى الصفوف وهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر.

تأمل هذا المشدد المخيف: "إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ" . لم يقل "إذا أتاك المؤمنون"، بل قال "المنافقون" .إنهم يأتون ويحضرون مجالس النبي، ويجلسون بين المسلمين، ويستمعون إلى الخطبة، ويصلون مع الجماعة .هم هناك، حاضرون، قريبون من النبي جسداً، لكن قلوبهم بعيدة كل البعد.

ثم يأتي تصريحهم العلني: "قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ" . يتقدمون ويملؤون أفواههم بأعلى عبارات الإ يمان والتشهد .يشهدون بألسنتهم أن محمداً رسول الله .ولكن ما هي حقيقة قلوبهم؟ هل صدقوا؟ هل استقر الإيمان في سويداء قلوبهم؟

يأتي الرد الإلهي الحاسم: "وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ" . الله يعلم أنك رسول حقاً، وهذا أمر لا يحتاج إلى شهادتهم .لكن شهادتهم ليست لإثبات الرسالة، بل لإخفاء كفرهم.

ثم الإعلان المدوي: "وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ" . الله يشهد ويثبت أنهم كاذبون في شهادتهم، كاذبون في إيمانهم، كاذبون في أقوالهم .وكذبهم ليس على الناس فقط، بل على الله ورسوله.

هذه الآية هي "إعلان الحرب على النفاق" . إنها تكشف عن أخطر أعداء الإسلام: أولئك الذين يقفون في الصفوف الأمامية وهم في قلوبهم مرض، ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم .إنها صورة مصغرة لحقيقة المنافقين في كل زمان ومكان، الذين يستخدمون التظاهر بالإيمان كغطاء للتآمر على ا لإسلام من الداخل.

الأمر الثاني: علاقة التناسب بين افتتاحية سورة المنافقون وخاتمة سورة الجمعة

العلاقة بين سورة المنافقون) افتتاحية (وما قبلها من سورة الجمعة) خاتمة (هي علاقة "الانتقال من الخطر الظاهري إلى الخطر الباطني، ومن تحذير من غفلة النفس إلى تحذير من فتنة الآخرين".

خاتمة سورة الجمعة) الآية(11 : تحدثت عن خطر الانشغال بالدنيا) التجارة واللهو (عن ذكر الله، وعن ضعف بعض المؤمنين الذين انفضوا إلى القافلة وتركوا النبي قائماً على المنبر .هذا خطر ناتج عن ضعف الإيمان والانجراف وراء المادة.

افتتاحية سورة المنافقون) الآية(1 : تنتقل إلى الخطر الأكبر: خطر المنافقين الذين يتظاهرون بالإيمان ويبطنون الكفر .هؤلاء ليسوا ضعفاء إيمان، بل هم أعداء في داخل الصفوف.

وجه التناسب:

.1من الانشغال بالدنيا إلى التآمر من الداخل: سورة الجمعة حذرت من أن يشتغل المؤمنون بالتجارة واللهو عن ذكر الله، فهذا ضعف في الإيمان .أما سورة المنافقون فتكشف عن فئة لا تشتغل بالدنيا فقط، بل تستخدم الإيمان كواجهة لإخفاء الكفر والتآمر على الدولة الإسلامية من الداخل .هذا أشد خطراً.
.2من خطر الغفلة إلى خطر المكر والخداع: في سورة الجمعة، كان الصحابة الذين تركوا النبي في لحظة غفلة نادموا وتابوا، وكانوا مؤمنين صادقين .أما المنافقون فهم يمارسون المكر والخداع بوعي وإصرار، وليسوا ضعفاء بل هم خونة.
.3القيادة الإسلامية بين هجوم خارجي وتهديد داخلي: سورة الجمعة تحدثت عن انتقال القيادة إلى الأمة الإسلامية وعن نعم الله عليها .ثم تأتي سورة المنافقون لتنبه: إن الأعداء لن يهدموا هذه القيادة من الخارج فقط، بل سيحاولون تدميرها من الداخل بالكذب والنفاق والتآمر.
.4تنبيه الأمة إلى الخطر الحقيقي: بعد أن أعطى الله الأمة نعمة الإسلام والنبوة والقرآن، حذرها من خطرين: الأول) في الجمعة (هو خطر الانشغال بالدنيا، والثاني) في المنافقون (هو خطر النفاق و الكذب والتآمر من الداخل .وكلا الخطرين يهدد القيادة الإسلامية.

.5المقابلة بين الصادقين والكاذبين: سورة الجمعة ذكرت الذين ينصرفون إلى التجارة واللهو كضعفاء مؤمنين، أما سورة المنافقون فتكشف عن فئة تتظاهر بالإيمان وهي كاذبة في جوهرها .هذه المقابلة تبين للمسلمين أن الخطر لا يأتي فقط من ضعف الإيمان، بل من وجود أعداء يدّعون الإيمان.

الخلاصة: ختمت سورة الجمعة بتحذير المؤمنين من ألا يشغلهم اللهو والتجارة عن ذكر الله .ثم افتتحت سورة المنافقون لتقول: إن هناك خطراً أعظم، إن هناك فئة من الناس تأتي إليك وتقول بأعلى صوتها "نشهد أنك لرسول الله"، لكنها كاذبة، وهذه الفئة هي المنافقون الذين يسعون لشق الصف والتآمر على الأمة من الداخل .فعلى المؤمنين أن يكونوا على حذر ويقظة.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

هذه الآية الافتتاحية تحمل بين طياتها أفكاراً محورية خمسة:

.1مجيء المنافقين وتظاهرهم بالإيمان) الخطر القادم من الداخل(: أن المنافقين ليسوا بعيدين عن الدعوة الإسلامية، بل هم حاضرون، يأتون إلى مجالس النبي، ويجلسون بين المسلمين، ويتظاهرون بالإ يمان .هم قريبون جسداً، لكن بعيدون روحاً.
.2شهادتهم الكاذبة) نشهد إنك لرسول الله(: يتفوه المنافقون بأعلى درجات الإيمان علناً .يقولون: "نشهد أنك لرسول الله" .يفاخرون بشهادتهم ويظهرونها وكأنهم من خيار المؤمنين .لكنها شهادة كاذبة، صادرة عن ألسنة لم تصدقها قلوب.
.3علم الله بحقيقة الرسالة) والله يعلم إنك لرسوله(: الله يعلم يقيناً أن محمداً رسول الله، وهذا الأ مر لا يحتاج إلى شهادة أحد .فهي حقيقة ثابتة لا تتغير بشهادة المنافقين أو بإنكار الكافرين .وتقديم هذه الحقيقة قبل الحكم عليهم يثبت النبي ويرسخ قلبه.
.4شهادة الله بكذبهم) والله يشهد إن المنافقين لكاذبون(: الله نفسه يشهد ويشهد أن المنافقين في شهادتهم كاذبون .كذبهم ليس على الناس فقط، بل على الله ورسوله .وشهادة الله هي الحكم المطلق الذي لا يقبل الجدل.
.5طبيعة النفاق الاعتقادي) القول بلا تصديق قلبي(: الآية تكشف عن حقيقة النفاق الأكبر: الإقرار ب اللسان مع الإنكار بالقلب .فالنفاق ليس مجرد نفاق عملي) تأخير صلاة، كسل عن طاعة(، بل نفاق اعتقادي، حيث يبطن القلب الكفر ويظهر اللسان الإيمان.

الأمر الرابع: أهداف الآية ومقاصدها وأغراضها) الافتتاحية للسورة(

ما الذي يريده الله منا من خلال هذه الآية الافتتاحية؟ إنها ليست مجرد إخبار عن المنافقين في عهد النبي، بل هي "دستور اليقظة الدائمة للأمة" . أراد الله أن:

· يرفع وعي الأمة بوجود خطر المنافقين: لا تظن الأمة أن أعداءها فقط هم الكفار المعلنون .هناك أعداء في داخل الصفوف، يتكلمون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويدّعون الإيمان وهم كاذبون.
· يكشف عن أخطر أساليب المنافقين) التظاهر بالإيمان(: المنافق لا يظهر عداوته للإسلام، بل يظهر حبه وتشجيعه .يقول "نشهد أنك لرسول الله" .هذا هو السلاح الأخطر، لأنه يخدع المؤمنين ويدخل إليهم من باب الثقة.
· يرسخ حقيقة أن الله أعلم بحالهم ورسوله: لا تحزن أيها النبي، ولا تخف من كيدهم .الله يعلم حقيقتك وحقيقتهم .وهو يشهد بكذبهم.
· يحذر المؤمنين من الانخداع بالأقوال: لا تنخدعوا بمن يقول "نشهد أنك لرسول الله" .انظروا إلى من يصدق ذلك بقلبه .فالكلمة وحدها لا تكفي، واللسان قد يكون منفصلا ً عن القلب.
· يبين أن القيادة الإسلامية تواجه خطراً داخلياً: بعد أن أعطى الله الأمة القيادة، بيّن أنها مهددة من الداخل .فالمؤمنون مطالبون بالحذر واليقظة والتمييز بين الصادقين والكاذبين، وبين من يستحق القرب) بقلبه وجسده (ومن هو قريب جسداً فقط.

ثانياً: تحليل الآية) رحلة في أعماق النص(

المحور الأول: تحليل) إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ(

1/ دلالة "إذا") الشرطية(

"إذا" ظرف شرطية تفيد التحقيق والوقوع .فهي ليست للشك، بل لإثبات أن هذا الفعل) مجيء المنافقين (قد وقع ويقع .وهي تفيد التجدد والاستمرار: كلما جاء المنافقون إلى النبي، هذا هو حالهم . والجملة الشرطية تخلق حالة من الترقب والحذر: انتبه، هؤلاء قادمون، ولهم صفات معينة.

2/ دلالة "جَاءَكَ") الفعل الماضي(

· الجيم والمد والهمزة: الفعل "جاءك" مشتق من المجيء، وهو الحضور والقدوم.
· قرب المكاني دون القرب القلبي: مجيئهم هو حضور جسدي .إنهم قريبون من النبي جسداً، يأتون إليه ويرونه ويجلسون معه .لكن هذا المجيء لا يعني القرب القلبي أو الروحي .فهم قريبون بالجسم فقط، بعيدون بالروح .هذا المعنى دقيق جداً .لو قال "أتاك" لكان أقل دلالة، لكن "جاءك" تفيد الحضور المكاني، وهو ما ينطبق عليهم .هم حاضرون في المكان، لكن قلوبهم غائبة .وهذا درس للمؤمنين: لا تنخدع بقرب جسد من لا يقرب بقلبه.
· صيغة المجيء مقابل الإتيان: اختيار "جاء" دون "أتى" ربما للإشارة إلى أن مجيئهم كان عن قصد وتكلف، وليس عفوية .ويمكن أن تفيد أنهم جاءوا من بعيد مكانياً أو نفسياً، فجاءوا قاصدين.

3/ دلالة "المُنَافِقُونَ") التعريف باللام(

· تعريف الجنس: "المنافقون" بالتعريف يفيد أنهم صنف معروف، لهم صفات محددة .وليس مجرد أفراد عابرين.
· النفاق المشتق من "نفق" و "نافقاء اليربوع" : النفاق مشتق من "النافقاء" وهو جحر اليربوع) حيوان صغير (الذي له مدخل ومخرج .فاليربوع إذا أحس بالخطر دخل من جحر وخرج من آخر .كأن المنافق يدخل من باب الإيمان ويخرج من باب الكفر .فهو لا يستقر على حال، وهو مخادع، يعيش في الأنفاق) جمع نفق (أي تحت الأرض، يخفي حقيقته .اسم "المنافقون" وحده يحمل معنى الخداع و المراوغة .هم كاليربوع لا يظهرون حقيقة مساربهم.
· إخفاء النون عند النطق) المنافقون (مع التنوين والهمزة: في تلاوة الآية، النطق بـ "المنافقون" فيه إخفاء للنون أو إدغامها، وهذا يعطي انطباعاً بأن هؤلاء قوم تخفى حقيقتهم، لا تظهر بوضوح .الكلمة ذاتها تعطي شعوراً بالخفاء والالتواء، خلاف كلمة "المؤمنون" التي فيها وضوح وإعلان.

4/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: رفع مستوى الحذر وعدم الثقة المطلقة في الظواهر .لا تثق بكل من يأتي إليك ويعلن محبته .فالمنافقون يأتون ويحضرون .هذا يزرع يقظة نفسية.
.2الرسالة التربوية: تعليم الأبناء أن حضور الشخص ومجيئه لا يعني إيمانه .علم أبناءك ألا ينخدعوا بمن يحضر مجالس العلم والدين، فقد يكون منافقاً .المقياس هو الصدق والثبات.
.3الرسالة الفكرية: الخطر الداخلي أشد من الخارجي .المنافقون يأتون من الداخل وهم بيننا .هذا يغير مفهوم التهديد.
.4الرسالة العملية: التعامل بحذر مع من يظهرون الولاء الزائد .قد يكون إظهار الشهادة بصوت عالٍ من علامات النفاق.

المحور الثاني: تحليل) قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ(

1/ دلالة "قَالُوا") الفعل الماضي(

"قالوا" فعل ماض، يفيد أن هذا القول صدر منهم وتحقق .وهو قول يتكرر مع كل مجيء .وفيه إشارة إلى أن هذا هو شعارهم الدائم.

2/ دلالة "نَشْهَدُ") الفعل المضارع(

· الفعل المضارع "نشهد" : يدل على التجدد والاستمرار .فهم كلما جاءوا جددوا شهادتهم، وكأنهم يؤكدونها .وهذه الشهادة المتكررة تكشف عن رغبتهم في إثبات أنفسهم، وأنهم يريدون طمأنة النبي و المؤمنين .لكن إصرارهم على الشهادة دليل على الريبة.
· صيغة الجمع "نشهد" : يتحدثون بصيغة الجمع وكأنهم يمثلون جماعة، يتظاهرون بالاتفاق والقوة . وهذا من أساليبهم.

3/ دلالة "إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ") التوكيدات الثلاثة(

استعمل المنافقون أعلى درجات التوكيد في كلامهم:

· "إنّ" : حرف توكيد ونصب.
· لام التوكيد) اللام المزحلقة (في "لَرَسُولُ" : لام التوكيد.
· إسناد الرسول إلى الله) رسول الله (: هذا إضافة تشريف.

لماذا هذا التوكيد المبالغ فيه؟ لأنهم يريدون إقناع النبي والمؤمنين بصدقهم، وكأنهم يقولون: "نحن متأكدون تمام التأكد" .لكن هذه التوكيدات في موضعها) على لسان المنافقين (تصبح دليلا ً على الكذب، لأن الصادق لا يحتاج إلى كل هذه التوكيدات .فهو يقول الحق ببساطة.

4/ دلالة "لَرَسُولُ" على ألسنتهم مقابل حقيقة قلوبهم

المنافقون يقولون "لرسول الله" .لكن القرآن لم يقل إنهم قالوها عن قناعة، بل حكى قولهم .والله سيكذبهم بعد ذلك .هذا يدل على أن قولهم باللسان ليس نابعاً من القلب .القول الصادق يكون نابعاً من مشاعر النفس حقيقة، أما قولهم فهو كذب ومراوغة الثعالب .يخفون حقيقة أمرهم على المسلمين، ويدارون أنفسهم وأموالهم بحقن الدماء وحماية الأملاك، ويلجأون إلى حلف الأيمان الكاذبة.

5/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: المبالغة في التوكيد قد تكون علامة على الكذب .الصادق يقول الحق بلا إسراف . المبالغ في التأكيد قد يكون يخفي شيئاً.
.2الرسالة التربوية: تعليم الأبناء أن كثرة الأيمان والشهادات ليست دليلا ً على الصدق .الصدق يظهر في السلوك لا في كثرة القسم.
.3الرسالة الفكرية: الإعلان بالإيمان ليس كافياً .العبرة بالتصديق القلبي للمبادئ، لا بالتصريح اللفظي .ة ال تعالى: "إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ" .فكذب المقاصد يفسد التفكير.
.4الرسالة العملية: لا تنخدع بمن يكثر من الشهادات والإقسام بحبك .اختبرهم بالعمل والصدق.

المحور الثالث: تحليل) وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ(

1/ دلالة الجملة الاسمية "وَاللّهُ يَعْلَمُ"

الجملة الاسمية تفيد الثبات والاستمرار .علم الله أزلي أبدي، لا يتغير .وهو يعلم الحقيقة المطلقة . وهذا تعزيز للنبي صلى الله عليه وسلم: لا تحتاج إلى شهادتهم، فالله يعلم حقيقتك.

2/ دلالة التوكيد في "إِنَّكَ لَرَسُولُهُ"

كرر الله نفس التوكيد الذي استعمله المنافقون: "إن" ولام التوكيد .لكن في شهادة الله، هذا التوكيد حق وصدق .والمقارنة بين توكيدهم الباطل وتوكيد الله الحق تبين الفرق بين الصدق والكذب .فالله يشهد بحقيقة الرسالة، والمنافقون يشهدون بها كذباً.

3/ دلالة إضافة "رَسُولُهُ" إلى ضمير الجلالة

الله قال "رسوله"، أي أن محمداً رسول الله حقاً .وهذه الإضافة تفيد الاختصاص والتشريف .وهي رد على المنافقين الذين يقولونها بألسنتهم دون اعتقاد .فالله يقولها عن علم ويقين.

4/ سبب تقديم "وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ" قبل "وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ"

التقديم له حكم بليغة:

· تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم أولا ً: قبل أن يحكم على المنافقين، طمأن النبي بأن رسالته حق، وأن الله يعلم ذلك .فلا تهتز بكذبهم.
· بيان أن الرسالة ثابتة لا تتغير بشهادتهم: شهادتهم لا تثبت الرسالة، وعدمها لا ينفيها.
· الانتقال من إثبات الحق إلى إبطال الباطل: أثبت الحق) الرسالة (أولا ً، ثم أبطال الباطل) كذبهم.(

5/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: طمأنة النفس بأن الله يعلم الحقيقة .لا تحزن إذا كذبك الناس أو شككوا فيك . الله يعلم حقيقتك.
.2الرسالة التربوية: لا حاجة لشهادة الناس إذا كنت على حق .استغن بشهادة الله.
.3الرسالة الفكرية: الحق ثابت لا يتغير بتغير أقوال الناس .الرسالة ثابتة.
.4الرسالة العملية: استحضر علم الله في كل موقف .هذا يمنع الحزن والقلق.

المحور الرابع: تحليل) وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ(

1/ دلالة "الجُمْلة الاسمية) وَاللهُ يَشْهَدُ(

الجملة الاسمية تفيد الثبات: شهادة الله ثابتة مستمرة .وهو يشهد على حالهم .وشهادة الله هي الشهادة المطلقة الحق.

2/ دلالة "يَشْهَدُ" مقابل "يَعْلَمُ"

· "يعلم" : علم مطلق وإحاطة.
· "يشهد" : إعلان وإثبات وشهادة أمام الخلق .فالله لا يعلم فقط، بل يعلن ويشهد على كذبهم .و الشهادة هنا بمعنى الحكم والإخبار.

3/ دلالة التوكيد في "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ"

· "إن" ولام التوكيد : توكيد على كذبهم.
· "لكاذبون" : صيغة مبالغة) صيغة جمع(، تدل على أن الكذب صفة ملازمة لهم.
· "المنافقين" بالتعريف: ليشمل كل من اتصف بهذه الصفة.

4/ دلالة التنغيم الصوتي وإظهار النون مع القاف) المنافقين لَكَاذِبُونَ(

في تلاوة الآية، التنغيم الصوتي في "المنافقين لكاذبون" فيه إظهار للنون) أو إخفاءها حسب القراءة(، وفي كل الأحوال، الخروج من النون إلى القاف ثم اللام فيه إشارة إلى أن حقيقة هؤلاء بعيدة عن ا لإيمان، وأنهم مخادعون .وهذا التنغيم يصل إلى السامع العلاقة بين مجيئهم الكاذب وبين القدرة القوية لديهم على إظهار خلاف الباطل.

5/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: عدم التعلق بشهادة الناس .شهادة الله هي المعتبرة .لا تحتاج إلى شهادة المنافقين.
.2الرسالة التربوية: تعليم الأبناء أن شهادة الله فوق كل شهادة .لا يغرنهم كلام الناس.
.3الرسالة الفكرية: الله يعلن كذب المنافقين .هذا يفضحهم، ويطمئن المؤمنين.
.4الرسالة العملية: رد على شهادتهم الكاذبة بشهادة الله الصادقة .كن أنت من يستند إلى شهادة الله.

ثالثاً: اللطائف واللمسات البيانية والبلاغية من الآية

إن من خلال تدبر البناء اللغوي والبياني لهذه الآية الافتتاحية نجد ما يأسر القلب، ويظهر الإعجاز في كل حرف:

الشرط بـ "إذا" بدلا ً من "إن" : "إذا" تفيد التحقيق والوقوع، بينما "إن" للاحتمال .فاختيار "إذا" يؤكد أن مجيء المنافقين وتحقق هذه الصفة منهم هو أمر واقع لا شك فيه .وفيه إشارة إلى أن النفاق ليس احتمالا ً، بل هو مرض موجود في المجتمع.

الفعل "جاءك" دون "أتاك" : "جاء" يدل على الحضور المكاني، وليس على القرب القلبي .فهم قريبون بـ الجسد فقط، بعيدون بالنفس .وهذه دقة بالغة في التعبير.

تعريف "المنافقون" باللام : تعريف الجنس، ليشمل كل من اتصف بهذه الصفة، وللدلالة على أن لهم

صفات مميزة معروفة.

المضارع "نشهد" بعد ماضٍ "قالوا" : "قالوا" ماضٍ يدل على أن قولهم قد وقع وتحقق .ثم "نشهد" مضارع يدل على أنهم يجددون هذه الشهادة كلما جاؤوا .وكأنهم لا يكتفون بشهادة المرة السابقة، بل يعيدونها لتأكيد كذبهم.

توكيدات ثلاث في جملة واحدة) إنك لرسول الله(: "إنّ" ولام التوكيد وإضافة الرسول إلى الله .هذا إسراف في التوكيد لا يحتاج إليه صادق، ويكون غالباً علامة كذب.

الفصل بين "جاءك" و "قالوا" بالجملة الاسمية) المنافقون(: لم يقل "إذا جاءك المنافقون قالوا"، بل "إذا جاءك المنافقون قالوا" .هذا الفصل يفيد التوكيد .كأنه يقول: هؤلاء هم المنافقون، وهذه صفتهم.

الجمل الثلاث المتتالية: الجملة الأولى فعلية) قالوا(...، والثانية اسمية) والله يعلم(...، والثالثة اسمية) و الله يشهد .(...الانتقال من الفعلية إلى الاسمية يفيد الانتقال من الحدث) مجيئهم وقولهم (إلى الحقائق الثابتة) علم الله وشهادته .(وهذا يثبت الحقائق في النفس.

الطباق بين قولهم وشهادة الله: المنافقون قالوا "نشهد"، والله "يشهد" .شهادتهم كاذبة، وشهادته حق . الطباق في اللفظ يزيد التباعد في المعنى.

البناء للمعلوم في جميع الأفعال: لم يأت الفعل مبنيًا للمجهول في موضع، وهذا يفيد الوضوح و المباشرة.

التنغيم الصوتي وإظهار النون والهمزة في "المنافقون" : عند تلاوة الآية، النطق بكلمة "المنافقون" يظهر فيها حروف) ن، ق، ن (تعطي إحساساً بالخفاء والالتواء .أما "المؤمنون" ففيها وضوح .هذا التنغيم يصل إلى السامع العلاقة بين مجيئهم الكاذب وبين قدرتهم القوية على إظهار خلاف الباطل.

الفواصل القرآنية) نون(: ختمت الآية بـ "لَكَاذِبُونَ") نون (وهي تتناغم مع فواصل السورة .هذا التناغم يثبت المعاني.

خلاصة بلاغية: الآية تجمع بين الشرط) إذا(، والفعل الماضي) جاءك(، والجملة الاعتراضية) المنافقون(، والفعل الماضي) قالوا(، والمضارع) نشهد(، والتوكيد الثلاثي) إنك لرسول الله(، ثم الجملة الاسمية) و الله يعلم (وتوكيدها، ثم الجملة الاسمية) والله يشهد (وتوكيدها .إنها بناء بلاغي معجز، يكشف عن حقيقة المنافقين في إيجاز شديد وإحكام بالغ.

رابعاً: الدروس والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها هذه الآية

تعالج هذه الآية الافتتاحية قضايا عقدية واجتماعية ونفسية عميقة، منها:

· ظاهرة النفاق الاعتقادي) إبطان الكفر وإظهار الإيمان(: أخطر أمراض المجتمع، حيث يعيش في الصفوف من يبطن الكفر ويظهر الإيمان، يخدع المؤمنين ويسعى لتدمير الدولة من الداخل.
· خطورة الأقوال المنفصلة عن القلوب: أن يقول الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه، ويتفوه بأعلى عبارات الإيمان وهو كافر .هذا يهدم الثقة بين أفراد المجتمع.
· الانخداع بالظواهر والولاء الزائد: المنافقون يظهرون ولاءً زائداً للنبي، ويبالغون في إظهار الشهادة، وهذا قد يخدع بعض المؤمنين.
· حاجة الأمة إلى اليقظة والحذر من الخطر الداخلي: لا يكفي أن يحارب المؤمنون الكفار المعلنين، بل عليهم أن يتعرفوا على أعدائهم في الداخل.
· التمييز بين الصادقين والكاذبين: أن المؤمنين مطالبون بمعرفة علامات النفاق، ليتجنبوا الانخداع.

الأمر الثاني: ماذا يريد الله منا من خلال هذه الآية، وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولاً: ماذا يريد الله منا؟) المراد الإلهي(

.1أن نعي أن النفاق أخطر من الكفر المعلن: الكافر المعلن نعرفه ونحذره .أما المنافق فهو في

الصفوف، لا نعرفه، وقد يثق به المؤمنون.
.2ألا ننخدع بالمظاهر والأقوال: لا نصدق كل من قال "نشهد أنك لرسول الله" .العبرة بالتصديق القلبي، لا بالتصريح اللفظي.
.3أن نكون على يقظة دائمة من خطر المنافقين: في كل زمان، هناك من يظهر الإسلام ويبطن الكفر، أو يظهر الولاء ويبطن الغدر.
.4أن نعوّل على شهادة الله لا على شهادة الناس: شهادة الله هي المعيار .فلا تثريب علينا إذا كذبنا الناس.
.5أن نفرق بين من يأتي إلينا بجسده ومن يأتي بقلبه: القرب الجسدي ليس دليلا ً على القرب القلبي.

ثانياً: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟) التطبيق العملي(

.1دعوة إلى "عدم الانخداع بالمظاهر الدينية الزائفة": لا تظن أن كل من يصلي معك أو يحضر مجلس العلم هو مؤمن صادق .اختبر الناس بمواقفهم.
.2دعوة إلى "اليقظة من خطر العملاء داخل الصفوف": في مؤسستك، قد يكون هناك من يظهر الولاء وهو يخطط للخراب.
.3دعوة إلى "التثبت من أخبارهم": لا تقبل شهادة أحد لمجرد أنه يتشدق بالإيمان .تثبت.
.4دعوة إلى "الاستناد إلى شهادة الله": لا تبحث عن رضى الناس، بل اسعَ لرضى الله وشهادته.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية الكريمة قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

لتحويل هذه الآية الافتتاحية من "نص متلو" إلى "واقع ملموس"، اتبع هذه المنهجية المكونة من أربع مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة "الاستحضار الواعي") قبل البدء(: قبل أن تقرأ الآية، استحضر أن الله يكشف لك عن أخطر أعداء الإسلام: الذين يقفون في الصفوف الأمامية وهم يبطنون الكفر .اسأل نفسك: هل أنا على حذر منهم؟ هل أنا أعرف كيف أتعرف عليهم؟

المرحلة الثانية: مرحلة "التفكيك التحليلي") فهم الموقف(: حلل بيئتك على ضوء هذه الآية:

· هل توجد في جماعتك من يظهرون الإيمان والولاء الزائد، لكن أفعالهم تخالف أقوالهم؟
· هل تنخدع بمن يكثر من الشهادات واليمين بأنه معك؟
· هل تفرق بين من هو قريب بجسده فقط ومن هو قريب بقلبه وروحه؟

المرحلة الثالثة: مرحلة "التفعيل العملي") تحويل المفهوم إلى سلوك(:

· فعّل اليقظة: لا تعطِ ثقتك الكاملة لأي أحد لم يختبر صدقه.
· فعّل التثبت: إذا حدثك شخص بأخبار، فتثبت، خاصة إذا كان يظهر ولاءً زائداً.
· فعّل الاستناد إلى شهادة الله: اسعَ لمرضاته، ولا تبحث عن شهادة الناس.

المرحلة الرابعة: مرحلة "الانعكاس التقويمي") المراجعة(: في نهاية كل أسبوع، اسأل نفسك:

· هل انخدعت بظاهر أحد هذا الأسبوع؟
· هل وثقت بمن لم يستحق الثقة؟
· هل استحضرت أن الله يشهد على كذب المنافقين؟

الأمر الرابع: ما الذي نستلهمه من الآية من دروس وعبر وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية؟

أولا ً: الدروس المستلهمة) الرؤية(

.1درس "الخطر الداخلي أشد من الخارجي" : قد تهدم القلعة من داخلها .المنافق في الصف أخطر من العدو على الباب.
.2درس "لا تغتر بالكلمة" : ليست العبرة بـ "نشهد أنك لرسول الله"، بل بالتصديق القلبي .المنافق يقوله بأفصح لسان.

.3درس "علم الله وشهادته كافيان" : لا تنتظر شهادة الناس .رضا الله وشهادته حسبك.
.4درس "القرب الجسدي ليس قرباً قلبياً" : قد تجلس إلى إنسان وهو معك بجسده فقط، أما قلبه فمع أعدائك.
.5درس "الله يفضح المنافقين" : مهما أظهروا، فإن الله يشهد عليهم، ويفضحهم في الدنيا والآخرة.

ثانياً: كيفية التطبيق في الحياة العملية) التنفيذ(

.1بصفتك قائداً أو مسؤولا ً: كن يقظاً للمنافقين في فريقك .لا تعطِ الثقة المطلقة لمن يظهرون ولا ءً زائداً .اختبرهم بأعمالهم.
.2بصفتك فرداً في الجماعة: لا تنخدع بمن يكثر من الشهادات والإقسام .راقب سلوكهم وصدقهم.
.3بصفتك داعية: لا تتعجل في قبول الناس واعطائهم الثقة .تعلم كيف تميز بين الصادقين والكاذبين.
.4بصفتك مراقباً لنفسك: لا تكن منافقاً .لا تقل بلسانك ما ليس في قلبك .كن صادقاً مع الله ومع الناس.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

أولا ً: المهارات الحياتية

.1مهارة "اليقظة من الخطر الداخلي" : القدرة على اكتشاف الأفراد الذين يظهرون الولاء ويبطنون الغدر، وعدم الانخداع بهم .هذه المهارة تحمي المؤسسات.
.2مهارة "التمييز بين القرب الجسدي والقرب القلبي" ألا تغتر بقرب شخص منك جسدياً أو بحضوره مجالسك، بل انظر إلى انتمائه القلبي وقيمه.
.3مهارة "عدم الانخداع بالمظاهر" : أن تعلم أن المظهر قد يكون خادعاً، وأن الشهادات والأيمان الكثيرة قد تكون علامة على الكذب.
.4مهارة "الاستناد إلى شهادة الله" : ألا تبحث عن رضا الناس وثقتهم بقدر ما تبحث عن رضا الله وشهادته لك بالإيمان.

ثانياً: المهارات المعرفية

.1مهارة "فهم حقيقة النفاق: معرفة أن النفاق هو إبطان الكفر وإظهار الإيمان، وأن صاحبه خطير لأنه غير مكشوف.
.2مهارة "التمييز بين التوكيد الصادق والتوكيد الكاذب" : إدراك أن الصادق لا يحتاج إلى توكيدات مبالغ فيها، والكاذب يلجأ إليها ليخفي كذبه.
.3مهارة "ربط الأقوال بالقلوب" : أن القول الذي لا ينبع من القلب لا قيمة له، وربما يكون علامة على النفاق.

ثالثاً: المهارات العملية

.1مهارة "التثبت من الأخبار": عند سماع خبر من شخص لا تثق به، أو من يظهر ولاءً زائداً، تثبت قبل أن تتفاعل .هذه مهارة أمنية.
.2مهارة "اختبار الناس بالاستمرارية" : لا تعطِ الثقة لأحد من أول لقاء .راقب استمراريته وصدقه.
.3مهارة "إدارة الثقة في القيادة" : توزيع الثقة على الناس حسب درجة صدقهم وثباتهم، وعدم التساوي بين الصادق والمنافق.

خامساً: الوقفات والتأملات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

للفهم العميق لهذه الآية الافتتاحية، علينا أن ننظر إليها كـ "نظرية أمنية وسياسية واجتماعية متكاملة" . الفهم العميق يتجاوز التفسير اللفظي) مجيء المنافقين وشهادتهم الكاذبة (إلى مستويات أعمق:

مستوى "المنافق أخطر أعداء الأمة" : الكافر المعلن نعرفه، نحاربه، نتحصن منه .أما المنافق فيندس بين الصفوف، يعرف أسرارنا، يطلع على خططنا، ثم يخون .هو مثل النافقاء) جحر اليربوع(، يدخل من باب ويخرج من آخر .هذا المستوى يحول فهم الآية إلى دليل أمني للدولة الإسلامية: احذروا من الداخل.

مستوى "فقه الكذب والمراوغة عند المنافقين": لا يكتفي المنافق بالكذب العادي، بل يلجأ إلى أسلوب "التشهد الكاذب" .يقول "نشهد أنك لرسول الله" .يستخدم أقدس العبارات ليخفي أخبث النوايا .هذا هو ذروة النفاق .الآية تكشف عن هذه التقنية: استخدام الدين نفسه لتدمير الدين.

مستوى "علم الله مقابل شهادة المنافقين": المنافقون يحتاجون إلى شهادة الناس لهم ليصدقوا .أما الله فيعلم ويشهد .هو يعلم حقيقة النبي، ويشهد على كذبهم .هذا المستوى يعلم المؤمنين ألا يهتموا بشهادة المنافقين، وأن يكتفوا بشهادة الله.

الأمر الثاني: كيف تغير الآية من نظرتك للحياة؟

هذه الآية ليست مجرد إخبار، بل هي "تحول في الرؤية الأمنية والاجتماعية":

.1تغير نظرتك إلى "الناس": لن تنظر إلى كل من يقول "أنا مسلم" أو "أنا معك" على أنه صادق . ستتعلم أن هناك من يقول بأعلى صوته "نشهد أنك لرسول الله" وهو كافر في قلبه.
.2تغير نظرتك إلى "القرب الجسدي": قد يجلس الشخص معك في نفس المجلس، ويصلي بجانبك، ويشهد لك بولائه، لكنه بعيد عنك بالقلب .لن تغتر بالقرب الجسدي.
.3تغير نظرتك إلى "الكذب": ستعرف أن أشد الكذب كذباً هو أن تكذب في الشهادة لله ورسوله .أن تقول "أشهد" وأنت غير مصدق.
.4تغير نظرتك إلى "الأمن": ستعرف أن الخطر ليس فقط من الخارج، بل من الداخل .ستحمي مجتمعك من العملاء.
.5تغير نظرتك إلى "شهادة الله": ستعلم أن شهادة الله هي المعيار، وأن رضا الله هو الغاية .لا تبحث عن شهادة المنافقين.

الأمر الثالث: وقفات تأملية من الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة "اليربوع والنافقاء": اليربوع حيوان يحفر جحراً له مدخل ومخرج، فإذا هاجمه العدو دخل من جهة وخرج من أخرى .المنافق مثل اليربوع .يدخل الإسلام من باب ليتقي به، ويخرج من باب آخر .هذه الوقفة تجعلك تتصور حيلهم.

الوقفة الثانية: وقفة "الشهادة الكاذبة": تخيل شخصاً يقف أمامك ويقول: "أشهد بالله أنك صادق، أشهد أنك خير الناس" .هذه كلمات كبيرة .لكنك تشعر بالريبة .المنافقون فعلوا ذلك مع النبي .هذه الوقفة تعلمك ألا تغتر بالمبالغة في الإطراء.

الوقفة الثالثة: وقفة "القرب الجسدي": يجلس المنافقون على مقربة من النبي، في المسجد، في المجلس .لكن قلوبهم في الطائف مع الكفار .هذه الوقفة تذكرك: لا يحزنك قربهم، فالمسافة ليست بالأقدام بل بالقلوب.

الوقفة الرابعة: وقفة "شهادة الله على كذبهم": الله يشهد عليهم بالكذب .هذا يكفينا .لا نحتاج إلى تحقيق معهم .فالله هو المحقق الأعلى .هذه الوقفة تطمئن قلبك.

كيف تنقل هذه الوقفات إلى فريقك أو أسرتك؟

· احكِ لهم حكاية اليربوع ونافقائه.
· ناقشهم: "هل نعرف في محيطنا من يكثر من الشهادات والإطراء الزائد؟".
· تذكروا أن الله يشهد على كذب المنافقين.

الأمر الرابع: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

.1نتعلم أن "النفاق أخطر من الكفر": الكافر نعرفه ونتحصن .المنافق في الصفوف.
.2نتعلم أن "الكذب في الشهادة أعظم الكذب": أن تشهد وتكذب، خاصة في شأن الدين والرسول.
.3نتعلم أن "شهادة الله تكفي": لا تحتاج إلى شهادة المنافقين.
.4نتعلم أن "القرب الجسدي ليس دليلا ً": قربهم منك لا يعني قرب قلوبهم.
.5نتعلم أن "ولاء المنافقين زائد عن الحد": المبالغة في التعبير عن الولاء قد تكون علامة خطر.

سادساً: أبعاد وآفاق ومفاهيم وقيم الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

إن هذه الآية الافتتاحية ليست مجرد كشف عن المنافقين، بل هي نافذة على أبعاد متعددة:

البعد الأمني) الخطر الداخلي(: الآية تؤسس لمبدأ أمني بالغ الأهمية: أن الخطر الأكبر على الدولة و المجتمع يأتي من الداخل، من الذين يظهرون الانتماء ويبطنون العداء .هذا البعد يوجه الأجهزة الأمنية إلى الاهتمام بالعملاء والخونة.

البعد الاجتماعي) الثقة واليقظة(: الآية تدعو إلى بناء مجتمع واعٍ لا يمنح الثقة بسهولة، ويختبر الناس بمعايير الصدق لا بالظواهر .هذا البعد يحمي المجتمع من الاختراق.

البعد النفسي) المراوغة والكذب(: الآية تحلل أسلوب المنافقين النفسي: يستخدمون التوكيدات المبالغ فيها لإخفاء كذبهم .هذا البعد يساعد في فهم علم النفس الإجرامي.

البعد العقدي) شهادة الله(: الآية تثبت أن شهادة الله هي الشهادة المطلقة، وهي التي يجب أن يطمئن إليها المؤمن .هذا البعد يعزز الإيمان بالقضاء والقدر.

البعد التاريخي) نفاق كل زمان(: الآية ليست حكراً على زمن النبي، بل هي قانون في كل زمان .كل أمة فيها من يقول "نشهد" بلسانه ويكفر بقلبه .هذا البعد يجعل الآية خالدة.

الأمر الثاني: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

لتحويل هذه الآية الافتتاحية إلى مفاهيم عملية) مفاهيم عملية (نعيشها في واقعنا، يمكننا استخلاص أربعة مفاهيم جوهرية:

.1مفهوم "النفاق الاعتقادي(: أن يظهر الشخص الانتماء إلى جماعة أو فكرة وهو في حقيقته منها براء .هذا المفهوم يصحح الفهم السطحي للانتماء.
.2مفهوم "الشهادة الكاذبة"(: أن يستخدم الإنسان أقدس العبارات ليخفي أخبث النوايا .هذا المفهوم يحذر من الانخداع بالكلمات الدينية وحدها.
.3مفهوم "القرب الجسدي دون القرب القلبي" : أن يكون الشخص قريباً منك جسدياً في المجالس و الصفوف، لكنه بعيد كل البعد عن قيمك ومبادئك .هذا المفهوم يعلمك ألا تحكم بالمسافة المادية.
.4مفهوم "شهادة الله على الكذب" : أن الله هو الشاهد الحقيقي، وهو الذي يكشف الكذب مهما كان المخادعون بارعين .هذا المفهوم يريح قلب المؤمن.

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية

.1مفهوم "المراوغة النفسية لدى المنافق" : المنافق يدرك أن إظهار العداء سيؤدي إلى فضحه، فيلجأ إلى إظهار الحب المبالغ فيه والشهادة الكاذبة .هذه آلية دفاعية منحرفة.
.2مفهوم "التناقض بين اللسان والقلب : حالة من الانفصام حيث يعيش الإنسان في صراع داخلي بين ما يعتقده وما يقوله .هذا يسبب اضطرابات نفسية.
.3مفهوم "الإطراء الزائد كآلية إخفاء" : الكاذب قد يلجأ إلى الإطراء والمبالغة في إظهار الولاء ليصرف الانتباه عن حقيقته .هذا مبدأ نفسي معروف.

المفاهيم الفكرية

.1مفهوم "الأولوية للجوهر على المظهر" : في الإسلام، العبرة بالاعتقاد القلبي والصدق، وليس بـ التصريح اللفظي .هذا يصحح معايير الحكم على الناس.
.2مفهوم "التمييز بين شهادة الله وشهادة الناس" : شهادة الله مطلقة، وشهادة الناس نسبية قابلة للخطأ والكذب.

.3مفهوم "الخطر الأكبر هو الخطر غير المعلن" : من يعلن عداوته يمكن مواجهته، أما من يخفيها فيندس ويضر.

المفاهيم التربوية

.1مفهوم "تربية اليقظة الأمنية" : تربية الأبناء على عدم الانخداع بالمظاهر، وأهمية التثبت، وأن الثقة تُمنح بعد الاختبار.
.2مفهوم "تربية الصدق الداخلي" : تعليم الأبناء أن الصدق ليس فقط في القول، بل في توافق القول مع الاعتقاد والقلب.
.3مفهوم "تربية احترام شهادة الله" : تعليم الأبناء أن رضا الله وشهادته له هي الغاية، لا رضا الناس وشهادتهم.

الأمر الرابع: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

.1مفهوم "بناء الأمة على اليقظة الأمنية" : لا يمكن بناء أمة قوية بدون حماية من الخطر الداخلي . اليقظة الأمنية تبدأ من وعي الأفراد.
.2مفهوم "تنمية الوعي بأساليب المنافقين" :فهم كيف يتسلل المنافقون: بالشهادات الكاذبة، والولاء الزائد، والإطراء .هذه المعرفة تحمي المجتمع.
.3مفهوم "استدامة الأمن بالتمييز بين الصادق والكاذب" : مجتمع لا يميز بين الصادقين والكاذبين هو مجتمع مهدد بالاختراق .التمييز هو أساس الاستدامة.
.4مفهوم "بناء القيادة على عدم الانخداع" : القائد الذي ينخدع بالظواهر يضعف .القائد الذي يفرق بين القريب جسداً والقريب قلباً هو القائد القوي.

الأمر الخامس: دور الآية ومفاهيمها في صناعة الشخصية المسلمة والأسرة المسلمة والمجتمع و الحضارة والنهضة في الحياة

صناعة الشخصية المسلمة) بناء الفرد(: الآية تصنع شخصية "المؤمن اليقظ" .شخصية لا تنخدع بـ المظاهر، ولا تغتر بالأقوال، ولا تمنح الثقة بسرعة .هي شخصية تميز بين من هو قريب بجسده ومن هو قريب بقلبه .تعلم أن الله هو الشاهد الحقيقي، فتراقب نفسها وتخافه، ولا تخشى شهادة الناس . هذه الشخصية هي أساس الحصانة الفكرية والأمنية للأمة.

صناعة الأسرة المسلمة) بناء الخلية(: الأسرة التي تدرس هذه الآية هي أسرة "واعية بمخاطر الا ختراق" .الأبوان يعلمان الأبناء ألا يثقوا بكل من قال "أنا معكم" أو "أنا أحبكم" .يعلمانهم أن المبالغة في الإطراء قد تكون خطيرة .الأسرة تخلق جواً من الصدق والصراحة، فلا مكان فيها للنفاق .تتعلم كيف تحمي نفسها من الأصدقاء المزيّفين .هذه الأسرة تنتج أفراداً لا ينخدعون بسهولة.

صناعة المجتمع المسلم) بناء البنية(: المجتمع الذي يفهم هذه الآية هو مجتمع "الوعي الأمني والا جتماعي" .أفراده لا يمنحون الثقة بسهولة .مؤسساته لديها آليات لفحص المنتسبين .إعلامه لا يروج لشخصيات على أساس مظهرها فقط .قيادته تحذر من خطر المنافقين .هذا المجتمع محصن من الا ختراق لأنه يدرك أن العدو قد يكون في الصفوف الأمامية .هذا المجتمع قوي متماسك.

صناعة الحضارة الإسلامية) بناء النموذج(: الحضارة التي تنطلق من هذه الآية هي حضارة "لا تنخدع بـ الأقوال" .هي حضارة تضع معايير للثقة تعتمد على الصدق والثبات، وليس على البلاغة في الشهادة . هي حضارة تربي أبناءها على اليقظة، وتحصّن مؤسساتها من العملاء، وتكشف المنافقين قبل أن يحدثوا ضرراً .هذه الحضارة هي التي ستستمر وتقود، لأنها تعرف كيف تحمي نفسها من الداخل.

النهضة الحقيقية تبدأ عندما تعي الأمة أن الخطر لا يأتي فقط من الخارج، بل من الداخل، من الذين يقفون في الصفوف الأمامية ويقولون بأعلى صوتهم "نشهد أن محمداً رسول الله" وقلوبهم مليئة بـ الكفر والحقد .عندها فقط، تنتبه الأمة، وتتخذ حذرها، وتحمي قيادتها، وتستمر في مسيرتها.

ختاماً: كيف نعمق أثر الآية في حياتنا العملية؟

بعد هذه الرحلة الطويلة في رحاب افتتاحية سورة المنافقون، يبقى السؤال: كيف نجعل هذه الآية حية في تفاصيل يومنا، لا مجرد كلمات نتلوها؟

أولا ً: في كل لقاء: تذكر أن هناك من يأتي إليك ويقول "أنا معك، أنا أحبك، أنا أؤيدك"، لكن قلبه قد يكون مليئاً بالضغينة .لا تنخدع بالمظاهر .اختبر الناس بأفعالهم، لا بأقوالهم.

ثانياً: عند سماع عبارات المبالغة في الإطراء والولاء: إذا سمعت شخصاً يبالغ في شهادته لك أو لجماعتك، توقف وتأكد .الصادق لا يحتاج إلى كل هذه التوكيدات.

ثالثاً: في علاقاتك: فرّق بين الذين هم قريبون منك جسداً فقط) يجلسون معك، يصلون بجانبك (وبين الذين هم قريبون منك قلباً) يشاركونك القيم والمبادئ .(كن حذراً مع الأول، وامنح الثقة للثاني.

رابعاً: في محاسبة نفسك: اسأل نفسك: هل أنا صادق في انتمائي؟ هل أقوالى تتطابق مع معتقداتي؟ أم أنني أظهر شيئاً وأبطن شيئاً آخر؟ لا تكن منافقاً.

خامساً: في كل لحظة: استحضر شهادة الله .الله يشهد على كذب المنافقين، ويشهد لك بالإيمان إذا كنت صادقاً .اسعَ لشهادة الله، لا لشهادة الناس.

اجعل هذه الآية الافتتاحية دستور يقظتك، ومنهج تمييزك بين الصادق والكاذب، وبوصلة ثقتك في الآ خرين .عندها فقط، ستتحول الكلمات إلى نبض، والتلاوة إلى واقع، وستكون من الذين لم ينخدعوا ب المنافقين، واستمسكوا بشهادة الله.

ثانيا

تفسير الآيتين الثانية والثالثة من سورة المنافقون

اتخَذوا أيْمَانهُمْ جُنّةً فَصَدّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ۚ إنّهُمْ سَاءَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأنّهُمْ آمَنُوا ثمّ كفرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ

أولا ً: المدخل التأسيسي للآية

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية

دعني آخذك في رحلة إلى أعماق النفس المنافقة، حيث يتكشف الغطاء عن أخطر أساليب التمويه و الخداع التي يستخدمها المنافقون لحماية أنفسهم ومخططاتهم. بعد أن كشفت الآية الأولى عن مشهد مجيئهم وشهادتهم الكاذبة "نشهد إنك لرسول الله"، ها هي الآية الثانية والثالثة تفضح أسلحتهم الخبيثة التي يتعاملون بها مع المؤمنين: حلف الأيمان الكاذبة والمراوغة والجبن.

تأمل هذا التعبير المذهل: "اتخَذوا أيْمَانهُمْ جُنّةً" . إنهم اتخذوا أيمانهم التي يحلفونها بالله كجُنّة وترس ووقاية. كما يتخذ المحارب الترس ليقي نفسه سهام الأعداء، كذلك المنافقون يتخذون الأيمان الكاذبة ترساً يخفون وراءه حقيقتهم. كلما انكشف أمرهم، أو صدرت منهم فلتة تعبر عما في قلوبهم، أو اتهمهم المؤمنون بشيء، بادروا إلى الحلف بالله أنهم ما قصدوا سوءاً، وأنهم مع المؤمنين، وأنهم لم يفعلوا. هذه الأيمان هي جنتهم التي يستترون بها.

ثم تأتي النتيجة المباشرة لهذا السلوك: "فَصَدّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ" . لقد صدوا أنفسهم، وصدوا غيرهم عن طريق الله. فهم بجبنهم وخوفهم ومراوغتهم، لم يقدروا على المواجهة الصادقة، وفضلوا الكذب و الخداع، فحُرموا من سلوك الطريق المستقيم، وأضاعوا أنفسهم وأضاعوا غيرهم.

ويعلن الله حكمه عليهم: "إنّهُمْ سَاءَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ" . قبحاً لهذا العمل الذي يعملونه. إنه عمل سيء، شنيع، قبيح. وهي صيغة ذم تدل على أقصى درجات الاستهجان.

ثم يأتي التعليل: "ذَلِكَ بِأنّهُمْ آمَنُوا ثمّ كفرُوا" . سبب هذا السلوك الخبيث هو أنهم دخلوا في الإيمان ظاهراً، ثم ارتدوا إلى الكفر باطناً. ذاقوا حلاوة الإيمان، ثم كفروا. هذا هو أصل النفاق: الإيمان ثم الكفر، والتصديق ثم الجحود.

والنتيجة المدمرة: "فَطُبِعَ عَلَىٰ قلُوبِهِمْ" . طبع الله على قلوبهم، أي ختم عليها وختم عليها. فلا يدخلها نور الإيمان، ولا تخرج منها ظلمات الكفر. صارت مغلقة مختومة.

والنتيجة النهائية: "فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ" . فهم لا يفقهون الحقائق ولا يفهمونها. معهم عقول ولكن لا يدركون بها الحق. معهم قلوب ولكن لا يبصرون بها. فَقدوا القدرة على الفقه والفهم الإيماني، بسبب الختم

الذي على قلوبهم.

هاتان الآيتان هما "كشف المستور" عن نفسية المنافق وأساليبه. إنهما تريان أن المنافق يتصف بالجبن الشديد، فلا يواجه الحق، بل يلجأ إلى الحلف الكاذب كلما انكشف أمره. وهو مراوغ لا يحترم العهود ولا الأيمان بالله، يستخدمها كترس واق يحتمي به من لوم المسلمين.

وهما تبيّنان السبب الجذري لكل هذا: الإيمان ثم الكفر، ونتيجته: الطبع على القلوب، ثم الحرمان من الفقه والفهم.

الأمر الثاني: علاقة هذه الآية بما قبلها (الآية 1 من سورة المنافقون)

العلاقة بين هذه الآية (2-3) والآية السابقة (1) هي علاقة "كشف الأسلحة الخبيثة بعد كشف الشهادة الكاذبة".

في الآية السابقة (1)، كشف الله عن جريمتهم الأولى: الشهادة الكاذبة بأنهم يشهدون أن محمداً رسول الله وهم كاذبون. كان ذلك فعلهم العلني، وهم قادمون إلى النبي.

ثم تأتي هذه الآية (2-3) لتكشف عن سلاحهم الآخر: "اتخَذُوا أيْمَانَهُمْ جُنَّةً". إنهم ليسوا فقط يشهدون الشهادة الكاذبة في مقابلة النبي، بل هم يبطنون أسلوباً آخر: كلما انكشف أمرهم، أو وقعوا في موقف محرج، أو سُئلوا عن شيء، أو صدرت منهم فلتة تعبر عن حقدهم على الإسلام، بادروا إلى الحلف بالأيمان المغلظة، متخذين هذه الأيمان جُنّة ووقاية.

العلاقة تفصيلاً:

1. من "شهادتهم الكاذبة" إلى "أيمانهم الكاذبة": الآية الأولى كشفت عن شهادتهم الكاذبة التي يعلنونها في حضور النبي. وهذه الآية تكشف عن أيمانهم الكاذبة التي يستخدمونها في المواقف المختلفة، كلما أحسوا بالخطر أو اللوم.
2. من "مجيئهم" إلى "اتخاذ الأيمان جُنّة": الآية الأولى وصفت مجيئهم الظاهر. والثانية تصف سلوكهم الدفاعي. فمجيئهم هو ليتظاهروا بالإيمان، وأيمانهم هي ليحموا أنفسهم عندما يُسألون أو يُتهمون.
3. من "كذبهم في الشهادة" إلى "صدهم عن سبيل الله": شهادتهم الكاذبة كانت غطاءً لكفرهم. وأيمانهم الكاذبة كانت سبباً في صدهم عن سبيل الله. فالأمر مترابط.
4. من "والله يشهد إن المنافقين لكاذبون" إلى "إنهم ساء ما كانوا يعملون": الآية الأولى أعلنت شهادة الله عليهم بالكذب. والثانية تعلن أن أعمالهم سيئة وقبيحة.
5. من ذكر النفاق في الآية الأولى إلى تعليل النفاق في الثانية: الآية الأولى وصفتهم بأنهم منافقون. والثانية (3) تعلل ذلك: "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا". أي أن سبب نفاقهم هو إيمانهم الظاهر ثم كفرهم الباطن، مما أدى إلى طبع القلوب.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

هاتان الآيتان تحملان بين طياتهما أفكاراً محورية خمسة:

1. اتخاذ الأيمان جُنّة) كشف أسلوب المنافقين(: أن المنافقين لا يحترمون الأيمان بالله. هم يحلفون كذباً، ويستخدمون أيمانهم كترس ووقاية. كلما انكشف أمرهم، أو صدرت منهم فلتة تعبر عن كراهيتهم للإسلام، أو اتهموا بشيء، حلفوا بالله أنهم برآء. هذه الأيمان هي جنتهم التي يتوارون خلفها.
2. الصد عن سبيل الله) نتيجة الجبن والمراوغة(: سلوكهم هذا) اتخاذ الأيمان جُنّة (أدى بهم إلى الصد عن سبيل الله. لقد صدوا أنفسهم بسبب جبنهم وخوفهم ومراوغتهم، فلم يصدقوا في الإيمان، بل تاهوا في الكذب والخداع. وصدوا غيرهم أيضاً، لأن من يراهم يحلفون ويقسمون يظن أنهم صادقون، فيضل بهم.
3. قبح العمل واستهجانه) ساء ما كانوا يعملون(: الله يعلن أن أعمالهم سيئة قبيحة. وهي أعمال قائمة على الكذب والخداع والتضليل والمراوغة. إنها أعمال تتناقض مع الإيمان بالله وعظمته. ولو شعروا بعظمة الله لما أقدموا على الحلف به كذباً.
4. سبب النفاق) آمنوا ثم كفروا(: السبب الجذري لكل هذا هو أنهم دخلوا في الإسلام ظاهراً) آمنوا بألسنتهم (ثم ارتدوا إلى الكفر في قلوبهم. لم يخرجوا من الإسلام تماماً، بل بقي إيمانهم ظاهراً وكفرهم باطناً. وهذا هو لبّ النفاق.
5. طبع القلوب وفقدان الفقه) النتيجة النهائية(: نتيجة هذا الإيمان الظاهر ثم الكفر الباطن، أن الله

ختم على قلوبهم .صارت قلوبهم مغلقة مختومة، لا يدخلها نور الإيمان، ولا تخرج منها ظلمات الكفر . ونتيجة الطبع: أنهم لا يفقهون، أي لا يفهمون الحقائق الإيمانية، ولا يدركون عظمة الله، ولا يشعرون بقبح أعمالهم .فهم فاقدون للعزيمة والإرادة الصادقة للثبات على الحق، فاسدو المقاصد.

الأمر الرابع: أهداف الآية ومقاصدها وأغراضها

ما الذي يريده الله منا من خلال هاتين الآيتين؟ إنهما ليستا مجرد فضح للمنافقين، بل هما "تحذير وتربية وتوعية" . أراد الله أن:

· يفضح أسلوب المنافقين وأدواتهم) الأيمان الكاذبة كجُنّة(: يريد الله أن يعلم المؤمنين أن المنافقين ليسوا مجرد كفار عاديين، بل هم مخادعون يستخدمون أقدس الألفاظ) الحلف بالله (كترس وقاية . فهذا يكشف خطورتهم.
· يربط بين الجبن والمراوغة والنفاق: المنافق يتصف بالجبن الشديد، فهو لا يجرؤ على إعلان كفره، و لا يجرؤ على مواجهة المؤمنين، بل يختبئ وراء الأيمان الكاذبة .وعدم احترام العهود والقسم بالله دليل على عدم الإيمان بالله حقاً.
· يبين أن الفلتات والزلات تكشف خفايا النفوس: أحياناً تفلت من المنافق كلمة أو تصرف يعبر عن حقدهم على الإسلام وكراهيتهم لمبادئه وتمني زوال المسلمين .وهذه الفلتات تعبر عن خفاياهم الحقيقية وتظهر حقائق ما يخفون في صدورهم .وعندها يلجأون إلى الحلف بالله كذباً لتبرير موقفهم أو الاعتذار .وهذا يدل على جبنهم ومراوغتهم.
· يبين أن الاعتراف خير لهم من الحلف الكاذب: لو اعترفوا بخطئهم وطلبوا العفو لكان خيراً لهم . لكنهم يتصورون أنفسهم أذكياء، ويظنون أنهم يخدعون الناس بأيمانهم .فيستمرون في غيهم وكذبهم.
· يبين سبب الطبع على القلوب: أن الإيمان الظاهر ثم الكفر الباطن يسبب طمس نور الإيمان من القلب .ومصدر النور هو القلب .فإذا فسد موطن القيادة الفكرية والروحية) القلب(، فسد التفكير كله، واضطرب القصد، وخبُل التوجه، وفقدت القدرة على فهم حقائق الأشياء.
· يؤكد أن فقدان الفقه) الفهم الإيماني (هو نتيجة الختم: المنافقون لا يفقهون، ليس لأن عقولهم ناقصة، بل لأن قلوبهم مختومة .الرؤية القلبية مفقودة عندهم، فلا تبصر الحق، ويحصل لهم غطاء على قلوبهم يحول بينهم وبين النور الرباني بالرؤية القلبية.

ثانياً: تحليل الآية (رحلة في أعماق النص)

المحور الأول: تحليل (اتخَذُوا أيْمَانَهُمْ جُنّةً)

1/ دلالة "اتخَذُوا") الفعل الماضي بصيغة الافتعال(

"اتخذوا" فعل ماضٍ مزيد بالهمزة والتاء، يفيد التكلف والتصنع .لم تكن الأيمان جنة لهم بشكل طبيعي، بل هم الذين اتخذوها وتكلفوا الحلف لتكون جنة .أي أنهم تحملوا مشقة الحلف الكاذب، وتصنعوا البراءة، ليكون ذلك وقاية لهم .وفيه إشارة إلى أن هذا الأسلوب مكتسب وليس فطرياً، ولكنه صار لهم عادة.

2/ دلالة "أيْمَانَهُمْ") جمع يمين(

· "أيمانهم" : جمع يمين، وهي القسم والحلف بالله .ولم يقل "أيمانهم" ليفيد الكثرة .فهم لا يحلفون مرة أو مرتين، بل يكثرون من الحلف، ويغلظون الأيمان، كلما دعت الحاجة.
· إضافة الأيمان إليهم : "أيمانهم" أي الأيمان التي يحلفونها هم .وهي أيمانهم وليست أيمان غيرهم . اختاروا هم أن تكون هذه الأيمان جنتهم.
· اليمين بالله عند المنافق : لا يشعرون بعظمة الله، ولا يهابونه، فيستهينون بالحلف به كذباً .وهذا دليل على عدم الإيمان الحق، وتبلد المشاعر، وغفرة في قلوبهم، وفقدان اليقين الذي فيه نور الإيمان.

3/ دلالة "جُنّةً"

· "جُنّةً" : هي ما يتقي به الإنسان، من جَنَهُ أي ستره ووقاه .وهي الترس الذي يستره من الضربات.
· استعارة "اتخذوا أيمانهم جُنّة" : استعارة تصويرية بليغة .شبهوا أنفسهم بالمقاتلين، وشبهوا أيمانهم الكاذبة بالترس الذي يستره من اتهامات المؤمنين ومن لومهم .فهم كلما انكشف أمرهم، أو اتهموا

بشيء، أو صدرت منهم فلتة، ترسوا بأيمانهم، واحتموا بها .وهذا يعكس صفة الجبن والخوف و المراوغة عند المنافق.
· الفرق بين جُنّة المؤمن وجُنّة المنافق : المؤمن جُنّته تقواه وعمله الصالح .والمنافق جُنّته أيمانه الكاذبة .فانظر إلى الفرق.

4/ الفلتات والتبريرات والعلاقة بين الحلف والصد

المنافق إذا انكشف أمره أو صدرت منه فلتة تعبر عن حقدهم على الإسلام أو تمني زوال المسلمين، بادروا إلى الحلف بالله وتغليظ الأيمان ليتبرؤوا مما نسب إليهم. يتخذون هذه الأيمان تبريراً لموقفهم المخزي، ويظنون أنفسهم أذكياء. وهذا هو سبب صدهم عن سبيل الله: لأنهم كلما أخطأوا تبرأوا بكذبهم، فلم يتوبوا ولم يعترفوا، فاستمروا في غيهم.

5/ دلالة التنغيم الصوتي في "اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً"

تلاوة هذه العبارة فيها نغمات متوافقة مع معنى الخداع والمراوغة. فالكلمات تتوالى بحروف فيها شدّة وخفاء، تعطي إحساساً بأن هناك شيئاً مخفياً وراء هذه الأيمان.

6/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: كشف آلية الدفاع عند المنافق) الإنكار والحلف الكاذب .(عندما يواجه المنافق باتهام أو يفضح أمره، أول ما يفعله هو الحلف بالله أنه بريء .هذه آلية دفاع نفسية قائمة على الخوف والجبن.
.2الرسالة التربوية: تعليم الأبناء أن كثرة الحلف علامة على عدم الثقة .من يكثر من الحلف والقسم على صدقه، غالباً ما يكون كاذباً .فالصادق يصدق بلا قسم.
.3الرسالة الفكرية: الحلف بالله ليس مجرد كلمات، بل هو تعظيم لله .فمن يستهين بالحلف بالله كذباً، دليل على أن الله ليس عظيماً في قلبه.
.4الرسالة العملية: لا تقبل أعذار من يكثر من الحلف عند الخطأ .إذا أخطأ شخص ثم بادر إلى الحلف بالله أن قصده الخير، فلا تصدقه مباشرة، بل اختبره.

المحور الثاني: تحليل (فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)

1/ دلالة "فَصَدُّوا") الفاء للسببية(

الفاء هنا للسببية والتعقيب. أي نتيجة لاتخاذهم الأيمان جُنّة، صَدُّوا عن سبيل الله. فسلوكهم هذا (الحلف الكاذب والمراوغة) هو الذي حال بينهم وبين الهداية والطريق المستقيم. لم يصدهم الله، بل هم الذين صدوا أنفسهم بأعمالهم الخبيثة.

2/ دلالة "صَدُّوا"

· "صدوا" : بمعنى منعوا وأعرضوا .وهي تفيد صد أنفسهم) أي منعوا أنفسهم عن الهداية (وصد غيرهم)إضلال الناس بمراوغتهم وأيمانهم الكاذبة.(
· علاقة الاتخاذ بالصد : هم يتخذون الأيمان جُنّة ليحموا أنفسهم، ولكن عاقبة هذا أنهم يصدون أنفسهم عن طريق الله .فما ظنوه حماية هو في الحقيقة تدمير.

3/ دلالة "عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ"

· "سبيل الله" : هو طريق الإسلام والهداية والإيمان المستقيم.
· الصد عن السبيل : الانصراف عنه، والابتعاد عنه، وعدم السير فيه.
· سبب الصد : جبنهم وخوفهم ومراوغتهم وكذبهم، وعدم احترامهم للعهود والأيمان.

4/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: الكذب والمراوغة يحجبان عن الطريق الصحيح .من اعتاد الكذب والمراوغة، يصبح بعيداً عن الحق وعن الهداية.
.2الرسالة التربوية: تعليم الأبناء أن الصدق هو طريق النجاة .الصادق يصل إلى سبيل الله، والكاذب

المراوغ يبتعد.
.3الرسالة الفكرية: الضلال نتيجة الأسباب الذاتية .ليس أحد يصد عن سبيل الله إلا بأعماله وكسبه.
.4الرسالة العملية: لا تبرر أخطاءك بالكذب، فذلك يبعدك .إذا أخطأت، اعترف، ولا تحلف كذباً.

المحور الثالث: تحليل (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ)

1/ دلالة "إِنَّهُمْ") التوكيد(

"إن" للتوكيد، والضمير عائد على المنافقين .هذا توكيد أنهم هم المقصودون بهذا الذم، وأن حكمهم ثابت لا شك فيه.

2/ دلالة "سَاءَ") فعل الذم(

"ساءَ" فعل ماضٍ جامد يستخدم للذم .وهو يدل على أقصى درجات القبح والشناعة .و "ساء" هنا بمعنى "قبح وشنع" .وكأن الله يقول: قبحاً لهم، وشنعاً لعملهم.

3/ دلالة "مَا" الموصولة

"ما" موصولة بمعنى "الذي" أو "الشيء" .أي أن العمل الذي يعملونه هو عمل سيء قبيح.

4/ دلالة "كانُوا يَعْمَلُونَ"

"كانوا" تدل على أن العمل صار لهم صفة مستمرة، ليس عارضاً .و "يعملون" مضارع يدل على التجدد . فهم دائمي العمل بهذه الأعمال القبيحة) الكذب، المراوغة، الخداع، التضليل، الحلف الكاذب .(وهو أسلوب ذم وتقبيح.

5/ علاقة الذم بما سبق) اتخاذ الأيمان والصد(

الله يذمهم على عملهم (اتخاذ الأيمان جُنّة والصد عن السبيل). فهو يعلن أن هذا العمل قبيح عند الله ، لا يرضاه، ويستحق الذم الشديد.

6/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: الشعور بقبح الذنوب والاستهانة بها .الآية تزرع في نفس المؤمن أن هذه الأعمال)الكذب، الحلف الكاذب، المراوغة (قبيحة ومستهجنة عند الله.
.2الرسالة التربوية: تعليم الأبناء أن الله يمقت الأعمال القبيحة .لا يكفي أن تخبرهم أن الكذب حرام، بل أخبرهم أن الله يذمه ويقبحه.
.3الرسالة الفكرية: الذم الإلهي هو أعلى درجات الاستهجان .إذا ذم الله عملا ً، فهو أسوأ الأعمال.
.4الرسالة العملية: الابتعاد عن الأعمال التي يذمها الله .إذا كنت تفعل شيئاً تخافه يذمه الله، فاتركه.

المحور الرابع: تحليل (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا)

1/ دلالة "ذَٰلِكَ") اسم الإشارة(

"ذلك" إشارة إلى ما سبق من أعمالهم القبيحة) اتخاذ الأيمان جُنّة والصد عن سبيل الله .(والإشارة للبعيد للتعظيم .أي أن هذه الأعمال العظيمة القبح سببها كذا.

2/ دلالة "بِأَنَّهُمْ") الباء للسببية(

الباء للسببية، أي أن سبب كل هذا هو أنهم آمنوا ثم كفروا.

3/ دلالة "آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا"

· "آمنوا" : إيمان ظاهر، إيمان باللسان، إيمان مشوب بالكذب والمراوغة.
· "ثم" : للترتيب مع التراخي .تفيد أنهم أقاموا في الإيمان فترة، ثم كفروا بعد ذلك.
· "كفروا" : كفر باطن، كفر القلب، وليس كفراً ظاهراً .فهم لم يعلنوا الكفر، لكنهم كفروا في سرائرهم.

· لماذا "آمنوا ثم كفروا" أشد من الكفر الأصلي؟ لأنهم عرفوا طعم الإيمان، وذاقوا حلاوته، ثم ارتدوا عنه .فجرائمهم أشد .وهم أشد خطراً على الأمة لأنهم يستخدمون معرفتهم بالإسلام للإفساد فيه.

4/ دلالة العلاقة بين الإيمان والكفر والنفاق

النفاق هو الإيمان الظاهر والكفر الباطن. فوصف "آمنوا ثم كفروا" هو وصف للنفاق بعينه. فهم مروا بمرحلة إيمان (ظاهر) ثم كفروا (قلباً). ولكنهم لم يعلنوا الكفر، بل استمروا في إظهار الإيمان. وهذا هو عين النفاق.

5/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: خطورة الارتداد بعد الإيمان .من ذاق حلاوة الإيمان ثم كفر، يكون أشد عذاباً من الكافر الأصلي.
.2الرسالة التربوية: تربية الثبات على الإيمان .علم أبناءك أن الثبات على الإيمان نعمة، وعليهم أن يحافظوا عليها.
.3الرسالة الفكرية: النفاق هو الإيمان ثم الكفر .هذا هو التعريف الدقيق للنفاق الأكبر.
.4الرسالة العملية: لا تظن أن مجرد النطق بالشهادة يكفي .الإيمان يحتاج إلى ثبات واستمرار وصدق.

المحور الخامس: تحليل (فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ)

1/ دلالة "فَطُبِعَ") الفاء للسببية، الفعل المبني للمجهول(

الفاء للسببية: نتيجة لِما فعلوه (آمنوا ثم كفروا)، طبع على قلوبهم. وبناء الفعل للمجهول (طُبع) يدل على أن الفاعل هو الله. وهو طبع وختم ليس ظلماً، بل جزاءً على كفرهم. و "طبع" أشد من "ختم"، فالطبع هو الختم الذي لا يمكن فكه.

2/ دلالة "طُبِعَ" مقابل "خُتِمَ"

· الختم : قد يكون قابلا ً للفتح والرفع أحيانا) كختم الكتب.(
· الطبع : هو الختم الذي لا يفتح، وهو أشد .وهو الجعل على الشيء بحيث لا يدخله شيء .فالطبع على القلوب يعني أنها صارت مغلقة تماماً، لا يدخلها نور الإيمان، ولا تخرج منها ظلمات الكفر.

3/ دلالة "عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ"

القلوب هي موطن القيادة الفكرية والعقائدية. وهي المصدر الذي ينبع منه النور الإيماني. فالطبع على القلوب يعني تعطيل هذه القيادة، وإفساد هذا المصدر. فإذا فسد موطن القيادة، فسد التفكير كله، واضطرب القصد، وخبل التوجه، وفقدت القدرة على فهم حقائق الأشياء.

4/ دلالة "فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ"

· "لا يفقهون" : أي لا يفهمون، ولا يدركون، ولا يعون الحقائق الإيمانية .فَقدُ الفقه والفهم هو نتيجة الختم على القلوب .قلوبهم لا تبصر، فلا تبصر طريق الحق، ولا تميز بين الخبيث والطيب.
· الرؤية القلبية مفقودة : الرؤية القلبية) البصيرة (هي التي تدرك بها القلوب الحق .فإذا طبع على القلوب، فقدت هذه الرؤية، فلا يرى المنافق الحق، ويصبح في ضلال واضطراب.
· فقدان العزيمة والإرادة : نتيجة فقدان الفقه، يفقدون العزيمة والإرادة للثبات على الحق، ويصبحون عاجزين عن الصمود أمام الشهوات والشبهات.

5/ دلالة التنغيم الصوتي في "طُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ"

تلاوة هذه العبارة فيها حروف مفخمة ومغلظة، تعطي إحساساً بالشدة والقفل والإغلاق. إنها تصل إلى السامع حالة القلب المسدود المظلم.

6/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: التحذير من تصلب القلب .القلب إن استمر على الكذب والكفر، يطبع عليه، فيصبح

لا يتأثر بوعظ ولا يهتدي بنور.
.2الرسالة التربوية: الحفاظ على رقة القلب .بالتوبة والاستغفار والعمل الصالح .لا تترك قلبك يقسو.
.3الرسالة الفكرية: فساد القيادة الفكرية) القلب (يؤدي إلى ضلال كامل .إذا فسد القلب، فسد كل شيء .فالإصلاح يبدأ من القلب.
.4الرسالة العملية: الدعاء بثبات القلب وعدم الطبع عليه .أكثر من الدعاء: "يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك".

ثالثاً: اللطائف واللمسات البيانية والبلاغية من الآية

إن من خلال تدبر البناء اللغوي والبياني لهاتين الآيتين نجد ما يأسر القلب، ويظهر الإعجاز في كل حرف:

الاستعارة التصويرية في "اتخَذُوا أيْمَانَهُمْ جُنَّةً" : استعارة بليغة صورت المنافقين كمقاتلين، وأيمانهم كترس. فهذا التصوير يكشف عن عقلية المنافق الدفاعية المراوغة. وكأنه في حالة حرب مستمرة مع المؤمنين، لكنه لا يحارب بسلاح، بل يحارب بجُنّة الأيمان الكاذبة.

الجمع في "أيْمَانَهُمْ" : جمع أيمان، يفيد الكثرة. فهم ليسوا يحلفون مرة، بل يكثرون من الحلف حتى صارت الأيمان صفة لهم.

التنكير في "جُنَّةً" : تنكير للدلالة على أنهم اتخذوها أي جُنّة، مهما كانت، ولو كانت رديئة وضعيفة. وهو أيضاً للتحقير، فهذه الجُنّة واهية لا تنفع.

الفاء في "فَصَدُّوا" : الفاء للسببية والتعقيب، تفيد أن الصد عن سبيل الله كان نتيجة فورية ومباشرة لاتخاذهم الأيمان جُنّة. فكلما حلفوا كذباً، ازدادوا صداً وبعداً عن الله.

جملة "إنَّهُمْ سَاءَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ" : جملة اسمية مؤكدة بـ "إن" للتوكيد. وفعل الذم "ساء" وفيه تعجيب من قبح فعلهم. و "ما" الموصولة للتعظيم والتوكيد. و "كانوا يعملون" للدلالة على الاستمرار.

اسم الإشارة "ذَٰلِكَ" : إشارة إلى البعيد للتعظيم، مع أن المذكور قريب. لتتعظيم ما سبق من أعمال قبيحة، وليبعدوها عن الخير.

الباء في "بِأَنَّهُمْ" : الباء للسببية، تفيد أن سبب كل هذا القبح هو هذا الأمر.

"ثُمَّ" في "آمَنُوا ثُمَّ كفَرُوا" : "ثم" للتراخي، تفيد أنهم أقاموا في الإيمان فترة من الزمن، ثم كفروا . وهذا أشد من الكفر المباشر.

الفاء في "فَطُبِعَ" : الفاء للسببية والتعقيب، تفيد أن الطبع على القلوب كان نتيجة فورية للكفر.

البناء للمجهول في "طُبِعَ" : إسناد الفعل إلى الله دون ذكره، ولكن المعنى يفيد أن الله هو الطابع. وفي هذا إشارة إلى أن الطبع على القلوب من عقوبات الله.

التصريح بـ "عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ" : بالذكر الصريح للقلوب لبيان أن العطب في موطن القيادة الفكرية. فالقلب هو الذي فسد فأفسد كل شيء.

"فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" : جملة اسمية مؤكدة بالفاء، تفيد أن هذا النفي للفقه هو نتيجة حتمية للطبع.

التنغيم الصوتي وإظهار الحروف : تلاوة الآيات فيها تنغيم شديد في كلمات "ساء" و "طبع" و "لا يفقهون"، يعطي إحساساً بالقسوة والإغلاق والظلمة. في مقابل التراكيب اللينة في وصف الإيمان.

خلاصة بلاغية: الآيتان تجمعان بين الاستعارة البليغة (اتخذوا أيمانهم جُنّة)، والفاءات المتتابعة للسببية (فصدوا، فطبع، فهم لا يفقهون)، والتوكيد بـ "إن" و "ساء"، والإشارة التعظيمية (ذلك)، والبناء للمجهول (طبع)، والذكر الصريح للقلب كمصدر للفساد. إنها لوحة متكاملة تكشف عن أخطر أسلحة المنافقين: الأيمان الكاذبة كجُنّة، وتكشف عن سبب انحرافهم وضلالهم وطمس قلوبهم.

رابعاً: الدروس والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها هذه الآية

تعالج هاتان الآيتان قضايا عقدية ونفسية وأمنية عميقة، منها:

· ظاهرة الكذب والخداع والمراوغة عند المنافقين: كيف يستخدم المنافقون الأيمان الكاذبة كوسيلة للوقاية من المؤمنين ودفع اللوم عنهم.
· الجبن والخوف كسمة أساسية في المنافق: المنافق لا يملك شجاعة المواجهة، ولا يجرؤ على إعلان كفره، بل يلجأ إلى الحلف الكاذب كلما انكشف أمره.
· الفلتات اللسانية كاشفة لخفايا القلوب: أن المنافق قد تفلت منه كلمة أو تصرف يفضح حقيقته، فيسارع إلى الحلف بالله كذباً لتبرير موقفه المخزي.
· العلاقة بين الإيمان ثم الكفر والطبع على القلوب: أن النفاق) الإيمان الظاهر ثم الكفر الباطن (يؤدي إلى ختم القلب وعدم القدرة على الفقه والفهم.
· فقدان العزيمة والإرادة بسبب فساد القيادة القلبية: عندما يفسد القلب، يفقد الإنسان القدرة على الصمود على الحق، ويضطرب قصده.

الأمر الثاني: ماذا يريد الله منا من خلال هذه الآية، وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولا ً: ماذا يريد الله منا؟ (المراد الإلهي)

.1ألا نكون مثل المنافقين في جبنهم وكذبهم: نتحلى بالشجاعة والصدق، ولا نلجأ إلى الحلف الكاذب لتبرير أخطائنا.
.2أن نعرف أن كثرة الحلف والقسم دليل على ضعف الإيمان وقلته: المؤمن القوي لا يحتاج إلى قسم ، فصدقه وتاريخه يكفي.
.3أن ندرك أن الاعتراف بالخطأ خير من الحلف الكاذب: إذا أخطأنا، نعترف ونتوب، ولا نضيف إلى الخطأ خطيئة الحلف الكاذب.
.4أن نحافظ على قلوبنا من الطبع والختم: بالتوبة والاستغفار والصدق والثبات على الإيمان.
.5أن نطلب الفقه في الدين) الفهم العميق(: الفقه ثمرة القلب النقي، والطبع على القلب يمنعه.

ثانياً: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟ (التطبيق العملي)

.1دعوة إلى "ترك الحلف بالله كذباً" : لا تحلف بالله إلا إذا كنت صادقاً100 % .واعلم أن الحلف الكاذب من صفات المنافقين.
.2دعوة إلى "الاعتراف بالخطأ وعدم التبرير بالحلف" : إذا أخطأت، اعترف واعتذر، ولا تحلف أنك لم تقصد السوء .الاعتراف يفتح باب التوبة، والجحود يغلق القلوب.
.3دعوة إلى "اليقظة من فلتات المنافقين" : إذا رأيت من يكثر من الحلف والإقسام عند اتهامه، أو تفلت منه كلمة تعبر عن كراهية الإسلام، فاعرف أنه منافق.
.4دعوة إلى "طلب الفقه والفهم الصحيح للدين" : الفقه ليس حفظ معلومات، بل فهم عميق يخرج من القلب النقي .اجعل قلبك نقياً بالفقه.
.5دعوة إلى "الحذر من الإيمان الظاهر بلا باطن" : لا تكن ممن يظهرون الإيمان بألسنتهم وقلوبهم خ الية .اجعل إيمانك قلبياً قبل لساني.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية الكريمة قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

لتحويل هاتين الآيتين من "نص متلو" إلى "واقع ملموس"، اتبع هذه المنهجية المكونة من أربع مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة "الاستحضار الواعي" (قبل البدء): قبل أن تقرأ الآيتين، استحضر أن الله يفضح أسلوب المنافقين في الكذب والمراوغة. استحضر أن هذه الآيات تحذير لك أن لا تكون مثلهم. اسأل نفسك: هل ألجأ إلى الحلف الكاذب عندما أخطئ؟ هل أخاف من الاعتراف بالخطأ؟

المرحلة الثانية: مرحلة "التفكيك التحليلي" (فهم الموقف): حلل سلوكك على ضوء هذه الآية:

· هل عندما أخطئ، أبرر خطئي بالحلف بالله أني لم أقصد؟ أم أعترف وأعتذر؟

· هل أشعر بعظمة الله حين أحلف؟ أم أستهين بالحلف به؟
· هل إيماني قلبياً أم لساني فقط؟ هل أشعر بحلاوة الإيمان؟
· هل أشعر بأن قلبي قاس، وأني لا أفقه الدين فهماً عميقاً؟ ما سبب ذلك؟

المرحلة الثالثة: مرحلة "التفعيل العملي" (تحويل المفهوم إلى سلوك):

· فعّل ترك الحلف بالله كذباً: اجعل لنفسك قاعدة: لا تحلف بالله أبداً، إلا إذا كنت صادقاً مضطراً . وكثرة الحلف مذمومة.
· فعّل الاعتراف بالخطأ: إذا أخطأت، أسرع إلى الاعتراف والاعتذار .لا تحلف .هذا أفضل لك عند الله وعند الناس.
· فعّل طلب الفقه: اقرأ القرآن بتدبر، واستمع إلى الدروس العلمية، واسأل أهل العلم عن دقائق الأمور.
· فعّل حماية قلبك: ابتعد عن الذنوب، وأكثر من الاستغفار، وحافظ على الصلاة بخشوع، واجلس مع الصالحين.

المرحلة الرابعة: مرحلة "الانعكاس التقويمي" (المراجعة): في نهاية كل أسبوع، اسأل نفسك:

· هل حلفت بالله هذا الأسبوع كذباً؟
· هل اعترفت بخطئي أم بررت بالحلف؟
· هل شعرت بتقدم في الفقه والفهم؟
· هل شعرت بصلاح قلبي؟

الأمر الرابع: ما الذي نستلهمه من الآية من دروس وعبر وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية؟

أولا ً: الدروس المستلهمة (الرؤية)

.1درس "أيمان المنافق جُنّته" : المنافق يلجأ إلى الحلف الكاذب كآلية دفاع .لا تنخدع بمن يحلف كثيراً.
.2درس "الجبن والمراوغة سمة المنافق" : المنافق لا يجرؤ على المواجهة الصادقة .تحلّ بالشجاعة وقل الحق.
.3درس "الاعتراف خير من الحلف" : لو اعترف المنافقون بخطئهم لكان خيراً لهم .فاعترف أنت بخطئك.
.4درس "القلب إذا طبع لا يفقه" : إذا استمر الإنسان في النفاق والكذب، يطبع الله على قلبه، فيفقد القدرة على الفهم والفقه.
.5درس "الإيمان ثم الكفر أشد من الكفر الأصلي" : المرتد أشد عذاباً .فاحرص على ثباتك على الإ يمان.

ثانياً: كيفية التطبيق في الحياة العملية (التنفيذ)

.1بصفتك مسلماً: لا تجعل الحلف بالله عادة .وإذا أخطأت، اعترف ولا تحلف .هذا يطهر قلبك.
.2بصفتك مديراً أو أباً: إذا أخطأ مرؤوسك أو ابنك وبادر إلى الحلف بالله أنه لم يقصد، فلا تصدقه بسرعة .اختبره، وعلّمه أن الاعتراف أفضل.
.3بصفتك داعية: اشرح للناس خطر الحلف الكاذب، وبيّن أنه من صفات المنافقين .وعلّمهم أن الا عتراف بالخطأ يفتح باب التوبة.
.4بصفتك مراقباً لقلبك: أكثر من الدعاء أن لا يطبع الله على قلبك، وأن يرزقك الفقه في الدين . احفظ قلبك بالصدق والتوبة.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

أولا ً: المهارات الحياتية

.1مهارة "تجنب الحلف الكاذب" : القدرة على الامتناع عن استخدام الحلف بالله كوسيلة لتبرير الأ خطاء أو دفع اللوم .هذه المهارة تحمي القلب من الطبع.
.2مهارة "الاعتراف بالخطأ" : القدرة على الاعتراف بالخطأ مباشرة، والاعتذار عنه، دون اللجوء إلى التبريرات أو الحلف .هذه المهارة تفتح باب التوبة.
.3مهارة "كشف المراوغين والمخادعين" : القدرة على ملاحظة أن من يكثر من الحلف والإقسام عند

اتهامه، أو يكثر من المبالغة في التبرير، فهو غالباً مراوغ.
.4مهارة "حماية القلب من الطبع": القدرة على الحفاظ على نقاء القلب بالصدق والتوبة والاستغفار، لئ لا يطبع الله عليه.

ثانياً: المهارات المعرفية

.1مهارة "فهم علاقة النفاق بالقلب : إدراك أن النفاق ليس سلوكاً عارضاً، بل هو حالة قلبية تؤدي إلى طبع القلب وفقدان الفقه.
.2مهارة "التمييز بين الإيمان الظاهر والقلبي" : القدرة على التفريق بين من آمن بلسانه فقط، وبين من آمن بقلبه وصدقه.
.3مهارة "تحليل آلية الدفاع عند المنافق": فهم أن المنافق عندما يواجه باتهام، أول ما يفعل هو الحلف بالله كذباً .هذه المعرفة تمنع الانخداع.

ثالثاً: المهارات العملية

.1مهارة "الاعتراف الفوري بالخطأ":)عند ارتكاب خطأ، المبادرة إلى الاعتراف به والاعتذار، دون انتظار أو تبرير .هذه مهارة عملية لعلاج الكذب.
.2مهارة "استحضار عظمة الله عند الحلف" : عند الحاجة إلى الحلف، استحضر أنك تحلف بالله العظيم، فاحذر الكذب.
.3مهارة "اختبار الناس بالصدق لا بالأيمان" : لا تقبل شهادة أحد أو تبريره لمجرد أنه حلف .اختبر صدقه بتاريخه وسلوكه.

خامساً: الوقفات والتأملات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

للفهم العميق لهاتين الآيتين، علينا أن ننظر إليهما كـ "تحليل نفسي للمنافق وكشف لآليات دفاعه" . الفهم العميق يتجاوز التفسير اللفظي (اتخاذ الأيمان جُنّة) إلى مستويات أعمق:

مستوى "الجبن هو أصل النفاق" : المنافق يخاف من المواجهة، يخاف من إعلان كفره، يخاف من عواقب صدقه. فهو يلجأ إلى الكذب والحلف كجُنّة. هذا الفهم يربط بين النفاق والجبن النفسي.

مستوى "الفلتات تكشف الباطن" : المنافق قد يصبر ويتحمل، لكن في لحظة غضب أو فلتة، تظهر حقيقته. كلمة تخرج منه تعبر عن حقد دفين، أو تصرف يدل على كراهية الإسلام. ثم يبادر إلى الحلف لتبرير الفلتة. هذا الفهم يجعل المؤمن يقظاً لهذه الفلتات.

مستوى "الطبع على القلب هو فقدان النور الإيماني" : القلب هو مصدر النور. فإذا طبع عليه، يحصل غطاء يمنع النور من الوصول إلى الرؤية القلبية. فيصبح الإنسان فاقداً للبصيرة، لا يفقه الحقائق. هذا الفهم يفسر ضلال المنافق واضطرابه.

الأمر الثاني: كيف تغير الآية من نظرتك للحياة؟

هاتان الآيتان ليستا مجرد فضح للمنافقين، بل هما "تحول في معايير الثقة والصدق" :

.1تغير نظرتك إلى "الحلف بالله" : لم يعد الحلف بالله مجرد كلمات عابرة .إذا رأيت شخصاً يكثر من الحلف والقسم، خاصة عند اتهامه، ستتوقف وتتساءل: لماذا كل هذا الحلف؟ علام يخفي؟
.2تغير نظرتك إلى "الاعتراف بالخطأ" : ستعلم أن الاعتراف بالخطأ هو من صفات المؤمنين، أما الحلف الكاذب لتبرير الخطأ فهو من صفات المنافقين .ستختار الاعتراف ولو كان مؤلماً.
.3تغير نظرتك إلى "القلب" : ستعلم أن القلب هو ملك الجسد .إذا فسد القلب فسد الجسد كله .وإذا طبع الله على القلب، ضل الإنسان وفقد الفقه.
.4تغير نظرتك إلى "الإيمان الظاهر" : لن تنخدع بمن ينطق بالشهادة ويصلي معك .قد يكون في قلبه كفر ونفاق .ستبحث عن علامات الصدق والثبات.
.5تغير نظرتك إلى "الفلتات اللسانية" : ستنتبه إلى كلمات الناس وتصرفاتهم التي تخرج في لحظات الغضب أو الانفعال .فقد تكون هذه الفلتات هي المفتاح لحقيقتهم.

الأمر الثالث: وقفات تأملية من الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة "الجُنّة والترس" : تخيل جندياً يخاف من المعركة، فيتخذ ترساً ضخماً يختبئ وراءه. المنافق مثل هذا الجندي الجبان. جُنّته هي أيمانه الكاذبة. هذه الوقفة تجعلك تتأمل: هل أنت جبان في مواجهة الحق؟

الوقفة الثانية: وقفة "الفلتة المفضحة" : تتذكر موقفاً حدث أمامك، حيث انفعل شخص، وخرجت منه كلمة تعبر عن كراهية الإسلام أو كراهية بعض مبادئه، ثم سارع إلى الحلف بالله أنه لم يقصد. هذه الوقفة تذكر: الفلتات تكشف الحقيقة.

الوقفة الثالثة: وقفة "الاعتراف خير من الحلف" : لو أن المنافق اعترف وقال: "نعم، ضعف إيماني، نعم، أخطأت" لكان خيراً له. لكنه أصر على الحلف والكذب فطبع الله على قلبه. هذه الوقفة تدفعك إلى الا عتراف.

الوقفة الرابعة: وقفة "القلب المختوم" : تخيل قلباً مغلقاً تماماً، لا يدخله ضوء ولا هواء. هذا قلب المنافق. لا يستطيع أن يخرج نور الإيمان، ولا يستطيع أن يدخل إليه. هذه الوقفة تدفعك للدعاء بسلا مة قلبك.

كيف تنقل هذه الوقفات إلى فريقك أو أسرتك؟

· ناقشهم: "ماذا نفعل عندما نخطئ؟ هل نعترف أم نحلف كذباً؟".
· احكِ لهم قصة المنافقين وكيف كانوا يحلفون.
· اطلب منهم أن يذكروا موقفاً رأوا فيه شخصاً يحلف كثيراً عند اتهامه.

الأمر الرابع: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

.1نتعلم أن "الصدق هو الطريق إلى سلامة القلب" : الصادق لا يحتاج إلى حلف كاذب، ولا يخاف من الاعتراف .الصدق ينقي القلب.
.2نتعلم أن "الاعتراف بالخطأ مكرمة" : قد تظن أن الاعتراف يضعفك، لكنه عند الله يرفعك .الاعتراف يمنع طبع القلب.
.3نتعلم أن "الحلف الكاذب يطبع القلب" : كلما حلفت كذباً، ازداد قلبك قسوة وظلمة، حتى يطبع عليه.
.4نتعلم أن "الفقه في الدين ثمرة القلب السليم" : من أراد أن يفهم الدين فهماً عميقاً، فعليه بتطهير قلبه من الكذب والنفاق.
.5نتعلم أن "المنافقون يفضحهم الله ولو تأخر" : قد يخدعون الناس زماناً، لكن الله يفضحهم في الدنيا والآخرة.

سادساً: أبعاد وآفاق ومفاهيم وقيم الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

إن هاتين الآيتين ليستا مجرد وصف للمنافقين، بل هما نافذة على أبعاد متعددة:

البعد النفسي (تحليل آليات الدفاع عند المنافق): الآية تحلل أعمق آليات الدفاع النفسي للمنافق: الإنكار ، والإسقاط، والحلف الكاذب، وتبرير الموقف بالكذب. هذا البعد يساعد في فهم علم النفس الإجرامي.

البعد العقدي (العلاقة بين الإيمان والقلب): الآية تؤكد أن الإيمان الحقيقي هو ما استقر في القلب، وأن النفاق هو إيمان ظاهر بلا باطن. وإصرار المنافق على الكذب يؤدي إلى طبع القلب.

البعد الأخلاقي (قبح الكذب والحلف به): الآية تقبح عمل المنافقين (اتخاذ الأيمان جُنّة) وتعلن أن عملهم سيء. هذا يرسخ قيمة الصدق وذم الكذب.

البعد التربوي (الاعتراف بالخطأ خير من التبرير): الآية تعلم أن الاعتراف بالخطأ يمنع استمرار الضلال،

وأن التبرير بالكذب يؤدي إلى الطبع على القلب.

البعد الحضاري (خطورة المنافقين على الأمة): من خلال فضح أسلوبهم، تحذر الأمة من خطر الذين يظهرون الولاء ويبطنون الكفر، ويستخدمون الأيمان الكاذبة لتضليل المؤمنين.

الأمر الثاني: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

لتحويل هاتين الآيتين إلى مفاهيم عملية (مفاهيم عملية) نعيشها في واقعنا، يمكننا استخلاص أربعة مفاهيم جوهرية:

.1مفهوم "الجُنّة الكاذبة" : أن يستخدم الإنسان أقدس الألفاظ) الحلف بالله (كستار ليخفي حقيقته وكذبته .هذا المفهوم يحذر من الانخداع بمن يكثر من الحلف.
.2مفهوم "الاعتراف يفتح، والجحود يغلق" : الاعتراف بالخطأ يفتح باب التوبة والهداية، أما الجحود والحلف الكاذب فيغلقان القلب ويطبعانه .هذا المفهوم يصحح السلوك.
.3مفهوم "القلب هو القيادة"(: القلب هو قائد الجسد، فإذا صلح صلح الكل، وإذا فسد فسد الكل . الطبع على القلب هو فساد القيادة.
.4مفهوم "الفقه ثمرة النور القلبي" : الفقه ليس مجرد حفظ معلومات، بل هو نور يقذف في القلب . القلب المظلم لا يفقه.

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية

.1مفهوم "الكذب كآلية دفاع" : المنافق يستخدم الكذب والحلف لدفع اللوم والخوف، وهي آلية دفاع بدائية تكشف عن ضعف الشخصية.
.2مفهوم "الفلتات اللسانية تكشف اللاشعور" : الفلتات التي تصدر من المنافق تعبر عن خفايا نفسه وحقده الدفين، ثم يسرع إلى الحلف لتبريرها.
.3مفهوم "الخوف المرضي من المواجهة" : المنافق يخاف مواجهة الحق، ويخاف الاعتراف بالخطأ، فيلجأ إلى الجبن والمراوغة.

المفاهيم الفكرية

.1مفهموم "النفاق كمرحلة انتقالية" : المنافق آمن ثم كفر، فهو في حالة تردد ومراوغة بين الإيمان و الكفر .هذا يحلل ظاهرة النفاق.
.2مفهوم "طبع القلوب كقانون رباني" : استمرار الإنسان على الكذب والكفر يؤدي إلى طبع قلبه .هذا ليس ظلماً، بل قانون أخلاقي.
.3مفهوم "فقدان البصيرة نتيجة الطبع" : الإنسان الذي يطبع على قلبه يفقد القدرة على فهم الحقائق الإيمانية، ويعيش في ضلال.

المفاهيم التربوية

.1مفهوم "التربية على الاعتراف بالخطأ" : تربية الأبناء على الاعتراف بالخطأ، وأنه خير لهم من الحلف الكاذب الذي يطبع القلب.
.2مفهوم "التربية على الصدق وترك الحلف" :تعليم الأبناء أن الصدق بلا حلف خير من الكذب مع الحلف، وأن كثرة الحلف علامة على ضعف الإيمان.
.3مفهوم "التربية على حماية القلب من القسوة" : بالصدق والتوبة، وعدم الإصرار على الكذب و المراوغة.

الأمر الرابع: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

.1مفهوم "بناء الأمة على الصدق لا على الأيمان الكاذبة" : الأمة التي يتفشى فيها الحلف الكاذب هي أمة منافقة ضعيفة .البناء الحقيقي على الصدق.
.2مفهوم "التنمية الأخلاقية بالاعتراف بالخطأ" : المجتمع الذي يشجع على الاعتراف بالخطأ هو مجتمع يتطور أخلاقياً، بعكس الذي يشجع على التبرير الكاذب.
.3مفهوم "استدامة الإيمان بسلامة القلب" : القلب السليم هو الذي يدوم الإيمان فيه .القلب المختوم

لا يمكن أن يستمر فيه الإيمان.
.4مفهوم "بناء القيادة على الفقه لا على حلف الأيمان"(: القائد الحقيقي هو من يفقه الدين ويصدق، لا من يكثر الحلف والإقسام.

الأمر الخامس: دور الآية ومفاهيمها في صناعة الشخصية المسلمة والأسرة المسلمة والمجتمع و الحضارة والنهضة في الحياة

صناعة الشخصية المسلمة (بناء الفرد): الآية تصنع شخصية "المؤمن الصادق غير الجبان". شخصية لا تخاف من الاعتراف بالخطأ، ولا تلجأ إلى الحلف الكاذب كجُنّة. هي شخصية تعلم أن الصدق يجلب نور القلب، والكذب يجلب الظلمة والطبع. تحافظ على قلبها من القسوة، وتسعى إلى الفقه والفهم العميق للدين. هذه الشخصية هي أساس الإصلاح.

صناعة الأسرة المسلمة (بناء الخلية): الأسرة التي تستحضر هاتين الآيتين هي أسرة "الصدق والا عتراف". الأبوان يعلمان الأبناء أن الاعتراف بالخطأ شجاعة، والحلف الكاذب جبن. الأسرة تخلق بيئة لا يُعاقب فيها الاعتراف، بل يُحتفى به. الأبناء يربون على أن لا يحلفوا كذباً، وأن يصدقوا في أقوالهم. هذه الأسرة تنتج أفراداً صادقين غير مراوغين.

صناعة المجتمع المسلم (بناء البنية): المجتمع الذي يفهم هاتين الآيتين هو مجتمع "لا مكان فيه للمنافقين". أفراده لا ينخدعون بمن يكثر الحلف والإقسام. مؤسساته تتعامل مع الحلف الكاذب كجريمة. قيادته تحتكم إلى الصدق والفقه، لا إلى البروتوكولات الكاذبة. هذا المجتمع منيع ضد الا ختراق من الداخل.

صناعة الحضارة الإسلامية (بناء النموذج): الحضارة التي تنطلق من هاتين الآيتين هي حضارة "الصدق والشفافية". هي حضارة تقوم على الاعتراف بالأخطاء وتصحيحها، لا على إخفائها بالحلف الكاذب. هي حضارة تفتح القلوب، ولا تختمها. قادتها يفقهون الأمور، ولا يحلفون كذباً. هذه الحضارة قادرة على البقاء، لأنها تطهر نفسها من المنافقين.

النهضة الحقيقية تبدأ عندما تعي الأمة أن الكذب والحلف الكاذب يطبع القلوب ويحجب الفقه، وأن الصدق والاعتراف بالخطأ هما طريق النور والنماء.

ختاماً: كيف نعمق أثر الآية في حياتنا العملية؟

بعد هذه الرحلة الطويلة في رحاب آيات كشف الغرض الخفي للمنافقين، يبقى السؤال: كيف نجعل هاتين الآيتين حيتين في تفاصيل يومنا، لا مجرد كلمات نتلوها؟

أولا ً: في كل موقف تحتاج فيه إلى تبرير خطئك: لا تحلف باللّٰه كذباً. اعترف مباشرة وقل: "أخطأت، أسامحك". الاعتراف يريح قلبك، ويطمئن من حولك.

ثانياً: عندما تسمع أحداً يكثر من الحلف والإقسام عند اتهامه: توقف. لا تصدقه مباشرة. تذكر أن المنافقين كانوا يفعلون ذلك. ابحث عن دليل آخر.

ثالثاً: في محاسبة نفسك: اسأل نفسك: هل استخدمت الحلف باللّٰه كجُنّة هذا الأسبوع؟ هل جَبنت عن الاعتراف؟ تب وعد.

رابعاً: في تربية أبنائك: إذا أخطأ ابنك وبادر إلى الحلف باللّٰه أنه لم يقصد، قل له: "لا تحلف. قل: أنا أخطأت، وأنا آسف". هذا أفضل عند اللّٰه.

خامساً: في دعائك: قل: "اللّٰهم لا تجعل قلبي كقلب المنافقين الذين طبع عليه. اللّٰهم ارزقني قلباً سليماً نقيًا يَفقه دينك".

اجعل هاتين الآيتين دستور صدقك، ومنهج اعترافك، وبوصلة حفاظك على قلبك. عندها فقط، ستتحول الكلمات إلى نبض، والتلاوة إلى واقع، وستكون من الذين نجوا من ختم القلوب ومن فقدان الفقه.

ثالثا

تفسير الآية الرابعة من سورة المنافقون

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ

أولا ً: المدخل التأسيسي للآية

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية

دعني آخذك في رحلة إلى لوحة فنية قرآنيّة نابضة بالحياة، رسمها الله بأحرف من نور ليُجسّد لنا حقيقة المنافقين في أبهى صور الخداع وأبشع حقائق الباطن. بعد أن كشفت الآيات السابقة عن أسلوبهم في الشهادة الكاذبة واتخاذ الأيمان جُنّة، تأتي هذه الآية لترسم لنا تمثالا ً حيا ً من خشب، يتحرك ويتكلم، لكن قلبه خاوٍ ميت.

تأمل هذا المشهد الذي تصوغه الآية بمهارة عالية: "وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ" . إنها دعوة للنظر إلى هؤلاء القوم. نظرة أولى، سطحية، خادعة. تجدهم طوال القامة، حَسَني الهيئة، بهية المنظر. الأجساد ممتلئة، والملابس أنيقة، والوجوه وسيمة. إنهم يخطفون الأبصار بهندامهم وطلّتهم. كأنهم تماثيل من الجمال مصقولة.

ثم تأتي الخطوة الثانية: "وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ" . تنصت إليهم، فإذا هم يتدفقون بأعذب الكلمات، وأرق العبارات، وأفصح الألفاظ. يستخدمون لغة دغدغة المشاعر: "يا غالي، يا عزيزي، يا مولاي، يا أستاذي". يملقون ويداهنون، ويسحبون الألباب بحلاوة المنطق وفصاحة اللسان. كلامهم ينساب كالعسل، لكنه عسل مسموم، فارغ من أي محتوى فكري جاد أو إخلاص حقيقي.

ثم تأتي الصدمة، الصورة الحاسمة التي تمزق كل هذه الأقنعة: "كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ" . إنهم تحت هذه الأجساد الفارهة وتلك الألسن الفصيحة، ليسوا إلا خشباً جافاً، جذوعاً بالية، أسندت إلى الجدار. ليس لها حياة، ولا حركة، ولا عقل. هي مجرد أثاث. منظرها يوحي بالقوة، لكنها لا تنفع ولا تضر. كالتماثيل المصنوعة من الخشب، أو كالأصنام التي عبدها المشركون، لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضراً. فهي أجساد بلا أرواح، وأبصار بلا بصائر، وألسن بلا قلوب.

هذا التشبيه البليغ يرسم لنا في مخيلتنا صورة التمثال الخشبي المسند إلى الحائط. جميل المنظر، لكنه جامد، بارد، ميت. إنه لا يحس، لا يتحرك، لا يفكر، لا يبادر. هكذا المنافقون: أجسادهم حاضرة، لكن عقولهم وقلوبهم غائبة. هم "أسد مفروشة"، كما يقال: لهم منظر الأسود ولا سطوة لها.

ثم يكشف الله عن حالتهم النفسية: "يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ" . هم في حالة خوف دائم، وقلق مستمر، واضطراب نفسي شديد. كل صوت عال، كل صيحة أو نداء، يظنون أنه نزل عليهم، أنه مكشوف أمرهم، أنه قد أحيط بهم. هذا لأن قلوبهم خاوية، لا تستند إلى ثبات الإيمان. هم مثل قطعة الخشب المراهقة التي تمسك على الحائط، فإذا هبت ريح خفيفة، اهتزت وكادت تسقط. يظنون بجهلهم أن كل حركة في الكون إنما هي للإيقاع بهم. إنهم يعيشون في حالة رعب دائم من انكشاف حقيقتهم.

ثم يأتي الإعلان الحاسم: "هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ" . ليس الكفار المعلنون فقط هم الأعداء. هؤلاء، الذين يقفون في الصف الأول، الذين يبدون كأصدقاء، الذين يملقونك بأجمل العبارات، هم العدو الحقيقي. هم أخطر من عدو في الخارج، لأنك لا تعرفه وقد يطعنك في الظهر. إياك ثم إياك أن تغتر بمظهرهم أو تسمع لقولهم، بل احذرهم أشد الحذر.

ثم الخاتمة: "قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ" . قاتلهم الله، أي لعنهم الله وأبعدهم عن رحمته. هذا دعاء عليهم بالهلاك والطرد. و "أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ" تعني: كيف ينصرفون عن الحق إلى الباطل، وعن الإيمان إلى النفاق، وعن الصدق إلى الكذب؟ إنه تعجب من حالهم.

هذه الآية هي "فضيحة المنافقين المبطنة، وكشف زيف مظاهرهم" . إنها ترسم لهم تمثالا ً متحركاً من خشب، ليبقى هذا التمثال في مخيلة كل مؤمن، فلا ينخدع بمنظر ولا يغتر بخطاب.

الأمر الثاني: علاقة هذه الآية بما قبلها (الآيات 1-3 من سورة المنافقون)

العلاقة بين هذه الآية (4) وما قبلها هي علاقة "الانتقال من كشف الأقوال إلى كشف الأحوال، ومن وصف الخبث الباطن إلى وصف المظهر الخادع".

في الآيات السابقة (1-3)، كشف الله عن: (1) شهادتهم الكاذبة "نشهد إنك لرسول الله"، (2) واتخاذهم ا لأيمان جُنّة، (3) وسبب ذلك أنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم.

ثم تأتي هذه الآية (4) لتكمل الصورة: إذا نظرت إليهم أيها المؤمن، رأيت منظراً يخدع العيون. وإذا سمعت أقوالهم، سمعت كلاماً يخدع الآذان. لكن الحقيقة أنهم كالخشب المسند. هناك فجوة رهيبة بين ظاهرهم المبهر وباطنهم الخاوي.

العلاقة تفصيلا ً:

.1من "شهادتهم الكاذبة" إلى "أقوالهم المعسولة": الآية الأولى وصفت شهادتهم الكاذبة، وهذه تصف أقوالهم بشكل عام: يقولون فتسمع لقولهم، أي أنها أقوال مؤثرة ظاهرياً، لكنها فارغة من الصدق .كما وصفت الأولى بالشهادة، وهذه تصف كل أقوالهم بالتملق والجمال الخادع.
.2من "اتخذوا أيمانهم جُنّة") الخبث الدفاعي (إلى "تعجبك أجسامهم") الخداع الهجومي(: الآية الثانية وصفت أسلوبهم الدفاعي) الحلف عند الاتهام .(وهذه تصف أسلوبهم الهجومي: جمال منظرهم وحلاوة خطابهم الذي يجذب المؤمنين إليهم ويخدعهم.
.3من "طبع على قلوبهم") الباطن الفاسد (إلى "كأنهم خشب مسندة") الظاهر الجامد(: الآية الثالثة وصفت باطنهم) قلوب مطبوع عليها .(وهذه تصف ظاهرهم) أجساد كالخشب .(أي أن الباطن الفاسد أفرز ظاهراً خادعاً وجامداً، لا حياة فيه ولا حركة إيجابية.
.4من "لا يفقهون") فقدان الفهم (إلى "يحسبون كل صيحة عليهم") القلق والاضطراب(: نتيجة الطبع على القلب) لا يفقهون (ظهرت في سلوكهم النفسي: الحسبان الخاطئ، والخوف المذعور من كل صوت.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

هذه الآية تحمل بين طياتها أفكاراً محورية سبعة:

.1الانخداع بالمنظر الخارجي) تعجبك أجسامهم(: أن المظهر الجسدي والبهاء الخارجي ليس مقياساً للإ يمان أو الصدق .فالمنافق قد يكون حسن الطلعة، لكن قلبه خبيث.
.2الانخداع بالقول المعسول) تسمع لقولهم(: أن فصاحة اللسان وحلاوة الكلام والتملق) يا غالي، يا عزيزي (لا تدل على صدق المتكلم .فقد يكون وراء هذه العبارات قلب مليء بالحقد والكراهية.
.3حقيقتهم الباطنة) خشب مسندة(: هم كالخشب الجاف الجامد، أجساد حاضرة وأرواح غائبة .لا حياة في قلوبهم، فلم يتحركوا إلى الخير، ولم يثبتوا على الحق .كتمثال من خشب، جميل المنظر، نافع في الظاهر، لكنه لا ينفع ولا يضر.
.4الجمود الفكري والخوف الدائم) يحسبون كل صيحة عليهم(: نتيجة فراغ قلوبهم من نور الإيمان، أصيبوا باضطراب نفسي وخوف مرضي .يظنون أن كل شيء موجه ضدهم، وأن كل صوت هو كشف لأمرهم .هم في حالة رعب دائم من الافتضاح، وهذا دليل على ضعفهم وتزلزلهم.
.5حقيقة عداوتهم) هم العدو فاحذرهم(: إعلان صريح أن هؤلاء هم الأعداء الحقيقيون، لأنهم يظهرون الولاء ويبطنون الغدر .هم أخطر من عدو معلن، لذلك وجب الحذر منهم، وعدم إطلاعهم على الأسرار، وعدم الوثوق بهم.
.6الدعاء عليهم) قاتلهم الله(: إعلان براءة الله منهم، ولعنة الله عليهم .وهذا يطمئن المؤمنين بأن الله معهم ضد هؤلاء، وأن عاقبتهم الخزي واللعنة.
.7استفهام التعجب) أنى يُؤْفَكُونَ(: تعجب من حالهم: كيف ينصرفون عن الحق مع وضوحه؟ كيف يختارون الباطل والكذب والنفاق؟ هذا استنكار لضلالهم.

الأمر الرابع: أهداف الآية ومقاصدها وأغراضها

ما الذي يريده الله منا من خلال هذه الآية؟ إنها "تشريح جراحي للمنافق، ورسم كاريكاتيري لخداعه". أراد الله أن:

· يرسم في أذهان المؤمنين صورة حية للمنافق (تمثال من خشب): أن يتخيل المؤمن عندما يرى

شخصاً كثير التملق والمديح، حسن المظهر، أنه قد يكون كقطعة الخشب المسندة: جميلة المنظر، لكنها جافة ميتة. هذه الصورة تمنع الانخداع.
· يبين أن المظاهر خداعة: الأجسام الجميلة والألسن الفصيحة قد تخفي أقبح البواطن. لا تحكم على إنسان من منظره أو كلامه، بل من أفعاله ومواقفه.
· يكشف عن الحالة النفسية للمنافق (الخوف والاضطراب): ليست الحالة النفسية للمنافق مستقرة. بل هو يعيش في قلق دائم وخوف من الافتضاح. يظن أن كل الصيحات موجهة إليه. هذا يجعله ضعيفاً متردداً لا يصلح للقيادة.
· يعلن أن العدو الحقيقي هو المنافق: يجب أن يكون المؤمن يقظاً لهذا العدو الخفي، الذي يفسد من الداخل، ويشي بالأسرار، ويخذل في الأوقات الصعبة.
· يوضح أن الأيمان والعبارات الجميلة ليست مقياساً: لا تثق بمن يكثر من الأيمان، ولا بمن يبالغ في التملق والمديح. الثقة تبنى على الأعمال والمواقف، لا على الأقوال المعسولة.

ثانياً: تحليل الآية (رحلة في أعماق النص)

المحور الأول: تحليل (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ)

1/ دلالة "وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ"

"إذا" ظرف شرطية تفيد التكرار والاستمرار. أي كلما رأيتهم، أنت أيها المؤمن، فإن هذه هي صفتهم. و الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل مؤمن من بعده. "رأيتهم" فعل ماض يدل على أن الرؤية قد وقعت، وهي رؤية حسية ظاهرية.

2/ دلالة "تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ"

· "تعجبك" : تثير إعجابك، أي تلفت نظرك، وتجذبك إليهم جمالياً. الإعجاب هو انجذاب القلب إلى الشيء لحسنه.
· "أجسامهم" : جمع جسم، أي هيئتهم وظواهرهم. خص الأجساد بالذكر لأنها أول ما يقع عليه البصر. فهم حسنو القامة، جميلو الهندام، نضرُو الوجوه.
· "تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ" : جملة فعلية تفيد أن هذا الإعجاب هو رد فعل طبيعي عند الرؤية الأولى. لكن ا لآية لا تمدح هذا الإعجاب، بل تذكره لتقول أن وراء هذا الإعجاب باطناً مريعاً. إنه إغراء بالمنظر، وتحذير من الانخداع به.

3/ لماذا خص الأجساد بالذكر؟

لأن المنافقين كانوا رجالا ً جسيمي، طوال القامة، مهيبين، ذوي هيئة. وكانوا يهتمون بمظهرهم ليلفتوا الأنظار. والآية تريد أن تقول: لا تغتر بالهيئة، فكم من جسم جميل يخفي روحاً خبيثة.

4/ الفرق بين النظر إلى الأجساد والنظر إلى القلوب

المؤمن ينظر ببصيرته إلى القلوب، ولا يكتفي بالنظر ببصره إلى الأجساد. الآية تنبه إلى أن الإعجاب با لأجساد دون فحص البواطن قد يكون خطيراً.

5/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: الوعي بأن الجمال الخارجي ليس دليلا ً على الجمال الداخلي .قد يخفي المنظر الجميل نفساً مريضة .فلا تثق في الإنسان لمجرد وسامته.
.2الرسالة التربوية: تربية الأبناء على عدم الحكم على الناس بمظهرهم .علمهم أن القيمة في الأخلاق والعمل، لا في الطول والجمال.
.3الرسالة الفكرية: نقد ثقافة "المظهرية" .المجتمعات التي تقدس المظهر الجسدي قد تخدعها الأجسام الخاوية.
.4الرسالة العملية: لا تعطِ منصباً أو ثقة لمجرد حسن المنظر .اختبر الناس قبل أن تمنحهم ثقتك.

المحور الثاني: تحليل (وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ)

1/ دلالة "وَإِنْ يَقُولُوا") الشرطية(

"إن" شرطية، و "يقولوا" فعل مضارع، يدل على أنهم إذا قالوا، وهو كثير الوقوع. أي أن هذا وصفهم في أحاديثهم.

2/ دلالة "تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ"

· "تسمع" : تفيد الإنصات والإصغاء.
· "لقولهم" : اللام للاختصاص، أي أن أقوالهم مميزة بحيث تجذب الأسماع.
· "تسمع لقولهم" : أي أنك تنصت إليهم وتتأثر بمنطقهم. إنهم يختارون أفصح الكلمات وأعذب العبارات. يتحدثون بحماس، ويبالغون في إظهار الود والولاء. يستخدمون عبارات التملق والدغدغة العاطفية: "يا غالي، يا عزيزي، يا أستاذي، يا مولاي". كل هذه الألفاظ لا تنبع من قلب، بل هي محض كذب ومراءاة. هي فارغة من المحتوى الفكري، لا تؤسس لموقف ولا تبني لعملا ً.

3/ دلالة حذف جواب الشرط

الجواب محذوف تقديره "تصغى إليهم وتتأثر". والحذف للإيجاز وللتركيز على الصفة الأساسية: أن أقوالهم تخطف الأسماع.

4/ العلاقة بين "تعجبك أجسامهم" و "تسمع لقولهم"

هما وسيلتا الخداع: البصر والسمع. يخدعونك بمنظرهم، ويخدعونك بمنطقهم. فإن أمنت لهم من هذه الجهة، دخلوا عليك من المدخلين.

5/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: الوعي بفخ الكلام المعسول .الألفاظ الجميلة والعبارات العاطفية قد تكون أداة تلا عب، وليست تعبيراً عن مشاعر صادقة.
.2الرسالة التربوية: تعليم الأبناء ألا ينخدعوا بالكلام الجميل .علمهم أن يتأكدوا من مصدر الكلام ودافعه.
.3الرسالة الفكرية: خطر البلاغة المنفصلة عن الأخلاق .أن يتقن الإنسان الخطابة ويستعملها في تزيين الباطل.
.4الرسالة العملية: لا تعطِ الثقة لمن يبالغ في مديحك .المبالغة في الثناء والتملق هي علامة خطر .ة ال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب".

المحور الثالث: تحليل (كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ)

1/ دلالة "كَأَنَّهُمْ") التشبيه(

"كأن" من أدوات التشبيه، تفيد أنهم في حقيقتهم يشبهون الخشب المسند. ليس تشبيهاً في الخلقة، بل تشبيهاً في الجمود والجفاف وعدم الحياة والفعالية.

2/ دلالة "خُشُبٌ"

· "خشب" : جمع خشبة، وهي قطع الخشب اليابس الجاف.
· لماذا شبهوا بالخشب خاصة؟ لأن الخشب جماد لا حياة فيه، لا يتحرك، لا يشعر، لا يعقل. الخشب يستخدم في البناء والأثاث، لكنه لا يبادر بنفسه، ولا يختار، ولا يتألم، ولا يفرح. هكذا المنافقون: قلوبهم ميتة (لا حياة الإيمان فيها)، وعقولهم جامدة (لا تفقه الحقائق)، وأجسادهم فقط هي التي تتحرك (لكن بلا روح).
· كما شبهوا بالخشب إشارة إلى أنهم كالأصنام التي تعبد من دون الله، لا تنفع ولا تضر. فالحذر منهم إنما هو من شر نفاقهم، وليس من قوتهم الذاتية. فهم ضعفاء في الحقيقة، لكن خبثهم يكمن في تمويههم وخداعهم.

3/ دلالة "مُسَنَّدَةٌ"

· "مسندة" : اسم مفعول من الإسناد، أي موضوعة على الجدار أو مسندة إليه، بحيث لا تسقط.
· لماذا وصفوا بالمسندة؟ لأن الخشب إذا كان مسنداً إلى حائط، فإنه ثابت ظاهرياً، لكنه لا يقوم بنفسه. لو أزيل الحائط لسقط. المنافقون لا يقفون إلا بدعم من غيرهم، لا ذات لهم، لا شخصية لهم، لا إرادة لهم. هم يعتمدون على المؤمنين في وجودهم الاجتماعي، لكنهم يخذلونهم عند الشدة.
· صورة حية التمثال : تخيل في ذهنك تمثالا ً خشبياً جميلا ً منحوتاً، موضوعاً على حامل أو مسنداً إلى جدار. أتقن النحات هيئته، ورسم له ملامح جذابة. لكنه جامد. لا يتكلم، لا يتحرك، لا يعقل. من يراه من بعيد يظنه إنساناً، لكنه من قريب ليس إلا خشباً. هكذا المنافقون: من بعيد يبدون رجالا ً، ومن قريب هم مجرد أجساد خاوية.

4/ دلالة التنغيم والإدغام في "خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ"

النطق بكلمة "خشب مسندة" فيه إدغام الباء في الميم (خُشُب مُسَنَّدَة). هذا الإدغام يعطي إحساساً بـ الجفاف والصلابة والالتصاق، ويؤكد فكرة الجمود والتجانس مع الجماد. إنه يجسد لفظياً معنى الجفاف القلبي.

5/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: الصورة التمثيلية تثبت في العقل .تشبيه المنافق بالخشب المسند يخلق صورة ذهنية قوية تمتنع عن الانمحاء .كلما رأيت منافقاً، تذكر هذا التمثال الخشبي.
.2الرسالة التربوية: استعمال التشبيه البليغ كوسيلة تربوية .المربي يستخدم الصور الحسية لتوضيح المعنويات، كما فعل القرآن.
.3الرسالة الفكرية: المنافق فاقد للروح الحقيقية .روحه ميتة، لا حياة للإيمان في قلبه .ذكره لله لا يترك أثراً.
.4الرسالة العملية: اكشف خواءهم بالعمل .لا تنظر إلى أقوالهم، بل كلفهم بأعمال، عندها تظهر حقيقتهم .الخشب لا ينتج ثمراً.

المحور الرابع: تحليل (يَحْسَبُونَ كلّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ)

1/ دلالة "يَحْسَبُونَ"

· "يحسبون" : يظنون ويعتقدون. وهو فعل مضارع يدل على الاستمرار.
· "يحسبون" يدل على أن هذا الظن ناتج عن جهل وخوف واضطراب، وليس عن علم ويقين.

2/ دلالة "كلّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ"

· "كل صيحة" : أي كل صوت عالٍ، أو كل أمر يفزع الناس، أو كل نداء وقع في معسكر المؤمنين.
· "عليهم" : أي نازلة بهم، مهددة لهم، موجعة لهم.
· "كل صيحة" عامة، شاملة لكل ما يمكن أن يفزع.
· سبب هذا الظن : بسبب سوء نيتهم وخبث باطنهم، يظنون أن الناس جميعاً تعرف أمرهم، وأن كل حدث هو للكشف عنهم. إنه جنون الارتياب الذي أصابهم نتيجة عيشهم في الكذب.

3/ العلاقة بين "يحسبون كل صيحة عليهم" وبين "خشب مسندة"

الخشب المسند يهتز لأقل ريح، ويسقط إذا هب نسيم قوي. المنافقون يهتزون لأقل شائعة، ويخافون من كل صوت، ويظنون أن كل الأحداث موجهة ضدهم. هذا يعكس تزلزلهم وضعف ثباتهم. هم فاقدو الثبات في مواطن الابتلاء، ينحنون للرياح، يضعفون عند الاختبار.

4/ تحليل الحالة النفسية للمنافق) الجمود الفكري والخوف(

· الجمود الفكري : نتيجة فراغ قلوبهم من النور الإيماني، عجزوا عن فهم حقائق الأشياء. تصوروا أنفسهم أذكياء قادرين على الخداع، ولكن هذا التصور محرف. أدى بهم إلى اضطراب المقاصد وسوء النوايا.
· الخوف والقلق : هم يعيشون في عذاب نفسي مستمر. يخافون من انكشاف أمرهم، يخافون من المؤمنين، يخافون من الموت، يخافون من كل شيء. قال تعالى عنهم في سورة التوبة: "يُعَذِّبْهُمُ اللهُ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ". وعذاب الدنيا هو هذا الخوف والقلق والاضطراب.
· ضعف في مواطن الاختبار : مثل الخشب المراهق (غير الثابت) الذي يهتز بمجرد هبوب رياح، كذلك المنافقون لا يثبتون في مواطن الابتلاء والمحن، بل ينحنون ويضعفون ويتخلون عن المبادئ.

5/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: الكذب والخيانة يولدان القلق والاضطراب .المنافق يعيش في جحيم نفسي من الشك والخوف، وهذا من عقوباته الدنيوية.
.2الرسالة التربوية: تعليم أن الصدق يمنح السلام النفسي .الصادق المطمئن لا يخاف من كل صوت، لأنه لا يخفي شيئاً.
.3الرسالة الفكرية: تحليل سلوك الأعداء النفسي .فهم أن من يبالغ في العداء غالباً ما يكون خائفاً، وهذا يمنحك قوة عليهم.
.4الرسالة العملية: لا تخف من المنافقين .هم في أصلهم خائفون جبناء .قوتهم في خداعهم، فإذا كشفته انهزموا.

المحور الخامس: تحليل (هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)

1/ دلالة "هُمُ العَدُوُّ") حصر العدو(

· "هم" : ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد.
· "العدو" : معرف باللام للجنس، أي أنهم العدو الحقيقي، وليسوا مجرد أعداء عاديين.
· لماذا هم العدو؟ لأن الكافر المعلن نعرفه ونحاربه. أما هؤلاء فيندسون بين الصفوف، ويعرفون أسرارنا، ويخذلون في لحظات الشدة. ضررهم أشد وأعظم. هم عين الكفار الخارجيين، ينقلون إليهم أخبار المسلمين ومواطن ضعفهم.

2/ دلالة "فَاحْذَرْهُمْ"

· "فاحذرهم" : الفاء للتفريع، أي بناءً على كونهم العدو، احذرهم.
· "احذرهم" : خذ حذرك منهم، ولا تأمنهم، ولا تطلعهم على أسرارك، ولا تثق بهم، ولا تعتمد عليهم في الأمور المصيرية.
· الحذر يكون باليقظة وعدم الوثوق : لا يعني طردهم أو قتلهم دون سبب، بل يعني عدم الانخداع بهم، وتجنب مصادقتهم، وعدم إسناد المهام القيادية إليهم.

3/ دلالة "قَاتَلَهُمُ اللَّهُ") دعاء عليهم(

· "قاتلهم الله" : صيغة دعاء عليهم، ومعناها: لعنهم الله وأبعدهم عن رحمته، أو قاتلهم الله أي أهلكهم وأذلهم.
· هذا تأكيد لبغض الله لهم : وهو تثبيت لقلوب المؤمنين، وإعلان أن الله معهم ضد هؤلاء.

4/ دلالة "أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ"

· "أنّى" : اسم استفهام بمعنى "كيف".
· "يؤفكون" : يصرفون عن الحق، وينقلبون عن الإيمان.
· المعنى : كيف ينصرف هؤلاء عن الحق؟ كيف يختارون طريق الكذب والنفاق مع وضوح سبيل الإ يمان؟ إنه تعجب من ضلالهم واستهجان لحالهم.

5/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: إزالة الوهم عن كونهم أصدقاء .تحذير النفس من الميل إليهم بسبب منظرهم أو قولهم.
.2الرسالة التربوية: تعليم الحذر وليس القسوة .لا تتعامل مع المنافقين بظلم، لكن كن حذراً، واترك أمرهم لله.
.3الرسالة الفكرية: العدو الخفي أخطر من العدو المعلن .هذه قاعدة أمنية وسياسية مهمة.
.4الرسالة العملية: بناء علاقاتك على الثبات لا على المظهر .اختبر من حولك، ولا تثق إلا بمن ثبتت أمانته في مواقف الشدة.

ثالثاً: اللطائف واللمسات البيانية والبلاغية من الآية

إن من خلال تدبر البناء اللغوي والبياني لهذه الآية نجد ما يأسر القلب، ويظهر الإعجاز في كل حرف:

الانتقال المفاجئ من الإخبار إلى التشبيه: بدأت الآية بالإخبار عن صفتين (تعجبك أجسامهم، تسمع لقولهم) ثم فاجأتنا بـ "كأنهم خشب مسندة". هذا الانتقال يخلق صدمة بلاغية، ينتقل بك السامع من حالة إعجاب ظاهري إلى حالة اشمئزاز من حقيقتهم.

التشبيه التمثيلي المركب (كأنهم خشب مسندة): ليس تشبيهاً بسيطاً، بل هو تشبيه تمثيلي لحالتهم. فهو يشبه هيئتهم الاجتماعية ونفسيتهم بحالة الخشب المسند. هذا أبلغ من تشبيه الصفات المفردة.

الإدغام في "خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ" : عند التلاوة، تدغم الباء في الميم، فيصبح اللفظ ثقيلا ً على اللسان، يعطي إحساساً بالجفاف والثقل والجمود. وهذا يتطابق مع المعنى.

الفعل المضارع "يَحْسَبُونَ" : يدل على التجدد والاستمرار. فهم دائمي الظن الخاطئ، يعيشون في وهم مستمر.

عموم "كلّ صَيْحَةٍ" : كل صوت، مهما كان بسيطاً، يظنون أنه موجه ضدهم. هذا العموم يدل على شدة اضطرابهم.

الجملة القصيرة "هُمُ العَدُوُّ" : قاطعة حاسمة، كالسيف يقطع كل تردد. لا مجال للشك، هم العدو.

الأمر "فَاحْذَرْهُمْ" : إيجاز بليغ. الحذر يشمل كل أنواع التحرز وعدم الثقة.

الدعاء "قَاتَلَهُمُ اللَّهُ" : صيغة ماضٍ للدعاء، تفيد التحقق. كأن لعنتهم قد نزلت.

الاستفهام التعجبي "أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ" : يترك السامع يتأمل في ضلالهم، ولا يقدم إجابة مباشرة، بل يترك السؤال في الهواء ليعظم التعجب.

التناغم بين الفواصل: ختمت الآية بـ "يُؤْفَكُونَ"، وهو يتناغم مع فواصل السورة.

خلاصة بلاغية: الآية تجمع بين الإخبار، والتشبيه التمثيلي البليغ (الذي يرسم صورة التمثال الخشبي)، والفعل المضارع الدال على الاستمرار، وعموم الظن (كل صيحة)، والحصر (هم العدو)، والأمر القاطع (فاحذرهم)، والدعاء (قاتلهم الله)، والاستفهام التعجبي (أنى يُؤْفَكون). إنها لوحة متكاملة من الإعجاز، تكشف حقيقة المنافقين بأسلوب يجمع بين التحليل النفسي والتصوير الفني.

رابعاً: الدروس والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها هذه الآية

تعالج هذه الآية قضايا أمنية وتربوية ونفسية بالغة الخطورة:

· الانخداع بالمظاهر والأقوال المعسولة: وهي آفة تصيب الأفراد والمجتمعات، فتجعلهم يمنحون الثقة لغير المستحقين.
· الخطر الداخلي (المنافقون) الذي يهدد الأمة: فهم أشد ضرراً من الأعداء الخارجيين، لأنهم يعرفون ا لأسرار ويخذلون عند الشدة.
· تحليل شخصية المنافق: جمود فكري، خوف دائم، اضطراب نفسي، تصورات محرفة، ضعف في مواطن الاختبار.
· كيفية التعامل مع المنافقين: الحذر وعدم الثقة، وعدم إطلاعهم على الأسرار، وعدم الاصطدام بهم حفاظاً على تماسك الصف.
· معيار تمييز الصادق من الكاذب: ليس بالأقوال، بل بالأعمال والمواقف والاختبارات العملية.

الأمر الثاني: ماذا يريد الله منا من خلال هذه الآية، وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولا ً: ماذا يريد الله منا؟ (المراد الإلهي)

.1ألا ننخدع بالمظاهر الجسدية والجمالية: فنميز بين جمال الخلقة وجمال الخلق والإيمان.
.2ألا ننخدع بالأقوال المعسولة والتملق والمديح المبالغ فيه: فندرك أن وراءها غالباً أغراضاً خبيثة.
.3أن ندرك حقيقة المنافقين: أجساد بلا أرواح، كالخشب المسند: فلا ننتظر منهم فعلا ً ولا تضحية ولا وفاء.
.4أن نكون حذرين منهم يقظين: فلا نطلعهم على أسرارنا، ولا نمنحهم ثقتنا الكاملة.
.5أن نختبر الناس بالأعمال والمواقف، لا بالأقوال والأجساد: فمعادن الرجال تظهر في الامتحانات.

ثانياً: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟ (التطبيق العملي)

.1دعوة إلى "عدم الإعجاب بالمظهر فقط": إذا رأيت شخصاً وسيماً جميلا ً، لا تعطه منصباً أو ثقة لمجرد ذلك .اختبر أخلاقه ودينه أولا ً.
.2دعوة إلى "عدم الاغترار بالكلام المعسول والتملق": إذا أكثر شخص من مديحك، وتفنن في التعبير عن حبه لك، فاحذره .فالمبالغة في الثناء علامة خطر.
.3دعوة إلى "تصوير العدو في ذهنك لئلا تنخدع به": اجعل في مخيلتك صورة المنافق: تمثال خشبي جميل لكنه خاوٍ .هذه الصورة تحميك من الوقوع في شباكه.
.4دعوة إلى "اليقظة من عملاء الداخل": لا تشارك أسرار العمل أو البيت مع من لم تختبر صدقه وو لاءه.
.5دعوة إلى "بناء الثقة على الاختبارات العملية": أعطِ الناس فرصاً للعمل، فإن أجادوا وأخلصوا، فثق بهم .وإن خذلوا وكذبوا، فاحذرهم.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية الكريمة قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

لتحويل هذه الآية من "نص متلو" إلى "واقع ملموس"، اتبع هذه المنهجية المكونة من أربع مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة "الاستحضار البصري" (قبل البدء): قبل أن تقرأ الآية، استحضر أمام عينيك صورة تمثال خشبي جميل، منحوت بدقة، ذي ملامح جذابة، لكنه مسند إلى جدار، لا يتحرك، لا يتكلم ، لا يعقل. ثم تذكر أن هذه صورة المنافق. هذا الاستحضار يحول التلاوة إلى مشاهدة.

المرحلة الثانية: مرحلة "التفكيك التحليلي" (فهم الموقف): حلل من حولك على ضوء هذه الآية:

· هل هناك من يشد انتباهك بحسن مظهره؟ هل اختبرته عملياً قبل أن تثق به؟
· هل هناك من يكثر من مديحك وتملقه؟ هل لاحظت أن كلامه جميل لكن أفعاله خاوية؟
· هل هناك من يخاف ويتردد ويضطرب عند أول أزمة؟ هل تراه يظن أن كل الأصوات ضده؟
· هل هو من يخون الأمانة ويتسرب بالأسرار؟

المرحلة الثالثة: مرحلة "التفعيل العملي" (تحويل المفهوم إلى سلوك):

· فعّل فحص المظهر والباطن: لا تعطِ ثقتك لأحد لمجرد منظره. امنحه اختباراً صغيراً، وانظر كيف يتصرف.
· فعّل تجاهل التملق: إذا سمعت كلمات مديح مبالغاً فيها، فلا تنشرح لها، بل اشك في دافعها.
· فعّل الحذر في مشاركة الأسرار: لا تطلع أحداً على أسرار عملك أو عائلتك إلا بعد أن يثبت جدارته.
· فعّل متابعة السلوك لا الأقوال: اكتب ملاحظاتك عن سلوك الناس، لا عن أقوالهم.

المرحلة الرابعة: مرحلة "الانعكاس التقويمي" (المراجعة): في نهاية كل أسبوع، اسأل نفسك:

· هل انخدعت بمنظر شخص هذا الأسبوع؟
· هل تأثرت بتملق أحد؟
· هل سربت سراً لمن لا يستحق الثقة؟
· هل تذكرت صورة الخشب المسند؟

الأمر الرابع: ما الذي نستلهمه من الآية من دروس وعبر وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية؟

أولاً: الدروس المستلهمة (الرؤية)

1.درس "الجمال ليس دليلاً": كم من جميل المنظر خبيث المخبر .لا تحكم على أحد من منظره.
2.درس "الخطابة الفارغة خطر": من يتقن الكلام ولا يتقن العمل كالجرس، صوته عالٍ ومحتواه فارغ.
3.درس "الخشب المسند لا يسند غيره": المنافق لا يعتمد عليه في الشدائد، فهو ينهار أول من ينهار.
4.درس "الخوف يفضح النوايا": إذا رأيت شخصاً يخاف كثيراً من كشف أمره، فاعلم أنه يخبئ شراً.
5.درس "احذر عدوك الداخلي": من يظهر لك الود ويبطن لك الغدر، هو أشد عليك من عدو ظاهر.

ثانياً: كيفية التطبيق في الحياة العملية (التنفيذ)

1.بصفتك قائداً أو مديراً: كن يقظاً للمنافقين في فريقك .من يبالغ في مدحك وإطرائك، لا تعطه منصباً .اختبر ولاءهم في الأزمات الصغيرة قبل الكبيرة.
2.بصفتك فرداً: لا تكن ممن ينخدع بمنظر صديق جديد أو زميل .امنحه وقتاً ليثبت نفسه.
3.بصفتك داعية: استخدم هذا التشبيه) الخشب المسند (في وعظك .اشرح للناس أن الجمال الجسدي والخطابة الفصيحة لا تعني الإيمان.
4.بصفتك أباً أو مربياً: درب أبناءك على ملاحظة سلوك الناس، وليس أقوالهم .علمهم أن الصادق يُعرف بفعله لا بقوله.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

أولاً: المهارات الحياتية

1.مهارة "التثبت قبل الإعجاب": عدم الاندفاع وراء الإعجاب الأولي بالمظهر، بل إعطاء فرصة للا ختبار والفحص.
2.مهارة "كشف التملق والمديح الزائد": القدرة على تمييز المبالغة في الثناء التي تهدف إلى خداعك والتأثير على عواطفك.
3.مهارة "تكوين الصور الذهنية للوقاية": استخدام الصورة) كتمثال الخشب (لتذكير النفس بخطورة شخص أو موقف.
4.مهارة "تحليل الخوف والاضطراب النفسي للآخرين": ملاحظة أن من يخاف من كل صوت ويعيش في ريب، غالباً ما يكون لديه ما يخفيه.

ثانياً: المهارات المعرفية

1.مهارة "التفريق بين الدلالة الظاهرية والباطنية":)معرفة أن المظهر الجيد أو الحديث الجيد لا يدلا ن بالضرورة على الجوهر الجيد.
2.مهارة "تحليل الشخصية من خلال سلوك الأزمات":)فهم أن الاختبار الحقيقي للإنسان هو في مواقف الخوف والضغط، وليس في أوقات الاسترخاء.
3.مهارة "قراءة العلاقة بين الخوف والكذب": إدراك أن من يكثر من الكذب يعيش في خوف دائم من الافتضاح، وهذا يضعف شخصيته.

ثالثاً: المهارات العملية

1.مهارة "الاختبار العملي للأشخاص": تصميم مهام صغيرة تختبر صدق وولاء الأشخاص قبل إسناد مهام كبيرة إليهم.
2.مهارة "إدارة الأسرار والمعلومات": تصنيف الأشخاص حسب درجة الثقة، وعدم اطلاع غير المختبرين على المعلومات الحساسة.
3.مهارة "الحذر دون الاصطدام": التعامل بحذر مع المنافقين ومراقبتهم، مع تجنب الاصطدام المباشر الذي قد يشق الصف.

خامساً: الوقفات والتأملات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

للفهم العميق لهذه الآية، علينا أن ننظر إليها كـ "نظرية متكاملة في تحليل الشخصية الخبيثة، وأداة أمنية لتجنب أخطار العملاء" . الفهم العميق يتجاوز التفسير اللفظي (تشبيههم بالخشب) إلى مستويات أعمق:

مستوى "التجسيد الفني للعدو الخفي": القرآن لا يصف المنافقين فقط، بل يرسمهم كعمل فني تشكيلي. باستخدام كلمة "خشب مسندة"، يرسم لوحة في الذهن: أجساد كالتماثيل، وقلوب كالخشب الميت. هذا التجسيد يبقى في الذاكرة أطول من أي وصف نظري.

مستوى "تحليل علم النفس الإجرامي للمنافق": الآية تحلل عقلية المنافق: يعيش في جنون ارتياب (يحسبون كل صيحة عليهم)، ويظهر بمظهر القوي (الجسد الجميل)، لكنه ضعيف جبان (يخشى كل صوت). هذا الفهم يوجهنا في التعامل معهم.

مستوى "أمن المعلومات والقيادة": الآية تؤسس قاعدة أمنية: الخطر الأكبر لا يأتي دائماً من الخارج، بل من الداخل. من يظهر الولاء الزائد قد يكون أشد عداوة. لذا يجب إدارة الثقة بحذر، وتصنيف الناس حسب درجة ولائهم.

الأمر الثاني: كيف تغير الآية من نظرتك للحياة؟

هذه الآية ليست مجرد وصف، بل هي "ثورة في معايير الحكم على الناس والثقة بهم" :

.1تغير نظرتك إلى "الجمال والمظهر" : لن تنخدع مرة أخرى بالوجوه الجميلة والأجساد الفارهة . ستعلم أن الجمال الحقيقي في القلب والإيمان.
.2تغير نظرتك إلى "الخطابة والكلام المعسول" : لن تنجرف وراء الخطب الرنانة والعبارات العاطفية . ستبحث عن المحتوى والأفعال.
.3تغير نظرتك إلى "الأصدقاء والزملاء" : ستمنح فرصة للاختبار قبل الثقة .ستعلم أن الصديق الحقيقي يظهر في الشدة، لا في الرخاء.
.4تغير نظرتك إلى "الخوف والاضطراب النفسي" : ستنتبه أن من يخاف كثيراً ويتوجس من كل شيء، قد يكون لديه ما يخفيه .لا تشاركه أسرارك.
.5تغير نظرتك إلى "القيادة" : ستعلم أن من يبالغ في مدحك وإطرائك هو أخطر من ينتقدك .فالنقد الصادق خير من المديح الكاذب.

الأمر الثالث: وقفات تأملية من الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة "معرض التماثيل" : تخيل نفسك تمشي في معرض فني، كل التماثيل جميلة الشكل. لكنها خشب، لا روح فيها. إذا احتجت إلى مساعدة، لن تمد يدها. إذا حدث زلزال، سقطت. المنافقون مثل هذه التماثيل. هذه الوقفة تذكرك ألا تطلب منهم العون في الشدة.

الوقفة الثانية: وقفة "المديح المسموم" : تتذكر موقفاً جاءك فيه شخص، وأطراك بأجمل العبارات: "يا غ الي، يا عزيزي، يا أستاذي". ثم طلب منك شيئاً، أو خانك عندما أدارت ظهرك. هذه الوقفة تعلمك أن المديح المفرط قد يكون غطاءً لخيانة قادمة.

الوقفة الثالثة: وقفة "الخوف من الصوت" : تتذكر شخصاً يرتجف عند سماع خبر سيء، أو يظن أن كل اتصال هاتفي هو لفضحه. هذا هو المنافق: يعيش في خوف دائم لأن ضميره يعذبه. هذه الوقفة تدفعك لأن تكون أنت صادقاً حتى تنعم بسلام نفسي.

الوقفة الرابعة: وقفة "اختيار القادة" : تتذكر كيف تختار فريق عملك. هل تختار من يمدحك، أم من يصدقك في القول والعمل؟ هذه الوقفة تغير معايير اختيار القادة.

كيف تنقل هذه الوقفات إلى فريقك أو أسرتك؟

· خذ قطعة خشب، واجعلها أمامك، واسأل أفراد أسرتك: "هل تثقون بهذه الخشبة؟ لماذا؟". ثم اقرأ الآ

آية.
· ناقشهم عن مواقف حدثت لهم مع أشخاص بالغوا في مديحهم ثم خذلوهم.
· أخبرهم أن الصدق يمنح السلام الداخلي، والكذب يمنح القلق الداخلي.

الأمر الرابع: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

.1نتعلم أن "المظهر ليس مقياساً" : فلا تثق في شخص لمجرد أنه حسن الهيئة أو جميل الكلام.
.2نتعلم أن "التملق خطر" : المبالغة في المدح والثناء والادعاء بالولاء هي من علامات النفاق.
.3نتعلم أن "الخوف يفضح الباطل" : من يخاف كثيراً من الافتضاح، فغالباً لديه ما يخفيه.
.4نتعلم أن "العمل هو معيار الصدق" : لا تثق بأحد حتى تختبره عملياً.
.5نتعلم أن "الحذر لا يعني الاتهام" : احذر المنافقين دون أن تتهمهم ظلماً أو تتصادم معهم بغير دليل.

سادساً: أبعاد وآفاق ومفاهيم وقيم الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

إن هذه الآية ليست مجرد وصف، بل هي نافذة على أبعاد متعددة:

البعد الفني التشكيلي (التصوير القرآني): الآية ترسم لوحة متكاملة: منظر (أجسام تعجبك)، وصوت (أقوال تسمع لها)، وجوهر (خشب مسند). هذا البعد يبرز إعجاز القرآن في التصوير الفني.

البعد النفسي (تحليل شخصية المنافق): تكشف عن اضطراب نفسي: جنون الارتياب، الخوف الدائم، التصلب الفكري، التناقض بين الظاهر والباطن.

البعد الأمني (العدو الخفي): تؤسس لمبدأ أمني: أن أخطر الأعداء هم الذين يندسون في الداخل، ويظهرون الولاء.

البعد السياسي (إدارة الثقة): تقدم منهجاً في التعامل مع الخونة والعملاء: الحذر، عدم الإطلاع على ا لأسرار، وعدم الاصطدام في غير وقت.

البعد التربوي (التشبيه كوسيلة تعليمية): استخدام الصور الحسية (الخشب المسند) لتقريب المعاني العقلية، وهي وسيلة تربوية فعالة.

الأمر الثاني: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

لتحويل هذه الآية إلى مفاهيم عملية (مفاهيم عملية) نعيشها في واقعنا، يمكننا استخلاص أربعة مفاهيم جوهرية:

.1مفهوم "تمثال الخشب" : الشخص الذي يتمتع بمنظر جميل وكلام معسول لكنه خاو من العمل الصالح والأخلاق، هو كتمثال خشب .هذا المفهوم يمنع الانخداع.
.2مفهوم "الخوف كاشف الباطن" : أن الخوف المفرط والاضطراب النفسي هما علامة على وجود خطب ما في النية أو السريرة.
.3مفهوم "العدو الداخلي") : أن الخطر الذي يهدد الجماعة من داخلها هو أشد وأخطر من الخطر الخارجي.
.4مفهوم "الاختبار العملي للولاء"(: لا تقبل الولاء القولي، بل اختبر الولاء في المواقف العملية والأ زمات.

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية

.1مفهوم "الانفصام بين الظاهر والباطن": حالة نفسية يعيشها المنافق، حيث جسده حاضر وعقله وقلبه غائب، مما يجعله في صراع دائم.

.2مفهوم "جنون الارتياب المنافق": أن المنافق يظن أن كل من حوله يعرف حقيقته، وأن كل حدث موجه ضده، مما يجعله في حالة هلع مستمر.
.3مفهوم "التجميد الانفعالي" : نتيجة موت القلب الإيماني، يصبح المنافق مثل الخشب، لا حياة فيه، لا مشاعر نبيلة، لا حماسة للخير.

المفاهيم الفكرية

.1مفهوم "تقديم الجوهر على المظهر" : العبرة بالباطن والصدق، وليس بالمظهر الخارجي والخطابة الفارغة.
.2مفهوم "التشبيه التمثيلي كأداة معرفية" : استخدام التشبيهات المحسوسة) كخشب مسندة (لتوصيل حقائق مجردة) كحال المنافقين.(
.3مفهوم "تحليل نقدي لثقافة المدح" : نقد ظاهرة المبالغة في المدح والثناء، وكشف أنها قد تكون أداة خداع وتضليل.

المفاهيم التربوية

.1مفهوم "التربية بالصوره: استخدام الصورة الفنية والتشبيه البليغ) التمثال الخشبي (كوسيلة تربوية لتثبيت المعلومة في أذهان المتعلمين.
.2مفهوم "التربية على القيادة بالاختبار" : تعليم القادة ألا يمنحوا الثقة لمجرد الأقوال أو المظاهر، بل بعد اختبارات عملية.
.3مفهوم "بناء الحصانة الفكرية ضد الخداع" : تزويد الأفراد بمعرفة علامات المنافقين) المظهر الخادع، الكلام المعسول، الخوف (لحمايتهم من الانخداع بهم.

الأمر الرابع: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

.1مفهوم "بناء الأمة على الصدق لا على المظاهر" : أساس بناء المجتمع القوي هو الصدق والعمل، وليس الأجسام الجميلة والخطب الرنانة.
.2مفهوم "التنمية الأمنية باليقظة الداخلية" : تنمية القدرات الأمنية للمجتمع لا تكون بالأجهزة فقط، بل بوعي الأفراد بخطورة العملاء والخونة في الصفوف.
.3مفهوم "استدامة القيادة باختيار الأنصار المخلصين" : القيادة التي تختار أعوانها على أساس المظهر والكلام ستخون وتنهار .التي تستمر هي التي تختار على أساس التجربة والصدق.
.4مفهوم "بناء الإنسان على البصيرة" : تنمية الإنسان على أن يبصر بحقيقة من حوله، ولا ينخدع بـ الزخارف الكاذبة.

الأمر الخامس: دور الآية ومفاهيمها في صناعة الشخصية المسلمة والأسرة المسلمة والمجتمع و الحضارة والنهضة في الحياة

صناعة الشخصية المسلمة (بناء الفرد): الآية تصنع شخصية "المؤمن البصير". شخصية لا تنخدع بـ الجمال الخارجي، ولا بالكلام المعسول، ولا بالتملق والمديح. هي شخصية تختبر الناس بالأعمال قبل أن تمنحهم الثقة. تعيش في حالة من اليقظة والحذر، ولكن ليس وسواساً مرضياً، بل حكمة إيمانية. تتعامل مع المنافقين بحذر، ولا تطلعهم على أسرارها. هي شخصية تميز بين الصديق والعدو، حتى لو كان العدو في ثياب الصديق. هذه الشخصية هي أساس الأمن الفكري للأمة.

صناعة الأسرة المسلمة (بناء الخلية): الأسرة التي تستحضر هذه الآية هي أسرة "واعية لا تنخدع". الأ بوان يعلّمان الأبناء ألا يثقوا بكل من يبتسم لهم أو يمدحهم، بل يختبرون الأشخاص الصغار قبل أن يصبحوا أصدقاء. الأسرة لا تنبهر بالمناظر الجميلة لمن يطرق بابها، بل تبحث عن الأخلاق الصادقة. الأ سرة تحذر أبناءها من رفاق السوء الذين يتظاهرون بالصداقة ويبطنون الشر. الأسرة تربي أبناءها على أن يكونوا صادقين، وأن يتحلوا بالقوة النفسية التي تمنعهم من الخوف والاضطراب، لأنهم لا يخفون شيئاً.

صناعة المجتمع المسلم (بناء البنية): المجتمع الذي يفهم هذه الآية هو مجتمع "يقظ أمنياً". أفراده لا يتسربون الأسرار لكل من هب ودب. مؤسساته تختبر المنتسبين إليها قبل منحهم الثقة. إعلامه لا يضخم الشخصيات بناءً على مظاهرهم أو خطاباتهم فقط. قيادته تختار أعوانها من المخلصين الذين أثبتوا جدارتهم في العمل، لا من المتملقين. هذا المجتمع محصن من الاختراق، ويميز بين الناصح و المخادع.

صناعة الحضارة الإسلامية (بناء النموذج): الحضارة التي تنطلق من هذه الآية هي حضارة "البصيرة و الحذر". هي حضارة لا تبهرها الأجساد الفارهة، ولا تغتر بالخطب الرنانة. هي حضارة تضع آليات لفحص الولاء والصدق قبل تولية المناصب. هي حضارة تعرف أعداءها الحقيقيين، الذين هم في داخل الصف قبل خارج الصف. هي حضارة تشبه الفرد المؤمن كالغصن المثمر لا كالخشب اليابس. هذه الحضارة هي التي تدوم وتقود، لأنها تنقي نفسها من عملاء الداخل.

النهضة الحقيقية تبدأ عندما تعي الأمة أن الخطر لا يأتي فقط من الخارج، بل من الداخل، من الذين يتسلقون المناصب بأجسامهم الجميلة وأقوالهم المعسولة، وهم من الخشب المسند، لا يملكون روح الإ يمان ولا يحملون هم النهضة. عندئذٍ، تطهر الأمة صفوفها، وتختار قادتها بالاختبار، وتبني نهضتها على الصدق والإخلاص، وتستحق النصر والتمكين.

ختاماً: كيف نعمق أثر الآية في حياتنا العملية؟

بعد هذه الرحلة الطويلة في رحاب آية المنافقين التي رسمت لنا تمثالهم الخشبي، يبقى السؤال: كيف نجعل هذه الآية حية في تفاصيل يومنا، لا مجرد كلمات نتلوها؟

أولا ً: في كل مرة ترى فيها شخصاً أنيقاً جميلا ً، ويعجبك منظره: توقف. تذكر الآية: قد يكون هذا الإنسان كالخشب المسند. لا تمنحه ثقتك قبل أن تختبره.

ثانياً: في كل مرة تسمع فيها شخصاً يبالغ في مديحك، ويقول "يا غالي، يا عزيزي، يا أستاذي": تذكر أن هذا تملق فارغ من المحتوى. احذر أن يخدعك هذا الكلام. لا تنشرح له، ولا تمنحه ما يريد.

ثالثاً: في كل مرة ترى شخصاً يخاف كثيراً، ويظن أن كل شيء ضده، ويتوجس من كل كلمة: فلا تشاركه أسرارك، فهو قد يخونك عند أول امتحان. هو ليس أهلا ً للثقة.

رابعاً: في اختيار أصدقائك وزملائك وشركائك: لا تخترهم على أساس مظهرهم أو كلامهم. اختبرهم عملياً. أعطهم مسؤولية صغيرة. انظر كيف يتصرفون عند الأزمات. عندها ستظهر معادنهم.

خامساً: في تربية أبنائك: علمهم هذه الآية. اجعل أمامهم قطعة خشب، وقل لهم: "هذا هو المنافق: جميل لكنه خاوٍ، يحب المدح لكنه يخون، يظهر الود لكنه يبطن الشر". ربهم على الصدق والبصيرة.

اجعل هذه الآية دستور بصيرتك، ومنهج اختبارك للناس، وبوصلة أمانك في علاقاتك. عندها فقط، ستتحول الكلمات إلى نبض، والتلاوة إلى واقع، وستكون من الذين لا تنخدع بهم المنافقون، ويعيشون في أمان من خداعهم.

رابعا

تفسير الآيتين الخامسة والسادسة من سورة المنافقون

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

أولا ً: المدخل التأسيسي للآية

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية

دعني آخذك في رحلة إلى أعماق النفس المنافقة، حيث تتكشف لنا خباياها وأسرارها في أبهى صور التصوير القرآني. بعد أن فضح الله المنافقين في صفاتهم الذميمة (الشهادة الكاذبة، اتخاذ الأيمان جُنَة، الكذب والمراوغة، جمال الأجساد وخواء البواطن)، ها هو سبحانه ينتقل إلى تصوير مشهد جديد، يرينا فيه هؤلاء القوم في موقف يدل على قمة الكبر والغرور والتمرد والعناد.

تأمل هذا المشهد الذي تصوغه الآية بإتقان: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ" . يُدعى هؤلاء المنافقون إلى خير عظيم، إلى أقرب باب إلى رحمة الله: باب الاستغفار على لسان أفضل الخلق وأكرمهم عند الله. يُقال لهم: هلمّوا، أقبلوا، تعالوا إلى رسول الله فيستغفر لكم، لعله أن يكون سبباً في مغفرة ذنوبكم. إنها دعوة للتوبة والرجوع، دعوة باللين والرفق.

فكيف كان ردهم؟ إنه رد يدل على قمة الاستكبار والجفاء. يقول تعالى: "لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ" . لَوّوْا، أي أداروا وفتلوا رؤوسهم. لم يلتفتوا إلى الداعي، بل أداروا وجوههم كبرياء واحتقاراً. هذا الليّ والفتل ليس مجرد حركة جسدية، بل هو تجسيد لحالة نفسية: رفض، واستكبار، وعدم مبالاة. ثم زادوا الأمر سوءاً: "وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ" . يصدون بأبدانهم، يعرضون ويتباعدون، يمنعون أنفسهم من الخير. فهم بذلك يجمعون بين صد القلب (بعدم الإيمان) وصد الجسد (بالانصراف الفعلي).

ثم يختتم الله وصف هذا الموقف بكلمة جامعة: "وَهُم مُسْتَكْبِرُونَ" . هذه هي الحالة التي أوصلتهم إلى كل هذا: الكبر. كبر في قلوبهم منعهم من الخضوع للحق والخنوع لله ولرسوله. استكبروا عن قبول الدعوة، واستكبروا عن الاعتراف بفضل النبوة، واستكبروا عن مجيئهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبين المغفرة.

ثم تأتي الآية السادسة لترد على تساؤل كان يراود النبي صلى الله عليه وسلم وغيره: هل ينفع فيهم الاستغفار؟ هل يمكن أن يتوبوا ويرجعوا؟ يقول تعالى: "سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ" . استغفارك لهم وعدمه سيان، كلاهما لن يغير شيئاً. فلماذا؟ لأن هؤلاء قد بلغوا درجة من الفسق والعناد تجعلهم غير قابلين للهداية. "لَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ" . إنهم استحقوا الطرد والإبعاد، لأنهم تمردوا على ربهم وكذبوا رسوله وجحدوا آياته. "إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" . هؤلاء قوم فاسقون، خرجوا عن طاعة الله، وآثروا طريق الضلال على الهدى، فكان جزاؤهم حرمانهم من هداية الله وتوفيقه.

هاتان الآيتان ترسمان لنا "أبعاد النفس المنافقة" بأسلوب يجمع بين التحليل النفسي العميق والتصوير الفني البليغ. إنهما ليستا مجرد إخبار، بل هما تشخيص دقيق لمرض الكبر والغرور والتمرد، الذي يعمي القلوب ويصم الآذان. وكل ذلك يؤكد لنا أن الخطر الحقيقي ليس في الأعداء المعلنين فقط، بل في أولئك الذين يعيشون بيننا وفي صفوفنا، وقلوبهم مليئة بالكبر والحقد على الإسلام وأهله.

الأمر الثاني: علاقة هذه الآية بما قبلها (الآيات 1-4 من سورة المنافقون)

العلاقة بين هذه الآية (5-6) وما قبلها (1-4) هي علاقة "التدرج في كشف الجوانب النفسية للمنافق، وانتقال من وصف المظهر الخارجي إلى تشخيص رد الفعل الداخلي تجاه الدعوة" .

في الآيات السابقة (1-4)، كشف الله عن:

· الآية 1: شهادتهم الكاذبة.
· الآيتان 2-3: اتخاذهم الأيمان جُنّة، وصدهم عن سبيل الله، وكذبهم في جوهرهم.
· الآية 4: مظهرهم الخارجي الخادع (أجسام تلفت النظر، وأقوال تخطف السمع)، وحقيقتهم الباطنة ك الخشب المسند، وحالتهم النفسية من الخوف والاضطراب.

ثم تأتي هذه الآية (5-6) لتنتقل إلى تصوير سلوكهم عند دعوتهم إلى الخير. إنها ترينا كيف يواجهون الدعوة إلى الله ورسوله. فبعد أن عرفنا أنهم مخادعون في شهادتهم، كذابون في أيمانهم، خائفون مضطربون، كالخشب الجامد، نرى الآن رد فعلهم عند دعوتهم إلى طلب المغفرة من رسول الله.

العلاقة تفصيلا ً:

.1من "جمال الأجساد والأقوال") الآية (4 إلى "قبح الأفعال ورد الفعل") الآية(5 : الآية الرابعة وصفت مظهرهم الخارجي الخادع .وهذه الآية تصف حقيقة سلوكهم القبيح .إن الفرق شاسع بين ما يبدون عليه) الأناقة في المظهر والكلام (وما هم عليه في الحقيقة) النفور والصدود .(هذا يعلمنا أن لا ننخدع بالمظهر الخارجي، لأن الباطن قد يكون مضاداً له تماماً.
.2من "الخوف من كل صيحة") الآية (4 إلى "الاستكبار عن الدعوة") الآية(5 : في الآية الرابعة، وصفهم الله بأنهم في حالة خوف دائم .وهذه الآية تكشف عن سبب هذا الخوف: هو ضميرهم الذي يعذبهم، وكبرهم الذي يمنعهم من الخضوع .فهم يخافون من الفضيحة لأنهم يشعرون بأنهم فوق الا عتراف بالخطأ والتوبة .الاستكبار هو جذر الجبن، والخوف هو ثمرته .من استكبر عن طلب الحق و الخضوع له، عاش في خوف دائم من انكشاف ضعفه.
.3من "هم العدو فاحذرهم") الآية (4 إلى بيان أن "لا خير فيهم ولا رجاء لتوبتهم") الآية(6 : الآية الرابعة أعلنت أنهم عدو يجب الحذر منه .وهذه الآية تثبت أنهم ليسوا فقط أعداء في الوقت الحاضر، بل هم أيضًا أعداء لا يُرجى فيهم خير، ولا تنفع فيهم التوبة ولا الاستغفار) لأنهم أصرّوا على كفرهم ونفاقهم إلى الممات .(فهي تقطع كل رجاء في إصلاحهم، وتؤكد ضرورة الحذر منهم، وعدم الركون إليهم.

.4التدرج من وصف الصفات إلى تصوير الموقف العملي: الآيات السابقة وصفت صفاتهم وطبائعهم . وهذه الآية تصورهم في موقف حي، مما يجعل هذه الصفات ملموسة ومشهودة، وتزيد من قوة التحذير والتنفير منهم .فأن ترى الإنسان في حالة واقعية يُظهر فيها كبره وعناده أشد تأثيراً من أن تُخبر بأنه متكبر ومعاند.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

هاتان الآيتان تحملان بين طياتهما أفكاراً محورية ستة:

.1دعوتهم إلى الخير وردهم القبيح) كشف التناقض(: يُدعى المنافقون إلى ما فيه صلاحهم) الاستغفار على لسان رسول الله(، وهو عرض عظيم ورحمة واسعة .لكنهم يقابلون هذا الخير بإعراض تام واستكبار .هذا يكشف عن انقلاب الفطرة لديهم.
.2لي الرؤوس وإعراض الجسد) تجسيد الكبر(: "لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ" و "يَصُدُّونَ" .هاتان الحركتان تجسدان حالة نفسية من الرفض والكبرياء .إنهما صورة حية لمن لا يريد أن يسمع كلمة الحق، ولا يريد أن يقترب من أهله.
.3علاقة الاستكبار بباقي الصفات: الاستكبار هو الجذر الذي ينبت منه سائر الصفات الذميمة للمنافق: الكذب، والخداع، والجبن، والصدود عن الحق .فهم يستكبرون عن الخضوع لله، وعن الاعتراف بفضل رسوله، وعن طلب المغفرة، وعن قبول النصيحة.
.4عدم جدوى الاستغفار لهم) الإعلان عن القطيعة الإلهية(: الله يعلن نبيه وللمؤمنين أن الاستغفار لهؤ لاء لا يجدي نفعاً .إنهم قد أغلقت قلوبهم، وأصبحوا من القوم الفاسقين الذين لا يهديهم الله .وهذا قطع للرجاء فيهم، وتأكيد على ضرورة الحذر منهم وعدم الانخداع بهم.
.5فسقهم هو السبب الرئيسي للحرمان من الهداية: تفسير عدم قبولهم للهداية هو أنهم اختاروا الخروج عن طاعة الله) الفسق .(فالله لا يظلمهم، بل هم الذين ظلموا أنفسهم فحُرموا ثواب الهداية.
.6تصوير الحالة النفسية للمنافق) الكبر والخوف(: الآية ترسم لنا لوحة نفسية لشخصية المنافق: هو شخص يشعر بالدونية في داخله) فيخاف من كل صيحة (ويحاول تعويضها بالتكبر والغرور والصدود عن الحق .هذا التحليل يفسر سلوكهم المتناقض.

الأمر الرابع: أهداف الآية ومقاصدها وأغراضها

ما الذي يريده الله منا من خلال هاتين الآيتين؟ إنهما ليستا مجرد إخبار عن حدث، بل هما "تحذير ووسيلة لبناء بصيرة المؤمن" . أراد الله أن:

· يرينا المنافقين في موقف حي لنتعرف عليهم ونحذرهم: ليست العبرة في معرفة أسمائهم، بل في معرفة صفاتهم وسلوكياتهم. هذا يساعدنا في تمييزهم في كل زمان.
· يكشف عن أن الجمال الخارجي لا يمنع القبح الداخلي: بعد أن أخبرنا عن جمال أجسادهم وحلاوة أقوالهم (الآية 4)، أرانا الآن قبح أفعالهم واستكبارهم. لئلا نغتر بالمظهر وننسى الجوهر.
· يؤكد أن الكبر هو أصل كل بلاء: الكبر هو الذي منع إبليس من السجود لآدم، وهو الذي يمنع المنافقين من طلب المغفرة. فاحذر من الكبر فإنه يهلك صاحبه.
· يقطع الرجاء في إصلاح من أصر على النفاق والفسق: ليعلم المؤمنون أن هناك فئة لا تنفع معها النصيحة، ولا يجدي معها الاستغفار، فيتجنبوها ويحذروها ويحصنوا أنفسهم من شرها.
· يعلن قاعدة إلهية أن الهداية لا تنال بالوساطة إذا فسدت القلوب: الاستغفار وسيلة، والرسول سبب، لكن لا ينفع سبب ولا وسيلة إذا كان القلب مريضاً ومصراً على فسقه.

ثانياً: تحليل الآية (رحلة في أعماق النص)

المحور الأول: تحليل (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ)

1/ دلالة "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ" وأهمية حرف "إذا"

"إذا" ظرف شرطي يفيد التكرار والاستمرار. أي أن هذا ليس موقفاً عابراً، بل هو ديدنهم وطبيعتهم الثابتة. كلما قيل لهم هذا القول، كان ردهم هو نفسه. هذا يحول الصفة من عارضة إلى راسخة في النفس. و"قيل" فعل مبني للمجهول، يُظهر أن الدعوة تأتيهم من غير تعيين، ليشمل أي داعٍ إلى الخير.

2/ دلالة "تَعَالَوْا") أسلوب النداء والترغيب(

"تعالوا" هو أسلوب نداء، فيه حث واستعطاف ولطف. إنهم لا يُؤمرون، بل يُدعون بلطف ورحمة. وهي دعوة صادقة إلى خير محض: طلب المغفرة من رسول الله، وهو رسول الرحمة. هذا يبين أن الإسلام لم يترك باباً للتوبة إلا وفتحه.

3/ دلالة "يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ") عظمة المطلوب(

الاستغفار طلب المغفرة، وهو من أعظم أبواب الرحمة. وإضافته إلى رسول الله تضفي عليه قدسية خاصة. قال العلماء: "كانوا إذا أذنبوا أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاستغفروا الله عنده، فاستغفر لهم النبي، فكان ذلك سبباً لقبول التوبة". فهذا خير عظيم يُعرض عليهم، لكنهم استكبروا عنه.

4/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: الإنسان الفاسد يرفض الخير حتى لو جاء من أعظم الناس .المنافق يعرف أن الا ستغفار على لسان النبي خير، لكن كبره يمنعه .هذا يدل على أن المرض النفسي يمكن أن يعمي الإ نسان عن مصلحته.
.2الرسالة التربوية: لا تترك باب النصيحة مفتوحاً حتى مع من تعلم شرهم .النبي صلى الله عليه وسلم ظل يدعوهم ويدعوهم .هذا يعلمنا ألا نيأس من دعوة الناس، حتى لو كانوا منافقين .الباب مفتوح، والهداية بيد الله.
.3الرسالة الفكرية: العبرة بالقبول لا بالعرض .عرض الخير عليهم شرف لهم، لكنهم لم يقبلوه، فأضاعوا الشرف .فليست القيمة في أن تُعرض عليك الهداية، بل في أن تستجيب لها.
.4الرسالة العملية: إذا أردت أن تصلح شخصاً، ابدأ باللطف والنداء "تعالوا" .هذا الأسلوب أجدى من العنف والزجر.

المحور الثاني: تحليل (لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ)

1/ دلالة "لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ") الحركة التي تجسد المعنى(

· "لَوَّوْا" : من اللَيّ، وهو الفتل والإدارة. وهي صيغة مبالغة تدل على شدة الفعل.
· "رُءُوسَهُمْ" : الرأس هو موضع العقل والكرامة. ولَيّ الرأس وإدارته دليل على الإعراض والرفض. إنها حركة جسدية تترجم حالة نفسية: الكبر والجفاء. لم يلتفتوا، بل أداروا وجوههم احتقاراً. هذه الحركة الصغيرة توحي أنهم لا يريدون أن يروا الداعي، ولا يريدون أن يسمعوا كلامه. إنه تجسيد لمعنى "الطمس" و"الإعراض".

2/ دلالة "يَصُدُّونَ"

الفعل "يَصُدُّونَ" يدل على الإعراض والمنع. يصدون بأبدانهم، يتباعدون وينصرفون. كما أن المعنى يشمل: يصدون غيرهم عن الإيمان (بسبب سوء مثالهم)، ويصدون أنفسهم عن طريق الله. والآية هنا تشير إلى الصدود الجسدي الذي هو نتيجة الصدود القلبي.

3/ دلالة "وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ") الجملة الحالية(

"وهم مستكبرون" جملة في محل نصب حال، أي أنهم في حالة كبر. الاستكبار هو التعاظم ورفض الحق. وهذه هي العلة الجذرية لكل الأفعال السابقة. هم لم يلووا رؤوسهم ويصدوا إلا بسبب هذا الكبر الذي استقر في قلوبهم. الاستكبار صفة إبليسية، وهي التي منعته من السجود لآدم. وهي التي تمنع المنافقين من طلب المغفرة من رسول الله.

4/ تشخيص الجوانب النفسية) الكبر والغرور والتمرد(

· الكبر: إحساسهم بأنهم فوق طلب المغفرة، وأنهم أعلى منزلة من أن يذهبوا إلى رسول الله.
· الغرور: تصورهم بأنهم الأعزة والأذلاء هم المؤمنون، وفي قلوبهم أنهم أغنياء.
· التمرد: رفضهم الخضوع للحق، وإصرارهم على موقفهم المخالف للإيمان، حتى ولو كان الثمن هو الخسران المبين.

5/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: الكبر آفة نفسية مدمرة .الكبر هو المرض الذي يفسد سائر الأعمال .من تكبر لم يستفد من النصح، ولم يذعن للحق، وعاش في وهم العزة والكرامة وهو أذل الخلق.
.2الرسالة التربوية: الانتباه إلى لغة الجسد .ليّ الرأس والإعراض عن المتحدث هما من علامات الكبر وعدم الاكتراث .هذا يعلمنا أن ننتبه لهذه الإشارات في التعامل مع الناس.
.3الرسالة الفكرية: العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .استكبارهم على رسول الله هو دليل على أنهم لا يعرفون الله حق معرفته .فالعزة الحقيقية لله وحده، ومن يعزه الله فهو العزيز.
.4الرسالة العملية: احذر من الكبر في نفسك .إذا وجدت نفسك ترفض نصيحة أو تتعالى على طلب الخير، فاعلم أن هذا من الكبر .بادر إلى علاجه.

المحور الثالث: تحليل (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ)

1/ دلالة "سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ"

"سواء" تعني الاستواء والتساوي. أي أن استغفارك لهم وعدمه كلاهما سيان لا يختلفان. هذا يدل على أن الاستغفار لا يؤثر فيهم، لأن العلة ليست في عدم الاستغفار، بل في قلوبهم الميتة. هذا القول يحزن النبي صلى الله عليه وسلم ويبرئ ساحته، فهو يبذل جهده ولكنهم لا يستجيبون.

2/ دلالة "أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ"

التعبير يظهر أن الله قد عرض الأمر على النبي صلى الله عليه وسلم: هل تريد أن تستغفر لهم أم لا؟ في الحالتين لن يغفر لهم. هذا ليزيل الحرج عن النبي، وليبين له أن المشكلة ليست في وسيلته أو دعوته، بل في قسوة قلوبهم وإصرارهم على الكفر.

3/ دلالة "لَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ"

"لن" تفيد النفي المؤكد في المستقبل. أي أنه لن يحدث أبداً أن يغفر الله لهم. هذا حكم قطعي، لأنهم أصرّوا على النفاق والفجور حتى ماتوا عليه. وهذا يظهر شدة جريمتهم وخطورة حالهم.

4/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: اليأس من إصلاح الفاسد المصر .على الداعية ألا يتعب نفسه في محاولة إصلاح من أصر على فساده .اليأس في هذه الحالة ليس ضعفاً، بل هو حكمة وتوفير للجهد.
.2الرسالة التربوية: الإخلاص في الاستغفار لا ينفع بلا إيمان .أكثر الدعاء والاستغفار مطلوب، لكنه لا ينفع إذا كان العبد مصراً على الكفر والنفاق .الإيمان شرط أساسي لقبول الأعمال.
.3الرسالة الفكرية: القاعدة: لا ينفع الدعاء لمن لا يريده .الدعاء باب عظيم، لكنه لا يفتح على قلوب مغلقة بإرادة أصحابها.
.4الرسالة العملية: لا تتحسر على فساد المفسدين .إذا بذلت جهدك في نصح وإصلاح شخص، وأصر على ضلاله، فارض بقضاء الله، ولا تحمل نفسك فوق طاقتها.

المحور الرابع: تحليل (إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ)

1/ دلالة "إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي"

الجملة الاسمية المؤكدة بـ "إن" تفيد الثبات والاستمرار. وهذا قانون إلهي ثابت: أن الله لا يوفق للهداية من اختار لنفسه طريق الفسق والخروج عن طاعته. هذه ليست ظلماً من الله، بل هي نتيجة حتمية لاختيارهم الشر.

2/ دلالة "القَوْمَ الفَاسِقِينَ"

الفسق هو الخروج عن طاعة الله. والآية تخصص هذه الصفة للمنافقين، فهم الذين خرجوا عن طاعة الله حقيقةً، بخلاف المؤمنين الذين التزموا بها. "القوم" تشير إلى أن الفسق صفة ملازمة لهم، تجمعهم وتوحدهم على الضلال.

3/ العلاقة بين عدم الهداية والفسق

ليس عدم الهداية هو سبب الفسق، بل الفسق هو سبب عدم الهداية. فمن فَسُقَ وخرج عن طاعة الله، استحق أن يحرم من نور الهداية والتوفيق. هذا يضع المسؤولية كاملة على كاهل العاصي المصرّ.

4/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: الشعور بخطورة الفسق .الفسق ليس مجرد ذنب عادي، بل هو حجاب يحول بين العبد وبين هداية الله .هذا يدفع المؤمن للتوبة والاستغفار خوفاً من أن يحرمه الله من هدايته.
.2الرسالة التربوية: ربط الهداية بالطاعة .الطريق إلى هداية الله هو طاعته .من ترك الطاعة فقد أغلق على نفسه باب الهداية .وهذا مبدأ أساسي في تربية النشء.
.3الرسالة الفكرية: الرد على من يلقي باللوم على الله في ضلاله .الآية تثبت أن الضلال نتيجة للفسق، والله لا يهدي القوم الفاسقين .فمن يظل فهو لنفسه .هذا يقطع الطريق على الجبرية.
.4الرسالة العملية: مراجعة النفس باستمرار .إذا شعرت بقسوة في قلبك أو نفور من الطاعة، فاعلم أن هذا بداية فسق، فبادر إلى التوبة.

ثالثاً: سبب النزول والقصص المرتبطة بالآية

الأمر الأول: ذكر سبب النزول كاملا ً

نزلت هذه الآيات في أعقاب حادثة شهدت تفاقماً للأزمة بين المهاجرين والأنصار، كادت أن تشعل نار الفتنة في المجتمع المسلم الوليد. إليك تفصيل القصة كما رواها المفسرون وأهل السير:

الخلفية: كان النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق (غزوة المريسيع). وبينما كان الناس على ماء يقال له "المريسيع"، وردت واردة الناس (أي جماعة ترد الماء)، وكان مع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري. وازدحم جهجاه مع سنان بن وبرة الجهني، حليف بني عوف بن الخزرج، على الماء، فاقتتلا، وصرخ سنان الجهني: "يا معشر الأنصار!"، وصرخ جهجاه: "يا معشر المهاجرين!". وأعان جهجاه رجل من المهاجرين يقال له جعال، وكان فقيراً.

موقف عبد الله بن أبي: غضب عبد الله بن أبي بن سلول، رأس المنافقين، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم، وهو غلام حديث السن، فقال: "أوقد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا. أما و الله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم ببلادكم وقاسمتموهم أموالكم، والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم". ثم قال: "وما حالنا إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك". يقصد بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

تبليغ زيد بن أرقم: سمع زيد بن أرقم هذه المقالة فمشى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب. فقال عمر: "يا رسول الله، مر بي عباد بن بشر فليقتله". فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟". ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: "آذنوا بالرحيل".

رحيل النبي ونزول الآيات: فارتحل في ساعة لم يكن يرتحل فيها، ليبعد الناس عن هذه الفتنة. فلما ارتحل، لقيه أسيد بن حضير، فقال: "يا رسول الله، لقد رحت في ساعة لم تكن تروح فيها؟" قال: "أو ما بلغك ما قال ابن أبي؟" قال: "وماذا قال؟" قال: "زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها ا لأذل". فقال أسيد: "فأنت والله تخرجه إن شئت، فإنك العزيز وهو الذليل". ثم قال: "يا رسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاء الله بك ونحن نعقد له الخرز لنتوجه، فلما جاءك الله به، شرق به ريقه (أي غصّ بغيظه)". فأنزل الله تعالى الآيات من قوله: "هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله" إلى آخر السورة.

1/ العلاقة بين القول والسلوك: كيف تعبر الفلتات عن الخفايا

هذا الموقف يكشف عن جوهر النفس المنافقة. فعندما هاجم ابن أبي الإسلام بهذا القول البغيض، لم يكن ذلك اعتباطاً، بل كان "فلتة" من فلتات اللسان كشفت عن خباياه. هذا القول لم يصدر منه في

لحظة هدوء وتخطيط، بل في لحظة غضب ونشوة بوهم القوة (تصوره أنه الأعز)، فانكشفت حقيقته. وهذا يعلمنا أن الغضب والمواقف الصعبة هي التي تظهر معادن الرجال.

2/ موقف ابنه البار عبد الله بن عبد الله بن أبي

عبد الله بن عبد الله بن أبي هو نموذج للابن البار الصالح الذي برئ من أبيه في الدين. لما بلغه ما قاله أبوه، أتى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له: "يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا ً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه. فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمسي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار". فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم: "بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا".

ثم إنه بعد أن سار الناس إلى المدينة، وقف ابن عبد الله بن أبي على باب المدينة، واستل سيفه، وجعل الناس يمرون عليه. فلما جاء أبوه، قال له: "والله لا تدخلها حتى تعترف بأنك الأذل وأن رسول الله الأعز". فاضطر ابن أبي أن يقول: "أنا الأذل، ومحمد الأعز". فأخبر النبي بذلك، فاستغفر له وسامحه.

هذا الموقف يعلمنا أن البر بالأب لا يكون بالكفر، بل بالمعروف والصلاح. وهذا الابن أظهر شجاعة نادرة، وتصدى لأبيه الكافر في سبيل دينه.

الأمر الثاني: موقف النبي صلى الله عليه وسلم وحكمته

1/ رفض قتل ابن أبي رغم الإذن

رفض النبي صلى الله عليه وسلم قتل ابن أبي، مع أن عمر بن الخطاب وأسيد بن حضير وغيرهم من كبار الصحابة طلبوا ذلك بشدة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه". وفي رواية: "إني أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه". وفي رواية أخرى: "أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله؟"

2/ الحكمة من هذا الرفض

· الحفاظ على صورة الإسلام في عيون الناس (درء الشبهة): لو قتل ابن أبي بالرغم من أنه أظهر الإ سلام، لقال الناس: "كان محمد يقتل أصحابه". وكان ذلك سيكون أداة دعائية قوية ضده. النبي صلى الله عليه وسلم كان يهتم بمنع الشبهة قبل وقوعها.
· الإمهال وترك العقوبة لله: لم يكن من الحكمة استعجال العقوبة، فقد كان في إمهالهم وتركهم عبرة للمؤمنين واستدراج للمنافقين. النبي صلى الله عليه وسلم ترك أمرهم إلى الله الذي أظهر نفاقهم في القرآن، وأذلهم وفضحهم في الدنيا والآخرة.
· اختبار للصحابة في ضبط النفس: الصبر على أذى المنافقين كان اختباراً لصدق إيمان الصحابة وقدرتهم على تحمل المسؤولية.
· تأليف القلوب: قد يكون في إبقائه على قيد الحياة فرصة لتوبة من حوله، أو تأليف قلوب عشيرته الذين كانوا يعظمونه.
· إظهار عظمة الإسلام: أن يثبت النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الموقف مع قدرته على القتل هو أبلغ رد على من يدّعون أن الإسلام ينتشر بالسيف؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم عفا عن عدوّه وهو قادر عليه.

3/ عبرة من موقف أسيد بن حضير

أسيد بن حضير، وهو من أشراف الأنصار، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "فأنت والله تخرجه إن شئت، فإنك العزيز وهو الذليل". ثم قال: "يا رسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاء الله بك ونحن نعقد له الخرز لنتوجه، فلما جاءك الله به، شرق به ريقه". هذا يدل على أن أسيد كان يعلم أن العزة لله ولرسوله، وأن الإسلام هو الذي أعزهم، وأن نفاق ابن أبي ليس له حقيقة. ولكن طلب الرفق به كان شفقة على حاله الذي قاده الكبر إلى هذه المهانة.

4/ كيفية تعامل القائد مع هذه المواقف

هذا الموقف يعلمنا كيف يجب أن يكون القائد في مواجهة الفتن والمؤامرات:

· ضبط النفس: لم ينفعل النبي صلى الله عليه وسلم. بل ظل هادئاً حكيماً.
· تقدير العواقب: لم ينظر النبي إلى اللحظة الآنية فقط، بل فكر في انعكاسات القرار على الأمة مستقبلا ً ("لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه").
· تقدير القوة الحقيقية: لم يرَ النبي في قتله قوة، بل رأى قوته في الصبر والحلم. القائد الحقيقي هو من يتحمل الإهانة الشخصية من أجل المصلحة العامة.
· العمل على إطفاء الفتنة لا إشعالها: رحيل النبي فوراً (الارتحال في ساعة لم يكن يرتحل فيها) كان وسيلة لقطع النقاش وامتصاص الغضب.
· التعامل مع الناس على قدر عقولهم: ابن أبي كان متكبراً جاهلا ً، فتركه النبي لعقابه الإلهي.

وهذا كله يذكرنا بأن على القائد أن يكون قلبه راسخاً ممتلئاً بالعلم والإيمان والأخلاق والحكمة، طاهراً من الحقد، حليماً صبوراً، لا تدفعه العواطف والغضب إلى قرارات تندم عليها.

رابعاً: الدروس والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها هذه الآية

تعالج هاتان الآيتان قضايا نفسية وتربوية وسياسية بالغة الخطورة:

· ظاهرة الاستكبار والعناد عند مواجهة الحق: أن كثيراً من الناس يعرفون الحق ولكنه يعاندونه ويرفضونه بسبب كبر في قلوبهم أو مرض نفسي.
· رفض التوبة والاستغفار مع العلم بالحاجة إليه: المنافقون كانوا يحتاجون للاستغفار أشد الحاجة، لكنهم استكبروا عنه.
· كيفية التعامل مع المعاندين والمفسدين داخل الصف: من خلال الصبر والحكمة وعدم التسرع في العقوبة البانية.
· العلاقة بين المرض النفسي (الكبر) والسلوك المنحرف: الآية تحلل نفسية المنافق، وتبين أن سبب انحرافه هو الكبر والغرور.
· وهم العزة والكرامة عند أهل الباطل: أن المنافقين يعتقدون أنهم الأعزة وأن المؤمنين هم الأذلاء، وهذا وهم كبير لأن العزة لله جميعاً.

الأمر الثاني: ماذا يريد الله منا من خلال هذه الآية، وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولا ً: ماذا يريد الله منا؟ (المراد الإلهي)

.1ألا نكون من المستكبرين: أن نتحلى بالتواضع، ونعترف بخطايانا، ونسارع إلى طلب المغفرة.
.2ألا نرفض الحق بسبب الكبر أو اتباع الهوى: أن نكون من الذين إذا قيل لهم "تعالوا" أجابوا ولبّوا.
.3ألا نعتد بمظهرنا وجمالنا وأموالنا فنظن أننا الأعزة، بل ندرك أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.
.4أن نتعلم من النبي صلى الله عليه وسلم الحكمة في التعامل مع الأعداء: فنتجنب التصادم غير المحسوب، ونعمل على درء الشبهات.

ثانياً: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟ (التطبيق العملي)

.1دعوة إلى "التواضع وقبول الحق وطلب المغفرة" : لا تكن ممن يُدعى إلى الخير فيُدير رأسه ويُعرض .كن ليناً منقاداً.
.2دعوة إلى "الحذر من الكبر" : تفقد قلبك دائماً، هل فيه كبر على الحق أو على الناس؟ تذكر أن الكبر كان سبب هلاك إبليس وهلاك المنافقين.
.3دعوة إلى "عدم الانخداع بالمظاهر الخارجية" : الجمال والمال والمنصب لا تعني أن صاحبها هو العزيز .العزة في طاعة الله والاتباع.
.4دعوة إلى "استشارة العقلاء والحكماء في مواقف الفتن" : لم يستعجل النبي، بل تأنى وتشاور، فكانت النتيجة حفظ تماسك المجتمع.
.5دعوة إلى "عدم اليأس من إصلاح المخطئ" لكن مع عدم الانخداع به: استمر في دعوة المخطئ، لكن بقلب واعٍ لا ينخدع بالظواهر.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية الكريمة قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

لتحويل هاتين الآيتين من "نص متلو" إلى "واقع ملموس"، اتبع هذه المنهجية المكونة من أربع مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة "الاستحضار الواعي" (قبل البدء): قبل أن تقرأ الآية، استحضر أن الله يصور لك حال المنافقين لتحذرهم وتعرفهم. استحضر أنك قد تكون عرضة لصفة من صفاتهم (كبر، إعراض) فاحذر. هذه المواقف يجب أن تظل حاضرة في أذهاننا ومشاعرنا لنتعلم منها.

المرحلة الثانية: مرحلة "التفكيك التحليلي" (فهم الموقف): حلل سلوكك على ضوء هذه الآية:

· عندما يُدعى إلى الخير (صلاة، جماعة، عمل تطوعي، استغفار)، هل تميل إليه؟ أم تعرض وتلوّي رأسك؟
· هل في قلبك كبر يمنعك من الاعتراف بالخطأ أو طلب العون؟
· هل تغتر بمنظرك أو جاهك أو نسبك فترى نفسك أعلى من غيرك؟

المرحلة الثالثة: مرحلة "التفعيل العملي" (تحويل المفهوم إلى سلوك):

· فعّل كلمة "تعالوا" في حياتك: كلما سمعت دعوة إلى خير، أجب بسرعة دون تردد.
· فعّل طلب المغفرة: اجعل لنفسك وردًا يوميًا من الاستغفار، وتذكر أن النبي كان يستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة.
· فعّل التواضع: إذا شعرت بتكبر على الحق، تذكر قصة إبليس وقصة المنافقين، وتب إلى الله.

المرحلة الرابعة: مرحلة "الانعكاس التقويمي" (المراجعة): في نهاية كل أسبوع، اسأل نفسك:

· هل رددت دعوة خير هذا الأسبوع بسبب كبر؟
· هل استغفرت كثيرًا وتذكرت أن الاستغفار لا ينفع بلا إيمان صادق؟
· هل خطر ببالك أنك "العزيز" وأن غيرك "الأذل"؟

الأمر الرابع: ما الذي نستلهمه من الآية من دروس وعبر وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية؟

أولاً: الدروس المستلهمة (الرؤية)

1. درس "الكبر أصل كل بلاء": الكبر هو الذي منع إبليس من السجود، وهو الذي منع المنافقين من الاستغفار. من أراد الهداية، فعليه بسلوك طريق التواضع.
2. درس "ليّ الرأس" علامة على الإعراض: تعلم أن لغة الجسد تعبر عما في القلب. من يلوّي رأسه عند النصيحة، فاعلم أنه متكبر.
3. درس "لا تغتر بمظهرك": الجمال الأجساد والأصوات لا يعني شيئًا إذا كان القلب خاويًا من الإيمان.
4. درس "طلب المغفرة طريق العزة": من يطلب المغفرة من الله يعزّه الله. ومن يستكبر عنها يذله الله.
5. درس "الحكمة في التعامل مع الأعداء": العنف ليس دائمًا هو الحل. الصبر والحلم والتخطيط للعواقب قد يكون أنجع.

ثانيًا: كيفية التطبيق في الحياة العملية (التنفيذ)

1. بصفتك مسلمًا: إذا سمعت كلمة "تعالوا" من مؤذن، أو من داعية، أو من ناصح، فأجب بقلب منشرح، ولا تلوِ رأسك.
2. بصفتك قائدًا: لا تستعجل في عقاب المخطئ، ولا تترك الغضب يدفعك إلى قرار مصيري. فكر في تداعيات أفعالك على المدى البعيد.
3. بصفتك معلمًا: انتبه إلى تصرفات طلابك. من يلوّي رأسه أو يُعرض عند الدرس أو النصيحة، حاول الوصول إلى قلبه أولاً، ولا تصطدم معه.
4. بصفتك أبًا: إذا ناديت ابنك للصلاة أو للدراسة، ولوى رأسه، فلا تغضب فورًا. هذا تصرف منافق يحتاج إلى معالجة بالحكمة واللين.

خامساً: الوقفات والتأملات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

للفهم العميق لهذه الآية، علينا أن ننظر إليها كـ "تشريح نفسي اجتماعي للمرض القلبي" . الفهم العميق يتجاوز التفسير اللفظي (ليّ الرأس والصدود) إلى مستويات أعمق:

مستوى "سلوك الفرد في حالة عدم الشعور بالأمان": المنافق كغيره يشعر بالخوف، لكنه يخفي ضعفه تحت ستار الكبر والغرور. هذه الآية تشخص حالة شائعة: التكبر على الحق هو قناع للضعف الداخلي والخوف من الاعتراف بالخطأ.

مستوى "نظرية الاستعلاء كتعويض عن الشعور بالنقص": يبدو المنافق وكأنه يعاني مما يُعرف بـ "عقدة النقص" التي يخفيها تحت مظاهر القوة والاستعلاء. فهو يتكبر ويتعالى على الحق ليشعر أنه موجود. هذا يُفسر لنا الكثير من حالات العناد والرفض التي نراها في حياتنا اليومية.

مستوى "الأمان الداخلي والفزع النفسي": من خان الله ورسوله، لا يمكن أن يعيش مطمئناً. سيظل في خوف وقلق دائمين. هذا المستوى يرينا أن الاستقرار النفسي الحقيقي لا يتحقق إلا بالصدق والإيمان.

مستوى "دور القائد في مواجهة أزمات الفتنة": قصة النبي في التعامل مع أزمة ابن أبي، في رحلته المباغتة، وامتناعه عن القتل، تعطي نموذجاً عملياً خالداً للقادة والحكام في كيفية احتواء الفتن وحماية المجتمع من الانهيار.

الأمر الثاني: كيف تغير الآية من نظرتك للحياة؟

هذه الآية ليست مجرد إخبار، بل هي "ثورة في مفاهيم العزة والكرامة وطلب المغفرة" :

.1تغير نظرتك إلى "طلب المغفرة" : من طلب المغفرة، لا يذل، بل يعز .فالمنافقون استكبروا عنها فذلوا .والمؤمنون يتواضعون لله فيرفعهم.
.2تغير نظرتك إلى "الكبر" : الكبر ليس قوة، بل هو مرض نفسي يعكس الضعف والهشاشة .القوي الحقيقي هو من يخضع للحق.
.3تغير نظرتك إلى "الاستجابة للدعوة" : عندما يناديك شخص بالخير، خاصة إذا كان عالماً أو ذا مكانة، فلا تتردد، فهذه علامة تواضعك وسلامة صدرك.
.4تغير نظرتك إلى "العزة" : العزة ليست في الغنى أو الجاه، بل في طاعة الله واتباع رسوله وولاية المؤمنين.
.5تغير نظرتك إلى "الفسق" : الفسق ليس مجرد معصية، بل هو حالة من الخروج عن طاعة الله تؤدي إلى الطرد من رحمته .هذا يزيد في مخافة الله.

الأمر الثالث: وقفات تأملية من الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة "ليّ الرأس" : تخيل أنك تنصح شخصاً، فبدلا ً من أن يشكرك ويصغي، يلوي رأسه ويُعرض. هذه إشارة واضحة إلى أنه متكبر ولا يريد النصح. هذه الوقفة تذكرك أن لا تضيع وقتك مع المتكبرين.

الوقفة الثانية: وقفة "الصدود" : إذا دعوت شخصاً إلى الخير، ووجدته يصد بجسمه ويبتعد، فلا تلح عليه. هذا يذكرك أن لا تكن مثله. كن مستعداً للاستجابة.

الوقفة الثالثة: وقفة "وهم العزة" : كيف كان ابن أبي يتصور نفسه الأعز ورسول الله هو الأذل، ثم صار هو الأذل واعترف بذلك أمام الناس على باب المدينة؟ من يظن نفسه عزيزاً بغير الله، سينتهي به الحال إلى الذل.

الوقفة الرابعة: وقفة "طلب المغفرة" : الاستغفار ليس مجرد كلمات، بل هو سلوك. طلب المغفرة هو اعتراف بالضعف والحاجة إلى الله. من استكبر عن الاعتراف بضعفه، حرم نفسه من خيري الدنيا والآ خرة.

كيف تنقل هذه الوقفات إلى فريقك أو أسرتك؟

· اقرأ معهم موقف ابن أبي وليّه رأسه، وناقشهم: "هل نعرف أشخاصاً يفعلون هذا؟ ما هي علاماتهم؟".
· احكِ لهم قصة ابن عبد الله بن أبي وكيف وقف بالسيف في وجه أبيه، وكيف كان باراً به وفي الوقت نفسه مناصراً للحق.
· ناقش كيف كان النبي حكيماً فلم يقتل ابن أبي، وكيف استطاع أن يطفئ الفتنة بذكائه وحكمته.

الأمر الرابع: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

.1نتعلم أن "طلب المغفرة مكرمة وليس مذلة" : من يتواضع لله يرفعه الله، ومن يستكبر عليه يخزيه .لا تتردد في الاستغفار والاعتراف بالخطأ.
.2نتعلم أن "الكبر يحرم الإنسان من خير الدنيا والآخرة" : المنافقون حُرموا من خيري الدنيا والآخرة بسبب كبرهم .فاحذر.
.3نتعلم أن "لا يعجبك منظر الناس ولا كلامهم" : المنافقون كانوا أصحاب منظر وكلام، ولكنهم كانوا أخس الخلق عند الله.
.4نتعلم أن "المؤمن ينظر للقلوب لا للوجوه" : المؤمن يزن الناس بميزان التقوى والعمل الصالح، وليس بميزان الأموال والأجساد.
.5نتعلم أن "الفسق طريق مسدود" : من خرج عن طاعة الله، أغلقت في وجهه أبواب الخير .فكن على طريق الطاعة.

سادساً: أبعاد وآفاق ومفاهيم وقيم الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

إن هاتين الآيتين ليستا مجرد وصف، بل هما نافذة على أبعاد متعددة:

البعد النفسي (تشريح مرض الكبر): الآية تقدم تحليلا ً دقيقاً لعقدة الكبر وأعراضها: ليّ الرأس (كعلا مة على الرفض)، الصدود (كعلامة على الهروب)، الاستكبار (كجذر للمرض). هذا البعد يساعد في تشخيص الأمراض النفسية وعلاجها.

البعد الاجتماعي (ضرورة الحذر من عملاء الداخل): الآية تؤصل لمبدأ أمني سياسي: أن أخطر الأعداء هم عملاء الداخل، وكيف أنهم يستعملون الكبر والخداع كأدوات للتخريب.

البعد التربوي (استعمال أسلوب النداء والرفق): قوله "تعالوا" بدلا ً من "افعلوا" هو أسلوب تربوي رفيع. يدل على أن التعامل باللطف والاحترام قد يكون أجدى من التعامل بالزجر.

البعد الأخلاقي (فضيلة التواضع): الآية تذم صفة الكبر، وتمتدح التواضع والانقياد للحق. فهي تدعو إلى التحلي بهذه الفضيلة.

البعد القيادي (نموذج النبي في التعامل مع الفتن): يقدم الموقف نموذجاً متكاملا ً في القيادة الهادئة الحكيمة التي تسعى لدرء الفتنة وتوحيد الصف، وليس للانتقام أو التصعيد.

الأمر الثاني: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

لتحويل هاتين الآيتين إلى مفاهيم عملية (مفاهيم عملية) نعيشها في واقعنا، يمكننا استخلاص أربعة مفاهيم جوهرية:

.1مفهوم "الاستجابة للدعوة" : أن يكون القلب ليناً مستعداً لقبول الحق والخضوع له، لا متحجراً جافاً يلوّي رأسه ويعرض .هذا المفهوم يضبط موقف الإنسان من النصيحة.
.2مفهوم "الكبر حجاب": أن الكبر يحجب الإنسان عن رؤية الحق وعن قبول النصيحة، ويجعله في ضلال مبين .هذا المفهوم يفسر الظواهر الاجتماعية السلبية.
.3مفهوم "الوسيلة لا تنفع بلا استعداد" : الاستغفار وسيلة، والنبي سبب، لكن هذه الوسائل والأسباب

لا تنفع إذا لم يكن القلب مستعداً لقبولها .هذا المفهوم يصحح العلاقة بين الأسباب والمسببات.
.4مفهوم "الفسق مانع للهداية" : أن الخروج عن طاعة الله هو أصل البلاء والحرمان من الهداية .هذا المفهوم يربط بين الأخلاق والتوفيق.

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية

.1مفهوم "التفاعل الجسدي كترجمة للنفسية" : ليّ الرأس والصدود ليسا مجرد حركتين عابرتين، بل هما انعكاس لحالة داخلية من الكبر والضيق والرفض .الجسد يعبر عما في القلب.
.2مفهموم "عقدة الاستعلاء" : يبدو المنافق وكأنه يعاني من عقدة نقص عميقة يحاول تعويضها بإظهار الكبر والغرور، وهذا ما يجعله يلوّي رأسه ويصد عن الحق.
.3مفهموم "الخوف المقنع": خوف المنافقين هو خوف من أن تنكشف حقيقتهم، وهذا الخوف يظهرون عكسه وهو التكبر .فالتكبر هنا هو قناع للخوف والضعف.

المفاهيم الفكرية

.1مفهوم "القبول الهادئ للحق": الصادق لا يحتاج إلى تصنع، يقبل الحق بهدوء واطمئنان .المنافق يحتاج إلى ردة فعل عكسية لإخفاء حقيقته .هذه المقارنة تصحح معايير الصدق.
.2مفهموم "تقييم الشخص من خلال موقفه من الدعوة": مقياس الرجال ليس في مناظرهم، بل في استجابتهم لدعوة الحق .فمن استجاب فهو صادق، ومن أعرض فهو منافق.
.3مفهموم "العدالة الإلهية في حرمان الفاسقين" : حرمان الفاسقين من الهداية ليس انتقاماً، بل هو نتيجة حتمية لاختيارهم الفسق .هذا المفهوم يرد على شبهة ظلم الله.

المفاهيم التربوية

.1مفهوم "التشجيع بالنداء" : بدلا ً من إصدار الأوامر الجافة، استخدم أسلوب الدعوة والنداء مع من تريد إصلاحهم، فهذا يلين القلوب.
.2مفهموم "ربط الحرمان الأخلاقي بالحرمان من التوفيق" : من يُدعى للخير ويعرض عنه، إنما يحرم نفسه من توفيق الله .هذا المبدأ يربط بين التربية والدين.
.3مفهموم "تجنب التصادم غير المحسوب" : كالقائد الذي ترك المصلحة العامة فوق رغبته في الانتقام الشخصي.

الأمر الرابع: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

.1مفهوم "بناء الأمة على التواضع والاستجابة" : قوة الأمة ليست في كبر أفرادها، بل في تواضعهم للحق واستجابتهم لدعوة الخير .هذا المفهوم يوجه التنمية البشرية.
.2مفهوم "التنمية الأخلاقية بمحاربة الكبر" : لا يمكن بناء مجتمع فاضل وهو يعاني من آفة الكبر، لأ نه يمنع قبول النصيحة والتعاون .التنمية تبدأ بتطهير النفوس من الكبر.
.3مفهوم "استدامة التوفيق بالصدق" : من كان صادقاً مع الله، استدام توفيقه .ومن كان منافقاً متكبراً، سُلب توفيقه .هذا المفهوم يضمن الاستدامة الأخلاقية.
.4مفهوم "بناء القيادة على الصبر والحكمة" : القائد لا يُقاد بعواطفه، بل يفكر في العواقب ويدير الأ زمات بهدوء، مهما كانت الاستفزازات.

الأمر الخامس: دور الآية ومفاهيمها في صناعة الشخصية المسلمة والأسرة المسلمة والمجتمع و الحضارة والنهضة في الحياة

صناعة الشخصية المسلمة (بناء الفرد): الآية تصنع شخصية "المؤمن المتواضع". شخصية إذا قيل لها "تعالوا" بادرت بقلبها وجسدها. لا تعرف التكبر ولا ليّ الرأس. تسارع إلى طلب المغفرة، وتعلم أن العزة لله وليست لها. هي شخصية مستقرة نفسياً لأنها لا تخاف شيئاً، ولا تكابر على الحق. هذه الشخصية هي أساس قوة الأمة.

صناعة الأسرة المسلمة (بناء الخلية): الأسرة التي تستحضر هذه الآية هي أسرة "الاستجابة للخير". الأ بوان يعلمان الأبناء ألا يلووا رؤوسهم إذا نودوا للصلاة أو للبر. الأسرة تربي على التواضع والتسامح. ا لأبناء يتربون على أن من تكبر ولوّى رأسه، فهو يخسر الكثير. هذه الأسرة تنتج أفراداً أسوياء نفسياً،

قادرين على الاندماج في المجتمع.

صناعة المجتمع المسلم (بناء البنية): المجتمع الذي يفهم هذه الآية هو مجتمع "واعٍ لا ينخدع بـ المظاهر". أفراده لا يضعون ثقتهم في أصحاب الأجساد الفارهة والأقوال المعسولة، بل في أصحاب القلوب المستقيمة. يعرفون أن من يكثر من ليّ الرأس والإعراض عن الحق هو عدو لهم. يستطيع قادتهم احتواء الأزمات بالصبر والحكمة، ولا ينقادون للعواطف والانتقام الشخصي. هذا المجتمع متماسك قوي.

صناعة الحضارة الإسلامية (بناء النموذج): الحضارة التي تنطلق من هذه الآية هي حضارة "التواضع و العدل". هي حضارة لا تخلق أفراداً متكبرين، بل تخلق أفراداً متواضعين للحق، مستعدين للاعتراف بـ الخطأ وطلب المغفرة. هي حضارة تؤمن بأن العزة لله وحده، وليس لشعب أو لطبقة. قادتها حكماء لا يستعجلون العقاب، ويدركون أن الصبر أحياناً هو أقوى من الانتقام. هذه الحضارة هي التي ستقود العالم لأنها تملك مفتاح القوة الحقيقية: التواضع لله والحكمة في التعامل مع الآخرين.

النهضة الحقيقية تبدأ عندما تعي الأمة أن الشعارات والمواقف المتعجرفة لا تبني دولة؛ بل التواضع للحق، والاستجابة لنداء الخير، والصبر على الأذى، والحذر من عملاء الداخل هي التي تبني الحضارات.

ختاماً: كيف نعمق أثر الآية في حياتنا العملية؟

بعد هذه الرحلة الطويلة في رحاب آيات المنافقين، يبقى السؤال: كيف نجعل هاتين الآيتين حيتين في تفاصيل يومنا، لا مجرد كلمات نتلوها؟

أولاً: في كل مرة تُدعى فيها إلى خير: تذكر الموقف. لا تلوِ رأسك، ولا تعرض. قل "لبيك" وامضِ. هذا يعكس صدق نيتك.

ثانياً: في كل مرة تحس فيها بالكبر على نصيحة: تذكر قصة المنافقين الذين استكبروا عن طلب المغفرة، فخسروا. تذكر أن الكبر ليس من صفات المؤمنين.

ثالثاً: عند الدعوة إلى الحق: استخدم أسلوب "تعالوا" مع الناس. لا تأمرهم وتزجرهم. ارفق بهم، لعلهم يستجيبون.

رابعاً: في محاسبة الذات: اسأل نفسك: أأنا مثل المنافقين؟ إذا أخطأت أطلب المغفرة أم أتكبر؟ إذا نوديت إلى الخير أستجيب أم أتجاهل؟

خامساً: في تربية الأبناء: دربهم على الاستجابة السريعة والسمح، وعلمهم أن ليّ الرأس عند النداء إلى الطاعة هو سلوك سيء.

اجعل هاتين الآيتين دستور تواضعك، ومنهج استجابتك، وبوصلة أمانك من عذاب النفس الفاسقة. عندها فقط، ستتحول الكلمات إلى نبض، والتلاوة إلى واقع، وستكون من الذين قبلوا الدعوة فأفلحوا، لا من استكبروا عنها فخسروا.
خامسا

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ

أولاً: المدخل التأسيسي للآية

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية

دعني آخذك في رحلة إلى أعماق المخططات الخبيثة التي حاكها المنافقون وأعداء الإسلام عبر العصور، لتعلم أن الحرب ضد هذه الأمة ليست حرباً عسكرية فقط، بل هي حرب اقتصادية واجتماعية وإعلامية تمتد جذورها إلى عمق التاريخ. بعد أن كشف الله في الآيات السابقة عن صفات المنافقين: شهادتهم الكاذبة، واتخاذهم الأيمان جُنّة، وجمال أجسادهم وخواء قلوبهم، وكبرهم

وصدودهم عن طلب المغفرة، ها هو الآن يفضح واحدة من أخطر مؤامراتهم: الحرب الاقتصادية، ومحاولة تجويع المسلمين وعزلهم.

تأمل هذا المشهد الذي تصوره الآية: "هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا" . إنها خطة مدروسة، يتناصى عليها المنافقون في مجالسهم الخاصة. يخططون لقطع الدعم المادي عن المهاجرين الذين هم حول رسول الله، والذين جاؤوا فارين بدينهم تاركين أموالهم وديارهم في مكة. يريدون حرمانهم من النفقة والطعام والشراب، حتى يضطروا إلى الانفضاض والتفرق والا بتعاد عن النبي.

هذه السياسة الخبيثة ليست وليدة ذلك العصر، بل هي سياسة ممتدة عبر الزمن. إنها سياسة "التجويع" و "الحصار الاقتصادي" التي استعملها الكفار ضد المسلمين في غزواتهم، وفي حصار شعب أبي طالب، حيث قاطعوا بني هاشم ومنعوا عنهم الطعام والشراب ثلاث سنوات حتى أكلوا الجلود وا لأوراق. وهي نفس السياسة التي يستعملها أعداء الإسلام اليوم، تحت مسميات عصرية: الحصار الا قتصادي، قطع المساعدات، تجميد الأموال، منع الدواء والغذاء عن الشعوب الإسلامية التي ترفض الخضوع أو تريد تطبيق شرع الله.

الآية تصور لنا صورة حية لهذه الاجتماعات الخبيثة، التي تتكرر في كل زمان ومكان. تجدهم يجتمعون، يتشاورون، يتبادلون الأفكار، ويخرجون بأخبث الوسائل للنيل من الإسلام وأهله. إنهم في مجالسهم الخاصة يقررون منع الإمدادات المالية عن المؤمنين، ليجوعوا فيضطروا إلى ترك دينهم أو طاعة أعدائهم. وكما كان عبد الله بن أبي بن سلول على رأس هؤلاء في المدينة، فكذلك اليوم هناك قادة ومنظمات تتبنى نفس الأسلوب.

ثم تأتي الصدمة الإلهية التي ترد عليهم وتكشف جهلهم: "وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" . أيها الحمقى، أتظنون أن الرزق بأيديكم؟ أتظنون أنكم تملكون مفاتيح الخير والشر؟ إن خزائن السماوات والأرض بيد الله وحده. هو الذي يعطي ويمنع، يوسع ويقتر. ليس لكم من الأمر شيء. فبأي حق تمنعون ما ليس لكم؟ وبأي غرور تحتكرون ما هو ملك لله؟

ثم الخاتمة: "وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ" . إنهم لا يفقهون هذه الحقائق. عقولهم محصورة في النظرة المادية، قلوبهم مغلقة عن فهم سنن الله في الرزق والملك. يرون أن الأرزاق بأيديهم وبأيدي نظرائهم من الأغنياء. يتصورون أنهم إذا منعوا المال عن المؤمنين فسينتهي أمرهم. لكنهم يجهلون أن الله هو خالق الأسباب وميسرها، وإذا أراد أن يرزق عباده، فلن تمنعهم قوى الأرض كلها.

هذه الآية هي "فضيحة المخططات الاقتصادية للأعداء، وكشف زيف قوتهم" . إنها تعلمنا أن الأعداء يظنون أنهم يملكون مفاتيح الرزق، بينما هي بيد الله وحده. إنها تمنح المؤمنين الثقة بأن الله سيرزقهم ولو اجتمع عليهم كل أهل الأرض يريدون منعهم.

الأمر الثاني: علاقة هذه الآية بما قبلها (الآيات 1-6 من سورة المنافقون)

العلاقة بين هذه الآية (7) وما قبلها (1-6) هي علاقة "التدرج من الكشف عن الصفات إلى كشف المخططات، ومن وصف الأعراض إلى تشخيص الدوافع" .

في الآيات السابقة (1-6)، كشف الله عن:

· الآية 1: شهادتهم الكاذبة.
· الآيتان 2-3: اتخاذهم الأيمان جُنَّة، وصدهم عن سبيل الله، وإيمانهم ثم كفرهم، وختم الله على قلوبهم.
· الآية 4: مظهرهم الخارجي الخادع (أجسام تعجبك) وحقيقتهم الباطنة (كأنهم خشب مسندة)، وخوفهم النفسي.
· الآيتان 5-6: استكبارهم عن طلب المغفرة، ورفضهم لدعوة رسول الله لهم، وكونهم قوماً فاسقين لا يهديهم الله.

ثم تأتي هذه الآية (7) لتكشف عن "المخطط العملي" الذي كانوا ينسقونه في مجالسهم الخاصة، وهو أحد أخطر تطبيقات نفاقهم وكفرهم.

العلاقة تفصيلا ً:

.1من "استكبارهم عن الاستغفار" إلى "مخططهم لمنع النفقة عن المؤمنين": الآيتان5 - 6صورتا رفضهم الشخصي للخير .وهذه الآية تصور عدوانهم الجماعي على المؤمنين .فليسوا فقط يرفضون الخير لأ نفسهم، بل يسعون لمنع الخير عن غيرهم .هذا تطور في الشر.
.2من "صدهم عن سبيل الله") الآية (2 إلى "أمرهم بترك النفقة على من عند الرسول": الآية الثانية وصفت "صدهم" العام عن سبيل الله .وهذه الآية تصور وسيلة من وسائل هذا الصد: منع الأموال عن المؤمنين، ليجوعوا ويضطروا إلى الانفضاض.
.3من "خوفهم الدائم") الآية (4 إلى "حسدهم وبخلهم") الآية(7 : الخوف الذي كان ينتابهم جعلهم يتآمرون على من يرونهم مصدراً للخطر على مصالحهم الوهمية .فخوفهم ولد فيهم الحسد والبخل.
.4من "لا يفقهون") الآية (3 إلى "لا يفقهون") الآية(7 : ختمت الآية الثالثة "فهم لا يفقهون" .وهذه الآ ية تكرر نفس العبارة "ولكن المنافقين لا يفقهون" .هذا التكرار يؤكد أن عدم الفقه هو أصل المصيبة . فهم لا يفهمون حقيقة ملك الله للخزائن، فيظنون أنهم هم المسيطرون على الأرزاق.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

هذه الآية تحمل بين طياتها أفكاراً محورية خمسة:

.1المخطط الاقتصادي للأعداء) سياسة التجويع والحصار(: كشف صريح عن أن أعداء الإسلام)منافقين وكفاراً (يلجأون إلى سلاح الحصار الاقتصادي ومنع الأموال والطعام عن المؤمنين، بهدف إضعافهم وتفريقهم .هذه السياسة ليست وليدة اليوم، بل هي ممتدة من عهد النبي.
.2التشاور في مجالسهم لوضع الخطط) صورة حية متكررة(: الآية ترسم صورة لاجتماعات المنافقين، وكيف يتشاورون ويضعون الخطط .هذه الصورة تتكرر في كل عصر: في مجالس المشركين بمكة، وفي منازل المنافقين بالمدينة، وفي قاعات مجلس الأمن اليوم، حيث تجتمع قوى الكفر لوضع الخطط لمحاربة الإسلام.
.3تعليق الرزق على الطاعة والخضوع: هدفهم المعلن) والمستتر (هو إخضاع المؤمنين؛ جعلهم تابعين لهم، وتجريدهم من الاستقلالية المالية، ليكونوا تحت رحمتهم .يريدون أن تكون كلمة الله هي السفلى، وكلمة الباطل هي العليا.
.4بيان أن الخزائن بيد الله وحده) تفنيد وهم القوة المادية(: الرد الإلهي يأتي ليفضح جهلهم .فخزائن السماوات والأرض) أي مفاتيح كل شيء (بيد الله .وهو الذي يعطي الرزق لمن يشاء، ويمنع عمن يشاء .لا تملكون من الأمر شيئاً.
.5سبب الضلال: عدم الفقه وفساد التصور) نظرة مادية خالصة(: سبب وقوعهم في هذا الضلال هو أنهم لا يفقهون حقائق الأمور .نظرتهم مادية بحتة، تعتقد أن المال هو مصدر القوة، وأن من يملك المال يملك كل شيء .إنهم لا يفقهون أن الله هو المالك الحقيقي.

الأمر الرابع: أهداف الآية ومقاصدها وأغراضها

ما الذي يريده الله منا من خلال هذه الآية؟ إنها ليست مجرد إخبار عن خطة المنافقين، بل هي "كشف لجذر العداء، وتحذير من استمراره، وتعزيز لثقة المؤمنين بالله" . أراد الله أن:

· يكشف النقاب عن أخطر أسلحة الأعداء (الحرب الاقتصادية): ليعلم المؤمنون أن الأعداء سيسعون دائماً إلى قطع الإمدادات عنهم، ومنع موارد العيش عنهم، لإخضاعهم. فيستعدوا لذلك.
· يربط بين ما حدث في المدينة وما يحدث في كل زمان: أن هذه المخططات تتكرر، وأن على المؤمنين أن يكونوا يقظين لها في كل عصر. فما يحدث من حصار اقتصادي على الشعوب الإسلامية اليوم هو امتداد لتلك الخطة الخبيثة.
· يعيد توجيه البصيرة إلى المصدر الحقيقي للرزق (الله): ليخرج المؤمنون من عبودية الخوف من نقص الرزق إذا خالفوا أعداءهم. فالله هو صاحب الخزائن، وهو القادر على أن يرزقهم من حيث لا يحتسبون.
· يفضح أن القول "لا تنفقوا" ليس نابعاً من حرص على المصلحة، بل من الحقد على الإسلام وأهله: ليعلم المؤمنون أن كل دعوات منع العون عن المسلمين، أو مقاطعتهم اقتصادياً، هي جزء من هذه المؤامرة الخالدة.
· يؤكد أن سلاح التجويع هو من أوحش الأساليب وأكثرها خسة: لأنه يستهدف أضعف ما في الإنسان (طعامه وشرابه)، ويستهدف العزل والأطفال وكبار السن، مستغلا ً حاجة الناس الفطرية.

ثانياً: تحليل الآية (رحلة في أعماق النص)

المحور الأول: تحليل (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا)

1/ دلالة "هُمُ الَّذِينَ") القصر والحصر(

"هم" ضمير فصل يفيد الحصر، و"الذين" موصول يفيد التعيين. أي أن هؤلاء المنافقين هم بالذات الذين يقولون هذه المقالة الشنيعة. وهذا حصر لهم بهذه الصفة الذميمة، وإعلان أنهم أصحاب هذه الدعوة الخبيثة. إنها تزيل أي التباس: المتهمون معلومون، وجريمتهم واضحة. وفي هذه الصيغة حسم وإدانة.

2/ دلالة "يَقُولُونَ") الفعل المضارع(

الفعل المضارع "يقولون" يدل على "التجدد والاستمرار" . فهم ليسوا قالوها مرة وانتهى الأمر، بل هم مستمرون في قولها وتكرارها وتداولها في مجالسهم. وهذا يشير إلى أن هذه الخطة ليست عابرة، بل هي منهج ثابت لأعداء الإسلام في كل زمان. فهي ليست مقصورة على المنافقين في عهد النبي، بل هي سنة متكررة.

3/ تحليل المقولة "لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ"

· "لَا تُنفِقُوا" : نهي عن الإنفاق والإعطاء والمساعدة المالية والعينية. هم يحرضون الأغنياء وأهل الثراء (من منافقين وغيرهم) على قطع أموالهم عن فئة معينة.
· "عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ" : وصف دقيق للمستهدفين. هم المهاجرون الذين كانوا حول النبي، والذين تركوا أموالهم وديارهم في مكة، وجاؤوا إلى المدينة فقراء لا مال لهم. "عند رسول الله" تشريف لهم وبيان لمكانتهم. فالمنافقون يستهدفون بهذا القول أخص الناس وأقربهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم.
· الهدف المعلن هو "الانفضاض" : "حَتَّىٰ يَنفَضُّوا". أي يتركوا رسول الله ويفترقوا عنه. يريدون أن يجوعوا فيضطروا إلى ترك النبي والرجوع إلى بلادهم أو التفرق في الأرض. هذا هو القصد الخبيث: ليس فقط حرمانهم من المال، بل تفريق كلمتهم عن قائدهم.

4/ السياسة الممتدة: هذه الخطة في العصر الحديث

هذه الآية تصف بدقة ما يحدث اليوم: مخططات حصار الشعوب الإسلامية التي ترفض الخضوع، ومنع الدواء والغذاء عنهم، وتجميد أموالهم، وتجويعهم لإجبارهم على "الانفضاض" عن قادتهم وعن دينهم. إنها نفس الفكرة، بألفاظ جديدة: "عقوبات اقتصادية"، "حصار"، "منع مساعدات إنسانية". هذه سياسة التجويع هي سلاح الأعداء المفضّل، لأنها تؤثر في إرادة الشعوب وتجعلها تئن تحت وطأة الجوع، ثم تثور على من لا يستطيع إطعامها.

5/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: كشف حقد الأعداء ونيتهم الخبيثة .الآية ترينا أن الأعداء لا يكتفون بقتال المسلمين، بل يخططون لتجويعهم وإذلالهم .هذا يزيل أي وهم عن نواياهم.
.2الرسالة التربوية: تعليم الأبناء أن الحصار الاقتصادي سلاح قديم للأعداء .لا تنظروا إلى الضائقة الا قتصادية التي تمر بها الأمة على أنها مجرد أزمة عابرة، بل هي جزء من حرب مستمرة يجب الا ستعداد لها.
.3الرسالة الفكرية: نظرية "التجويع" هي أسلوب الدمار الشامل .منع الطعام والدواء والمال أشد فتكاً من السلاح .الأعداء يستعملونه لتحقيق أهدافهم دون حرب معلنة.
.4الرسالة العملية: لا تستسلم للخوف إذا تعرض مجتمعك لحصار اقتصادي .تذكر أن الله هو خالق الأ سباب وميسرها، وهو القادر على أن يفتح لك أبواباً من حيث لا تحتسب.

المحور الثاني: تحليل (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

1/ دلالة اللام في "لِلَّهِ") الاختصاص(

اللام للاختصاص والملكية الخالصة. أي أن ملكية هذه الخزائن مستحقة لله وحده لا يشركه فيها أحد.

فما يملكه البشر هو مجرد عارية أو استخلاف مؤقت.

2/ دلالة "خَزَائِنُ") الجمع والجذر(

· "خزائن" : جمع خزانة، وهي المكان الذي تخزن فيه الأشياء الثمينة. وهي هنا كناية عن ملكية كل شيء، وأن مفاتيح كل شيء بيد الله.
· المد في لفظ "خَزَائِنُ" : نطق الكلمة بحرف المد (خزائن) يوحي بالكثرة والامتداد. فخزائن الله لا تُحصى ولا تُعد، هي أكثر من أن يتصورها عقل.
· ابتدأ بالسماوات قبل الأرض : لأن ما في السماوات أعظم وأكثر، من ملكوت الله وملائكته وعرشه. وهو إشارة إلى أن ملكوت الله أوسع مما يظن هؤلاء.

3/ مضمون الجملة) تفنيد وهم قوة الأعداء(

هذه الجملة هي الرد الحاسم على مخطط المنافقين. هم يظنون أنهم بقبضهم على الأموال يملكون مفاتيح التحكم في المؤمنين. والله يقول: مفاتيح كل شيء بيدي. أنا الذي أوسع الرزق وأضيقه. إذا أردت أن أرزق عباداً، فلن تمنعهم قوى الأرض كلها. هذه الجملة تضع الأمور في نصابها: الرزاق هو الله ، والمال ليس سلطة مطلقة بيد البشر.

4/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: الشعور بالاستغناء عن الأعداء .من يعلم أن الله هو صاحب الخزائن لا يخاف على رزقه من كيد الكائدين .هذا يمنح الطمأنينة.
.2الرسالة التربوية: تعليم التوكل على الله لا على المال .لا تظن أن قطع العون المادي عنك هو نهاية المطاف .باب الله مفتوح.
.3الرسالة الفكرية: الرد على من يعتقد أن المال هو أساس القوة .القوة الحقيقية بالإيمان بالله، وليس بامتلاك الخزائن.
.4الرسالة العملية: اللجوء إلى الله في الشدة .بدلا ً من أن تخضع لمطالب الأعداء خوفاً من قطع الرزق، توجه إلى الله الذي يملك كل شيء.

المحور الثالث: تحليل (وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ)

1/ دلالة "وَلَٰكِنَّ") الاستدراك(

"لكن" للاستدراك، تفيد أن الأمر ليس كما يظنون، بل الحقيقة عكس ذلك. هم يظنون أنهم عقلاء وأن خزائن الله بأيديهم، لكنهم في الحقيقة لا يفقهون شيئاً.

2/ دلالة "لَا يَفْقَهُونَ") نفي الفقه(

· "لا يفقهون" : أي لا يعقلون حقائق الأمور، ولا يدركون سنن الله في الخلق. هم فاقدون للفهم العميق الذي يصل إلى جوهر الأشياء.
· الفقه هنا بمعنى فهم حقائق الملكوت والرزق الإلهي : إنهم محصورون في فهم المادة، لا يدركون أن الأرزاق بيد الله، وأن الحكمة في العطاء والمنع تعود إلى مشيئة الله وحكمته.

3/ علاقة هذه الجملة بما سبق

هذه الجملة هي خلاصة الآية. إنها تفسر سبب كل ما صدر عنهم من كذب ونفاق ومكر: هو عدم الفقه. لم يفقهوا أن الله هو المالك الحقيقي، فظنوا أنفسهم الأقوياء. هذه الآية هي تعليل لكل الأ وصاف السابقة.

4/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: الفقه نور يمنع القلق .من يفقه حقيقة ملكوت الله لا يقلق من مكائد الأعداء.
.2الرسالة التربوية: أهمية تعليم الفقه في الدين .الفقه ليس فقط أحكام الصلاة والزكاة، بل هو فهم لسنن الله في خلقه.
.3الرسالة الفكرية: المادية هي سبب الجهل بحقيقة الرزق .من يحصر نفسه في المادة يعمى عن يد

الله التي تبسط وتقبض.
.4الرسالة العملية: اطلب الفقه في الدين .من أراد النجاة من النفاق، فعليه أن يفقه حقيقة أن الله هو الملك والرزاق.

ثالثاً: اللطائف واللمسات البيانية والبلاغية من الآية

إن من خلال تدبر البناء اللغوي والبياني لهذه الآية نجد ما يأسر القلب، ويظهر الإعجاز في كل حرف:

القصر والحصر في "هُمُ الذِينَ" : بدأت الآية بقصر الصفة عليهم، فكانت بمثابة إعلان تهمة. هذا الأ سلوب يزيل كل شك.

الفعل المضارع "يَقُولُونَ" : يدل على أنهم ما زالوا يقولونها ويخططون لها. إنها ليست حدثاً ماضياً، بل سنة مستمرة في كل جيل من أعداء الإسلام.

إضافة "عند رسول الله" : هذه الإضافة تشريف للمهاجرين، وتبين مكانتهم، وتجعل جريمة المنافقين أشد، لأنهم يستهدفون المقربين إلى رسول الله.

الغاية في "حَتَّىٰ يَنفَضُّوا" : حرف الغاية "حتى" يفيد أن هذه هي نهاية المطاف الذي يرجونه. هدفهم النهائي هو تفريق المؤمنين عن نبيهم.

اللام في "وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" : اللام للاختصاص. هذا التقديم يفيد الحصر: لله وحده لا لغيره.

المد في "خَزَائِنُ" : المد في الكلمة يعطي إحساساً بالسعة والغزارة والكثرة التي لا تنتهي.

الاستدراك بـ "وَلَٰكِنَّ" : أداة الاستدراك تفيد أن ما يعتقده المنافقون باطل، والحقيقة هي عكس ذلك.

نفي الفقه بـ "لَا يَفْقَهُونَ" : هو خلاصة الآية وتفسير لكل انحرافهم. عدم الفقه هو أصل الداء.

التناغم مع فواصل السورة: تنتهي الآية بـ "لَا يَفْقَهُونَ"، وهي فاصلة مناسبة، فيها دلالة على أن ما سبق هو نتيجة لعدم الفقه.

خلاصة بلاغية: الآية تجمع بين القصر، والفعل المضارع الدال على الاستمرار، وحرف الغاية، واللام المالكة، والمد الدال على السعة، والاستدراك، ونفي الفقه. إنها لوحة متكاملة تكشف عن أخطر أسلحة ا لأعداء (الحرب الاقتصادية)، وترد عليهم بأعظم حقيقة (ملكية الله للخزائن)، وتعلل ضلالهم بأنهم لا يفقهون. هذا هو ردع القرآن.

رابعاً: الدروس والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها هذه الآية

تعالج هذه الآية قضايا استراتيجية واقتصادية وفكرية حاسمة:

· سياسة الحرب الاقتصادية والحصار كسلاح للعدو: أن الأعداء (منافقين وكفاراً) يستخدمون سلاح منع المال والغذاء والدواء لإخضاع المسلمين، وهذه سياسة مستمرة عبر العصور.
· مخطط تفريق الصف عن القائد: أن الهدف النهائي للأعداء هو "انفضاض" المؤمنين عن قادتهم وعن دينهم، بإغرائهم بالجوع والخوف.
· نظرة المنافقين المادية للعالم: أنهم لا يرون إلا الأسباب المادية، ويعتقدون أن التحكم بالمال هو التحكم بمصائر الناس، متجاهلين المشيئة الإلهية.
· ضرورة توعية الأمة بمخاطر الحرب الاقتصادية: القرآن لا يكتفي بفضح المخطط، بل يعطي الأمة س لاح الإيمان والتوكل لمواجهته.
· التمييز بين الحقيقة والوهم: وهم أن المال هو مصدر القوة، وحقيقة أن القوة بيد الله وهو مصدر ا

لأرزاق.

الأمر الثاني: ماذا يريد الله منا من خلال هذه الآية، وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولا ً: ماذا يريد الله منا؟ (المراد الإلهي)

.1أن ندرك أن هذه السياسة) الحصار الاقتصادي (هي سلاح يكرره الأعداء في كل عصر: لقد حدثت مع إخواننا في كل مكان، وستحدث .فعلينا أن نستعد لها إيمانياً وفكرياً واستراتيجياً.
.2ألا نستسلم لسياسة التجويع والخوف: مهما حاصرونا، ومنعوا عنا، فلن نترك نبينا وديننا .الرزق على الله، وهو قادر أن يبدل الحال.
.3أن نتيقن أن خزائن السماوات والأرض بيد الله وحده: لا نخاف من قطع يد الحاجبين، فالمالك الحقيقي هو الله .هذا اليقين هو سلاحنا الأقوى.
.4أن نطلب الفقه والفهم العميق للسنن الإلهية: لنكون من الذين يعرفون الله حق المعرفة، ولا ننحدر إلى النظرة المادية الضيقة.

ثانياً: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟ (التطبيق العملي)

.1دعوة إلى "اليقظة من الحرب الاقتصادية" : لا تنخدع بأن ما يسمى "عقوبات اقتصادية" هي مجرد خلافات سياسية .إنها حرب مقصودة لإخضاعك وإخضاع أمتك.
.2دعوة إلى "التوكل على الله وطلب الرزق منه" : لا تعلق قلبك بمعونات الأعداء .ارفع يديك إلى الله أن يفتح لك أبواب رزقه، ولو كانت مغلقة أمامك.
.3دعوة إلى "الاستعداد المالي للأمة" : العمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي، وتقوية اقتصاد الأمة، حتى لا تكون رهينة لأعدائها.
.4دعوة إلى "التضامن الداخلي" : إذا عُزل فريق من الأمة، على الأغنياء أن ينفقوا عليهم، ولا يتركوا الأعداء يستخدمون ورقة الجوع لتفريق الصف.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية الكريمة قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

لتحويل هذه الآية من "نص متلو" إلى "واقع ملموس"، اتبع هذه المنهجية المكونة من أربع مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة "الاستحضار الواعي" (قبل البدء): قبل أن تقرأ الآية، استحضر في ذهنك مجالس المؤامرة التي تعقد ضد المسلمين اليوم في قاعات مجلس الأمن، وفي مراكز القرار الغربية، حيث يقررون منع الغذاء والدواء عن شعوب بأكملها. تذكر أن هذه هي نفس الخطة التي حكاها القرآن عن المنافقين.

المرحلة الثانية: مرحلة "التفكيك التحليلي" (فهم الموقف): حلل واقعك وواقع أمتك على ضوء هذه الآ ية:

· هل تشاهد اليوم محاولات لمنع المساعدات الإنسانية عن بلدان إسلامية؟ هل ترى حصاراً اقتصادياً يمارس على دول وأفراد؟
· هل تجد من يردد "لا تنفقوا على من عند رسول الله" لكن بعبارات أخرى: "لا تمدوا هؤلاء بالمال" أو "جمدوا حساباتهم"؟
· هل الهدف هو "انفضاضهم" عن دينهم وعن قادتهم؟ هل يريدون أن يجوعوا حتى يتخلوا عن مبادئهم؟

المرحلة الثالثة: مرحلة "التفعيل العملي" (تحويل المفهوم إلى سلوك):

· فعّل اليقين بأن الله هو صاحب الخزائن: إذا سمعت أخباراً عن حصار أو قطع مساعدات، لا تخف. اجعل لسانك رطباً بذكر الله، ودعاؤه أن يرزق عباده.
· فعّل تضامنك مع المنكوبين: إذا حوصر إخوانك في مكان، فانفق عليهم ما تستطيع، ولو بالقليل. هذا رد عملي على مخطط الأعداء.
· فعّل الوعي بأهمية الاستقلال الاقتصادي: في مؤسستك أو أسرتك، حاول تحقيق أكبر قدر من الا ستقلال المادي لتكون في منأى عن ضغوط الآخرين.

المرحلة الرابعة: مرحلة "الانعكاس التقويمي" (المراجعة): في نهاية كل أسبوع، اسأل نفسك:

· هل شعرت بالخوف من الحصار الاقتصادي أو قطع المساعدات؟ ما هو مصدر هذا الخوف؟
· هل تذكرت أن الله هو صاحب الخزائن، فزال خوفي جزئياً؟
· هل ساعدت أحداً من المتضررين من هذه السياسات؟

الأمر الرابع: ما الذي نستلهمه من الآية من دروس وعبر وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية؟

أولاً: الدروس المستلهمة (الرؤية)

1. درس "الحرب الاقتصادية أشد الفتك": إنها خطة خبيثة تهدف لإضعاف الإرادة وإذلال الشعوب. علينا الوعي بها.
2. درس "لا تخف من قطع يد العون المادية": الذي يملك خزائن السماوات والأرض هو الله، فلا ترهب من الأعداء.
3. درس "الفقه نور يمنع النفاق": من يفقه أن الله هو المالك الحقيقي، لن يبيع دينه بقليل من المال أو خوف من الجوع.
4. درس "الانفضاض هو هدف الأعداء": أي محاولة لتفريق كلمة المؤمنين عن قادتهم هي من بقايا خطة المنافقين.
5. درس "القضية واحدة عبر العصور": الأعداء يتغيرون، لكن الأسلوب واحد، والحرب واحدة، والإيمان واحد.

ثانياً: كيفية التطبيق في الحياة العملية (التنفيذ)

1. بصفتك فرداً: إذا كنت تتعرض لضغوط مالية قد تكون جزءاً من حرب اقتصادية، فلا تستسلم. زد من صلتك بالله، وتوكل عليه، وابحث عن مصادر رزق حلال بديلة.
2. بصفتك مجتمعاً: دعم الإنتاج المحلي، والاكتفاء الذاتي، وعدم الاعتماد على الأعداء في تأمين الغذاء والدواء.
3. بصفتك داعية: اشرح لهذه الآية وبيّن أن سياسات الحصار والتجويع هي من صميم خطة المنافقين عبر التاريخ.
4. بصفتك قائداً: لا تترك الأمة تعاني من الجوع والمرض بسبب سياسات الأعداء. اعمل على فتح قنوات إنسانية بديلة، وأعلن للعالم أن الله هو الرزاق.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

أولاً: المهارات الحياتية

1. مهارة "تحليل الحروب الاقتصادية": القدرة على تمييز مخططات الأعداء التي تستهدف إضعاف الأمة من خلال الحصار، والتمييز بين الأزمات الطبيعية والمفتعلة.
2. مهارة "الصمود النفسي في مواجهة الحصار": القدرة على تحمل ضغوط الحصار الاقتصادي، وعدم الانهيار المعنوي، والثقة بأن الفرج من عند الله.
3. مهارة "إدارة الموارد في ظل الندرة": القدرة على ترشيد الاستهلاك وإدارة الأموال المتاحة بحكمة في أوقات الحصار، لضمان الاستمرار.
4. مهارة "تكوين شبكات دعم بديلة": بناء علاقات تعاونية داخل الأمة للالتفاف حول الحصار، وتقديم المساعدات للإخوة المحتاجين.

ثانياً: المهارات المعرفية

1. مهارة "فهم الاستمرارية التاريخية لسياسات الأعداء": إدراك أن ما يحدث اليوم من حصار اقتصادي هو امتداد لخطة المنافقين الأولى، مما يعطي وعياً أعمق بالأحداث.
2. مهارة "ربط النص بالواقع المعاصر": القدرة على استنباط الدروس من الآية وتطبيقها على أحداث الحصار التي تمر بها الشعوب الإسلامية اليوم.
3. مهارة "تحليل الدوافع الخفية للأقوال": التفريق بين الدعاوى التي يطلقها الأعداء) كمحاربة الإرهاب (وبين أهدافهم الحقيقية) محاربة الإسلام.(

ثالثاً: المهارات العملية

.1مهارة "التخطيط للاكتفاء الذاتي" : وضع خطط طويلة المدى لتقليل الاعتماد على الأعداء في السلع الأساسية) الغذاء، الدواء، الطاقة.(
.2مهارة "إدارة الأزمات المالية" : التعامل مع حالات انقطاع التمويل والرواتب بسبب العقوبات، وإيجاد حلول مبتكرة.
.3مهارة "الحشد والتضامن المجتمعي" : تنظيم جهود المجتمع لدعم المتضررين من الحصار، وتوزيع الموارد بشكل عادل.

خامساً: الوقفات والتأملات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

للفهم العميق لهذه الآية، علينا أن ننظر إليها كـ "نظرية قرآنية في حرب العصابات الاقتصادية" . الفهم العميق يتجاوز التفسير اللفظي إلى مستويات أعمق:

مستوى "الجوع كسلاح إبادة صامت": الأعداء يعرفون أن الجوع يقتل الإرادة قبل أن يقتل الأجساد. ا لآية تفضح هذه الحقيقة: "حتى ينفضوا". هدفهم هو تحطيم الروح المعنوية، وليس فقط إضعاف البدن. هذا سلاح أكثر خطورة من القنابل.

مستوى "تثبيت حقيقة ملكية الله للخزائن": ليست مجرد طمأنينة، بل هي أداة لتحرير العقل من الخوف من البشر. من يعتقد أن خزائن الله بيد الله فقط، لا يستطيع أحد أن يرهبه أو يبتزه.

مستوى "التفريق بين وسائل العدو وأهدافه": وسائل العدو هي منع المال، والغذاء، والدواء. وأهدافه هي "انفضاض" المؤمنين عن دينهم. يجب أن نعرف هذا لنتجنب تحقيق أهدافهم.

مستوى "الأداة البلاغية في "لا ينفقوا" لتعميم التحذير: هذا القول ليس حكراً على المنافقين، بل هو خطاب موجه لكل من يريد أن يحارب الإسلام بهذه الطريقة. فالله يفضح الخطة ليعرفها الجميع.

الأمر الثاني: كيف تغير الآية من نظرتك للحياة؟

هذه الآية ليست مجرد إخبار، بل هي "ثورة في مفاهيم القوة والرزق والخوف" :

.1تغير نظرتك إلى "الحصار الاقتصادي" : من كارثة لا قبل لها، إلى اختبار إيماني وثقة بالله .ستدرك أنه محاولة جبانة لكسر إرادتك، وستقاومها بالإيمان لا بالخضوع.
.2تغير نظرتك إلى "المال" : من مصدر قوة مطلقة، إلى أداة من أدوات الرزق التي يملكها الله ويتصرف فيها .لن تخاف من قطع المال عنك، بل ستخاف من قطع الرزق من الله.
.3تغير نظرتك إلى "الأعداء" : من قوى خارقة، إلى بشر جبناء يلجؤون إلى تجويع الأطفال والمرضى . ستحتقر أفعالهم، ولن ترتعب من تهديدهم.
.4تغير نظرتك إلى "الصبر" : من مجرد تحمل، إلى قوة إيمانية تثبت للعدو أن مخططه فاشل .صبرك هو رسالتك للعالم بأنك لن تنفض عن دينك.
.5تغير نظرتك إلى "الفقه" : من معرفة الأحكام، إلى فهم سنن الله في خلقه، وهو ما يجعل المؤمن قوياً في وجه الأعداء.

الأمر الثالث: وقفات تأملية من الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة "مجلس الأمن وصورته القرآنية" : تخيل مشهداً يجلس فيه المنافقون في قاعات فخمة، ويتآمرون على المسلمين. هذا المشهد يتكرر اليوم. هذه الوقفة تربط بين النص والواقع.

الوقفة الثانية: وقفة "سياسة التجويع" : تذكر حصار المؤمنين في شعب أبي طالب، وتذكر حصار غزة، وتذكر حصار أي بلد إسلامي يرفض الخضوع. هذه الوقفة تذكر أن الأسلوب واحد والعقيدة واحدة.

الوقفة الثالثة: وقفة "خزائن الله" : الق نظرة إلى السماء. من يملك هذا الكون الفسيح؟ من يملك أن يمنع نزول المطر أو ينزله؟ من يملك أن يبسط الرزق أو يقبضه؟ إنه الله. من أي منطق يخيفونك

بقطع المساعدات؟

الوقفة الرابعة: وقفة "لا يفقهون" : هل يستطيع عاقل أن يحارب الله؟ أن يحارب من يملك الخزائن؟ هم لا يفقهون، ولهذا هم في خسران مبين.

كيف تنقل هذه الوقفات إلى فريقك أو أسرتك؟

· اقرأ لهم الآية، ثم اربطها بأحداث الحصار المعاصرة. اسألهم: "من يريد تجويعنا اليوم؟ ومن يخطط لتفريقنا عن ديننا؟".
· احكِ لهم قصة شعب أبي طالب، وقصة حصار المسلمين في المدينة، ثم قارنها بحصار غزة وأفغانستان والسودان.
· اطبع صورة عناوين أخبار عن حصار اقتصادي، وضع إلى جانبها الآية "وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ".

الأمر الرابع: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

.1نتعلم أن "الأعداء يتحدون في وسائلهم" : الكفار والمنافقون، اليوم وأمس، يستخدمون سياسة التجويع لإخضاع المؤمنين .هذا يزيدنا بصيرة.
.2نتعلم أن "الرزق بيد الله وليس بيد الأعداء" : مهما حاصروك، لا تخف، فالله هو الرازق.
.3نتعلم أن "الفقه في الدين هو السلاح الحقيقي" : من يفقه حقيقة أن الله هو المالك، لا يرهبه تهديد الأعداء.
.4نتعلم أن "التضامن مع المظلومين واجب" : لا تترك إخوانك وحدهم تحت الحصار .انفق عليهم، ولو بالقليل.
.5نتعلم أن "الغاية من الحصار هي الانفضاض" : يعرف العدو أن يريد تفريق الصف، فلا تحقق له هدفه.

سادساً: أبعاد وآفاق ومفاهيم وقيم الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

إن هذه الآية ليست مجرد وصف، بل هي نافذة على أبعاد متعددة:

البعد الاقتصادي السياسي (تحليل الحروب غير المتناظرة): الآية تكشف عن استراتيجية قديمة جديدة: الحصار الاقتصادي كسلاح. هذا البعد يفتح مجالاً لدراسة هذه الظاهرة عبر العصور.

البعد النفسي (الخوف كسلاح للعدو): الأعداء يستهدفون إثارة الخوف من الجوع والفقر. والآية تعالج هذا الخوف بذكر ملكية الله للخزائن.

البعد الأخلاقي (خسة سلاح التجويع): الآية تشير ضمنياً إلى أن استخدام الجوع كسلاح هو من أوحش وأخس الأساليب، لأنه يستهدف أضعف الناس.

البعد الحضاري (الاستمرارية التاريخية للمكر): تعلمنا أن المكر ضد الإسلام ليس ظاهرة عابرة، بل هو مستمر، ويتجدد بأشكال جديدة.

البعد العقدي (توحيد الربوبية): إفراد الله بملكية الخزائن هو تطبيق لتوحيد الربوبية في مجال الرزق والاستغناء بالله.

الأمر الثاني: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

لتحويل هذه الآية إلى مفاهيم عملية (مفاهيم عملية) نعيشها في واقعنا، يمكننا استخلاص أربعة مفاهيم جوهرية:

.1مفهوم "الحرب الاقتصادية" : أن الأعداء يستخدمون منع المال والغذاء والدواء كوسيلة لإخضاع الشعوب وإرغامها على التخلي عن عقيدتها وقادتها.

.2مفهوم "الاكتفاء بالله: أن المؤمن الحقيقي لا يربط رزقه بأيدي الأعداء، بل بالله صاحب الخزائن . هذا المفهوم يحرره من العبودية لهم.
.3مفهوم "الفقه المقاصدي" : أن الفقه الحقيقي هو فهم سنن الله في خلقه، وعدم حصر الدين في العبادات فقط.
.4مفهوم "استمرارية الصراع" : أن المعركة مع أعداء الإسلام مستمرة، وأن أساليبهم تتجدد، لكن المبادئ ثابتة.

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية

.1مفهوم "سلاح التجويع كابتزاز نفسي" : الأعداء يستغلون حاجة الإنسان الفطرية للطعام ليبتزوه ويجبروه على التخلي عن مبادئه .الآية تفضح هذه الآلية.
.2مفهموم "الطمأنينة بذكر ملكية الله" : معرفة أن الله هو المالك الحقيقي تزيل القلق الناتج عن قطع أسباب الدنيا.
.3مفهموم "الفقه كمصدر للقوة النفسية"(: من يفقه حقيقة الأسباب والمسببات، لا تنهار نفسيته عند فقدان الأسباب المادية.

المفاهيم الفكرية

.1مفهوم "الرد على النظرية المادية في التاريخ" : النظرية المادية ترى أن الصراع قائم على المال . القرآن يرى أن الصراع قائم على الإيمان، وأن المال أداة بيد الله.
.2مفهموم "نقد فكرة هيمنة المال" : الآية تنقد فكرة أن من يملك المال يملك القرار، وتؤكد أن القرار بيد من يملك الخزائن.
.3مفهموم "استراتيجية الأعداء الموحدة": فهم أن استراتيجية الأعداء عبر العصور واحدة، مما يساعد في وضع خطط مضادة ناجعة.

المفاهيم التربوية

.1مفهوم "التربية على التوكل وعدم الخوف من الحصار"(: تربية الأبناء على أن الله هو الرازق، فلا يخافون من تهديد الأعداء بقطع الرزق.
.2مفهموم "التربية على تحليل خطط الأعداء" : تعليم الجيل الجديد كيف يقرأ الأحداث بعيون قرآنية، فيرى الحصار الاقتصادي كجزء من صراع قديم.
.3مفهموم "التربية على الأمل والثقة بالنصر" : أن النصر ليس مرتبطاً بكثرة المال، بل بالإيمان والصبر . هذه التربية تنتج جيلا ً لا ينهزم نفسياً.

الأمر الرابع: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

.1مفهوم "بناء الأمة على الاستقلال الاقتصادي" : استخلاصاً من الآية، لا بد للأمة أن تعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي في كل المجالات، حتى لا تكون رهينة لإرادة الأعداء.
.2مفهوم "التنمية الأخلاقية لمقاومة الابتزاز" : بناء مجتمع متين أخلاقياً، قيمه فوق المال، فلا يمكن شراؤه أو ابتزازه بقطع المعونات.
.3مفهوم "استدامة اليقين بسلطان الله" : استمرار الجيل على يقين أن الله هو المتصرف الوحيد في الكون، هو أساس الصمود في وجه الحروب الاقتصادية.
.4مفهوم "بناء القيادة على أساس الفقه": القائد الذي يفقه سنن الله في الرزق والنصر، يستطيع قيادة أمته في أوقات الحصار.

الأمر الخامس: دور الآية ومفاهيمها في صناعة الشخصية المسلمة والأسرة المسلمة والمجتمع و الحضارة والنهضة في الحياة

صناعة الشخصية المسلمة (بناء الفرد): الآية تصنع شخصية "المؤمن المستبصر". شخصية لا تخشى من حصار اقتصادي، ولا ترتعب من تهديد بقطع الرزق. هي شخصية تعلم أن مفاتيح كل شيء بيد الله، وأنه هو المالك الحقيقي. تعيش في استغناء بالله، وتتجافى عن التعلق بالأعداء. هذه الشخصية لا يمكن شراؤها، ولا يمكن إخضاعها بالتجويع، لأنها تعرف أن الله سيأتي برزقها من حيث لا تحتسب.

صناعة الأسرة المسلمة (بناء الخلية): الأسرة التي تستحضر هذه الآية هي أسرة "متوكلة غير خائفة". الأبوان يعلمان الأبناء أن الحصار الاقتصادي ليس بجديد، وأن الله هو الذي يرزقهم. في أوقات الشدة، لا يفزعون، بل يتضرعون إلى الله. الأسرة تعتمد على الاكتفاء الذاتي وتقليل الاعتماد على الخارج. الأ بناء ينشأون على أن الإيمان هو السلاح، وأن المال لا يشتري الكرامة. هذه الأسرة تنتج أفراداً لا يستسلمون للضغوط الاقتصادية.

صناعة المجتمع المسلم (بناء البنية): المجتمع الذي يفهم هذه الآية هو مجتمع "مقاوم للابتزاز الا قتصادي". أفراده يعون أن الحصار هو سلاح الأعداء، فلا يخافون منه. مؤسساته تخطط للاكتفاء الذاتي، وتدعم الإنتاج المحلي. قادته لا يرهبون من تهديدات الأعداء بقطع المعونات. هذا المجتمع قادر على الصمود، بل والازدهار، في وجه أي حصار.

صناعة الحضارة الإسلامية (بناء النموذج): الحضارة التي تنطلق من هذه الآية هي حضارة "الاكتفاء ب الله". هي حضارة تؤمن بأن الله هو صاحب الخزائن، فتعمر الأرض وتستغني بمواردها. لا تحتاج إلى استجداء أعدائها للطعام والدواء. قادتها يبنون نهضة على أسس محلية، ويحولون المحن (الحصار) إلى منح، مكتشفين قوتهم الذاتية. هذه الحضارة هي التي ستقود العالم لأنها لا تخضع للتهديدات الا قتصادية، وتقدم نموذجاً في الصمود والعزة.

النهضة الحقيقية تبدأ عندما تتخلص الأمة من عقدة الخوف من الحصار الاقتصادي، وتستبدلها بثقة لا تتزعزع بأن خزائن السماوات والأرض بيد الله، وأن من أراد الله به خيراً لم يضره حصار الأعداء.

ختاماً: كيف نعمق أثر الآية في حياتنا العملية؟

بعد هذه الرحلة الطويلة في رحاب آية فضحت أخطر مخططات الأعداء، يبقى السؤال: كيف نجعل هذه الآية حية في تفاصيل يومنا، لا مجرد كلمات نتلوها؟

أولاً: في كل مرة تسمع فيها عن حصار اقتصادي على بلد إسلامي: تذكر هذه الآية. تذكر أن هذه هي خطة المنافقين الخالدة. لا تخف، وادعُ الله للمستضعفين.

ثانياً: في كل مرة تشعر فيها بالخوف من قطع المساعدات المالية: تذكر قول الله: "وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ". اسأل نفسك: أرزاقي بيد الله أم بأيديهم؟ وسيذهب خوفك.

ثالثاً: في محاربة الفقر داخل مجتمعك: لا تنتظر عوناً من أعدائك. نظم صناديق التكافل، ودعم الإنتاج المحلي. هذا هو التطبيق العملي للرد على قولهم "لا تنفقوا".

رابعاً: في تربية نفسك وأبنائك: علمهم أن يواجهوا أي حصار بالصبر والعمل، وبتجديد الثقة بالله. اقرأ لهم الآية، واربطها بالواقع.

خامساً: في دعائك: قل: "اللهم أنت صاحب الخزائن، فلا تحوجنا إلى أعدائك، وارزقنا من حيث لا نحتسب". هذا الدعاء هو غذاء الروح في أوقات الشدة.

اجعل هذه الآية دستور صمودك، ومنهج ثقتك بالله، وبوصلة عملك نحو الاكتفاء الذاتي. عندها فقط، ستتحول الكلمات إلى نبض، والتلاوة إلى واقع، وستكون من الذين يفقهون حقيقة أن خزائن السماوات والأرض لله وحده.

سادسا

تفسير الآية الثامنة من سورة المنافقون

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ

أولاً: المدخل التأسيسي للآية

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية

دعني آخذك في رحلة إلى أعماق نفسية أحد أخطر الشخصيات في تاريخ النفاق، لنرى كيف تتكشف خباياه في لحظة غضب، وكيف تفضح الألسن ما تخفيه الصدور .بعد أن كشف الله في الآية السابقة عن مخططهم الاقتصادي) منع النفقة عن المهاجرين(، ها هو الآن يفضحهم في أخطر ما يكون: نطقهم بحقدهم الدفين، وتفوههم بكلمة أظهرت ما كانوا يضمرونه من كبر وعنصرية واستعلاء على المؤمنين.

تأمل هذا المشهد الدرامي الذي تصوره الآية .نحن في غزوة بني المصطلق) غزوة المريسيع .(وقع شجار بسيط بين رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار .لكن ذلك الشجار كان القشة التي قصمت ظهر البعير في نفس عبد الله بن أبي بن سلول، زعيم المنافقين .ففي لحظة غضب وغليان، انفجرت أسارير وجهه، وتفوه بالقول الذي أظهر حقيقته .قال لأصحابه من المنافقين: "لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ".

هذا القول هو "جرس الإنذار" الذي دق في المدينة المنورة .لقد قالها عبد الله بن أبي وهو يظن نفسه الأعز، ويقصد بها نفسه وقبيلة الخزرج) أو المنافقين معه(، ويقصد بالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار المؤمنين .إنها كلمة كفر ونفاق وطغيان، كشفت عن كل ما كان يضمره قلبه.

فما هي الدوافع التي جعلته يتفوه بهذه الكلمة في تلك اللحظة بالذات؟

· أولا ً: الحقد على المسلمين: كان ابن أبي يعاني من حقد دفين على الإسلام وأهله، لأن الإسلام جاء وحطم زعامته التي كان يتمتع بها في الجاهلية .كان سيداً في قومه، يُطاع ويُهاب، فلما جاء الإ سلام وجمع كلمة الناس تحت راية النبي، شعر بأن مكانته تهتز.
· ثانياً: حسد المجتمع المسلم الذي شكّل وحدة وتماسكاً: رأى كيف أن المهاجرين والأنصار أصبحوا إخواناً، وكيف أن هذه الوحدة الأخلاقية والعقائدية صنعت قوة مهابة .فحسدهم على هذا التآلف، لأنه يقارنها بزعامته الفارغة.
· ثالثاً: الحمية والعصبية الجاهلية: مع أن الإسلام قد طمر العصبية القبلية، إلا أن ابن أبي كان يعيش بعقلية قبلية متخلفة .اعتبر أن الأنصار) قبيلته (هم أولى بالزعامة من المهاجرين .انطلق لسانه بعبارات التحقير، محاولا ً النيل من مكانتهم وتصغير شأنهم، ووصفهم بالأذلاء.
· رابعاً: حب الجاه والرئاسة: كان يرى أن النبي قد سلب منه الملك الذي كان يترقبه قبل قدوم الإسلا م .ففي جاهليته، كانت الخزرج تترقب أن تتوج ملكاً على المدينة، فلما جاء النبي، ذهب ذلك الأمل، وبقي الحقد يغلي في صدره.
· خامساً: سلطان الغضب: في لحظة الغضب تلك، فقد القدرة على التحكم في مشاعره .كان الغضب هو المادة التي فجرت كل هذه المشاعر الكامنة .فالقول الذي تفوه به كان يعبر عن خفاياه الحقيقية التي طالما كتمها .سلطان الغضب جعله يتفوه بما كان يدور في خلده، فظهر للعلن حقيقة المشاعر الكامنة في نفسه.

إن كلمة "الأعز" التي أطلقها على نفسه وكلمته "الأذل" التي أطلقها على رسول الله والمؤمنين، هي تعبير صريح عن التكبر والاستعلاء الذي يضمره .فهو يدعي لنفسه العزة والمكانة بمصادر القوة الزائفة: المال، الجاه، الأتباع .وهو يحتقر المؤمنين الذين جردوا من كل شيء، معتبراً إياهم أذلاء.

هذه هي عقلية الكفار والمنافقين: الاعتزاز بالمال، والتفاخر بالدعاوى الزائفة، والتسلط على الآخرين . لكن الله يأتي ليكسر هذه الأوهام.

ثم يأتي الرد الإلهي الحاسم الذي يفضح جهلهم ويؤسس لقاعدة العزة الحقيقية: "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ" . أيها المتكبرون، أيها المغترون، العزة الحقيقية ليست بأموالكم ولا بأحسابكم ولا بمناصبكم . العزة الحقيقية لله وحده، هو العزيز الذي لا يُغلب .ثم وهب من هذه العزة لرسوله وللمؤمنين .فالعزة تابعة للإيمان، وليست تابعة للغنى أو القبيلة.

ثم الخاتمة: "وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ" . إنهم لا يعلمون حقيقة العزة ومصدرها .جهلهم هو الذي أوقعهم في هذا الغرور .يعيشون بانفصال عن الغيب، فاقدين رؤية حقيقة العزة التي تأتي من الاتصال بالله .لذلك هم يعبدون المال، ويعبدون الناس، ويعبدون الشيطان، ولا يعرفون العزة الحقيقية.

هذه الآية هي "محك العزة الحقيقية" . إنها تعلمنا أن من يعتز بالله، لا يذل لأحد .ومن يذل لله، يعزه الله .أما من يعتز بنفسه وبماله وجاهه، فهو في وهم كبير.

الأمر الثاني: علاقة هذه الآية بما قبلها) الآية 7 من سورة المنافقون(

العلاقة بين هذه الآية (8) والآية السابقة (7) هي علاقة "الانتقال من كشف المخطط الاقتصادي إلى كشف الغطرسة النفسية والتهديد بالعنف، ومن الحصار إلى التهديد بالإقصاء".

في الآية السابقة(7) ، كشف الله عن المخطط الاقتصادي: "لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا" .كان التركيز على منع الموارد المالية.

ثم تأتي هذه الآية (8) لتكشف عن المدى الذي وصل إليه غرورهم وكبرهم بعد أن أحسوا بضعف المهاجرين) في نظرهم .(أصبحوا يهددون صراحة: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل" . هذا تهديد بالعنف والإقصاء، بعد أن كان مجرد منع للمال.

العلاقة تفصيلا ً:

.1من "منع النفقة" إلى "التهديد بالإخراج" : الآية السابقة تحدثت عن وسائل ضغط مالية .وهذه الآية تتحدث عن تصعيد التهديد إلى الإبعاد الجسدي .وهذا يدل على تطور نواياهم الخبيثة.
.2من "انفضاضهم عن الرسول" إلى "إخراج الرسول والمؤمنين" : في الآية السابقة، هدفهم كان تفريق المسلمين) انفضوا .(في هذه الآية، هدفهم أصبح طرد النبي والمؤمنين أنفسهم من المدينة .هذا تصعيد خطير.
.3من "قولهم في الخفاء" إلى "تصريحهم به في لحظة غضب" : الآية السابقة كانت تعبر عن مخطط سري تم تداوله في مجالسهم .وهذه الآية هي تفوه به في لحظة غضب علانية) في حضور المؤمنين .(هذا يظهر أنهم فقدوا السيطرة على أنفسهم، وكشفوا عما في قلوبهم.
.4من "لا يفقهون" إلى "لا يعلمون" : الآية السابقة ختمت بـ "لا يفقهون") نفي الفقه عنهم .(وهذه الآ ية ختمت بـ "لا يعلمون") نفي العلم عنهم .(الفقه أخص من العلم، لكن نفي العلم هنا يؤكد أنهم جهلة بأساسيات الدين، وخصوصاً حقيقة العزة.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

هذه الآية تحمل بين طياتها أفكاراً محورية ستة:

.1كشف حقيقة الغضب المنافق) عبد الله بن أبي نموذجاً(: أن لحظات الغضب تكشف عما في النفوس .فسلطان الغضب جعل ابن أبي يتفوه بالقول الذي أظهر حقيقة حقه وحسده وكبره.
.2مقولة "الأعز والأذل") تعريف العزة بالمنظور الجاهلي(: تعريف خاطئ للعزة بأنها بالمال والاتباع و القوة المادية .وهو تعريف وثني جاهلي.
.3الحمية والعصبية الجاهلية عند المنافق: الكبر والخيلاء والتعصب للقبيلة ورفض وحدة الأمة هي صفات جاهلية دفعته لهذا القول.
.4حب الرئاسة والجاه) مصدر الحقد على الإسلام(: ابن أبي كان يرى أنه الأحق بالزعامة، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم ووحّد الكلمة، شعر بأنه سلبه ملكه، فكمن له الحقد.
.5تقرير العزة لله ولرسوله وللمؤمنين) القاعدة الذهبية(: أن العزة الحقيقية ليست بالمال أو الجاه، بل هي تابعة للإيمان بالله واتباع رسوله.
.6جهل المنافقين بمصدر العزة) لا يعلمون(: أن سبب ضلالهم وكفرهم هو جهلهم بحقيقة العزة ومصدرها .هم يعيشون في ظلمة، ولذلك يفاخرون بأوهام لا حقيقة لها.

الأمر الرابع: أهداف الآية ومقاصدها وأغراضها

ما الذي يريده الله منا من خلال هذه الآية؟ إنها ليست مجرد إخبار بقصة، بل هي "تأصيل لمفهوم العزة، وكشف لسنة الصراع بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر" . أراد الله أن:

· يربط العزة بالإيمان، لا بالمال والنسب والقوة المادية: يريد الله أن يحرر قلوب المؤمنين من التعلق بالأسباب الوهمية للعزة، ويربطها به وحده.
· يعلم المؤمنين أن العزة الحقيقية لا تنال إلا بالطاعة والاتباع: من أراد العزة فليطع الله ورسوله، وليعتز بالإيمان، وليذل لله.
· يكشف أن ادعاءات الأعداء بالعزة هي وهم وخداع: إنهم في حقيقتهم أذلاء لأنهم منفصلون عن الله ، وهم يعيشون في خوف ورعب.
· يثبت قلوب المؤمنين بأنهم الأعزة مهما كانت قوة أعدائهم الظاهرية: فقد قال الله "ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين" .فهم شركاء في العزة الإلهية.

· يبين أن المنافقين لا يعلمون هذه الحقائق، ولهذا هم يتخبطون: جهلهم بحقيقة العزة هو الذي يدفعهم للغرور.

ثانياً: تحليل الآية) رحلة في أعماق النص(

المحور الأول: تحليل) يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ(

1/ دلالة "يَقُولُونَ") الفعل المضارع(

الفعل المضارع "يقولون" يدل على "التجدد والاستمرار" . هم لم يقولوا هذه المقالة مرة واحدة فقط، بل كانوا يرددونها ويخططون لها ويتداولونها .وكذلك الكفار والمنافقون عبر العصور، هم دائمًا يرددون مثل هذه المقولة: نحن الأعزة وأنتم الأذلاء .إنها جملة قابلة للتكرار في كل زمان.

2/ تحليل مقولة ابن أبي: "لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ"

· "لَئِن" : اللام موطئة للقسم، و"إن" شرطية .يعني أقسم بالله لئن رجعنا .هذا يدل على أنهم يخططون ويرتبون لعودتهم، وهم متأكدون من حصولها.
· "رَجَعْنَا" : العودة إلى المدينة بعد انتهاء الغزوة .هم كانوا مع النبي في الغزوة، لكنهم كانوا يراقبون ا لأحداث، ويخططون لمؤامراتهم.
· "إِلَى المَدِينَةِ" : المدينة المنورة، التي أصبحت مركزاً للإسلام .هي دار الهجرة والنصرة .هم يريدون العودة إليها ليطبقوا مخططهم.

3/ تحليل قوله: "لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ"

· "لَيُخْرِجَنَّ" : اللام لتوكيد القسم، والنون للتوكيد الثقيل .هذا يدل على شدة ثقتهم وإصرارهم على حدوث ما يقولون.
· "الأعز" : هم يقصدون به أنفسهم .عبد الله بن أبي يدعي أنه الأعز، وأن أتباعه ومن معه هم الأعزة . ظنوا أن العزة بالمال والجاه والعدد، فازدادوا طغياناً.
· "الأذل" : يقصد به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من المهاجرين والأنصار .يحاول أن يحقر من شأنهم، ويصغر مكانتهم.
· "منها" : من المدينة .يهددون بإخراج النبي والمؤمنين من ديارهم ومدينتهم.

هذه الجملة تحمل كل معاني الكبر، والعنصرية، والحمية الجاهلية، والتعالي على الحق .وهي تظهر أن حب الرئاسة والجاه هو ما يحرك هؤلاء.

4/ ما الذي دفع ابن أبي لهذا القول؟) التحليل النفسي(

· الحقد الدفين : كان يكتمه منذ زمن، وانتظر الفرصة ليخرج.
· الحسد على المجتمع المسلم الموحد : رأى كيف أن المهاجرين والأنصار أصبحوا جسداً واحداً، فأحس بزوال مكانته.
· الغضب من الحادثة : شجار الجهجاه جعله يفقد السيطرة على أعصابه، فتفوه بالحقيقة.
· الخوف على زعامته : كان يظن أنه إذا اجتمع المسلمون، لن يكون له دور .فأراد أن يبث الفرقة.

5/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: الغضب يكشف المستور .إذا كنت مع شخص في لحظة غضب، فانظر ماذا يقول . سيعبر عما في صدره .هذه فرصة لتعرف حقيقة الناس.
.2الرسالة التربوية: علم أبناءك التحكم في الغضب .الغضب يجعل الإنسان يتفوه بكلمات يندم عليها . دربهم على كظم الغيظ.
.3الرسالة الفكرية: لا تغتر بمن يدعي العزة .كثير من الناس يدعون لأنفسهم العزة، وهم في حقيقتهم أذلاء عند الله.
.4الرسالة العملية: إذا غضبت، اسكت .هذه قاعدة نبوية: "إذا غضب أحدكم فليسكت" .لا تكن مثل ابن أبي.

المحور الثاني: تحليل) وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ(

1/ دلالة تكرار اللام "لِلَّهِ ...لِرَسُولِهِ ...لِلْمُؤْمِنِينَ"

تكررت لام الاختصاص ثلاث مرات، لتوكيد أن العزة مقصورة على هذه الجهات الثلاث، ومملوكة لهم . هي ليست ملكاً لابن أبي وأمثاله.

2/ معنى العزة في هذه الآية

· العزة : القوة والمنعة والغلبة والكرامة، بحيث لا يُغلب صاحبها.
· لله : العزة صفة ذاتية لله، فهو العزيز القاهر فوق عباده، الذي لا يُغلب ولا يُقهر .وهو مصدر كل عزة.
· لرسوله : الله أعطى رسوله من هذه العزة، فكان النبي صلى الله عليه وسلم أعز الناس، لا يخاف أحداً إلا الله، ولا يذل لأحد.
· للمؤمنين : المؤمنون شركاء في هذه العزة، فمن كان مؤمناً حقاً فهو عزيز بالله، ولو كان فقيراً ضعيفاً في عيون الناس.

3/ ما هي العزة الحقيقية؟

العزة الحقيقية هي:

· الاستغناء بالله : ألا تحتاج إلى أحد غيره.
· الافتقار إليه : وأن تذل له.
· الطاعة له : ألا تخضع لأمر يخالف أمره.
· الاتصال به : أن تكون روحك معلقة بالله.
· التدلل له : أن تتقرب إليه بالنوافل.

إنه تناقض عجيب في نظر المنطق البشري: العزة تكون بالمذلة لله .فمن أذل نفسه لله، أعزه الله . ومن استكبر عن عبادته، أذله الله .هذه هي قاعدة "العزة في الذلة لله".

4/ كيف يحصل المؤمن على هذه العزة؟

· بالإيمان الصادق : يملأ قلبه حباً لله وخوفاً منه ورجاءً له.
· بمتابعة الرسول : يجعله قدوته، ويطيع أمره، ويجتنب نهيه.
· بالتزام الجماعة : يعتز بإخوانه المؤمنين، وينصرهم، ويقف معهم.
· بتطهير القلب من حب الرئاسة والمال : لا يطلب العزة بما لا يرضي الله.

5/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: العزة الحقيقية منبعها من الداخل .ليس المال ولا الجاه، بل الإيمان والتوكل .هذا الشعور يعطي الإنسان قوة نفسية هائلة.
.2الرسالة التربوية: ربط العزة بالطاعة .علم أبناءك: من أطاع الله يعزه الله، ومن عصاه يذله الله.
.3الرسالة الفكرية: تفنيد مفهوم العزة الجاهلية .العزة ليست بالأنساب والأموال، بل بالإيمان والتقوى.
.4الرسالة العملية: استشعر عزة الإيمان .عندما تمشي في الأرض، اشعر أنك عزيز بالله، لا تخاف من أحد، ولا تذل لأحد.

المحور الثالث: تحليل) وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ(

1/ دلالة "وَلَٰكِنَّ") الاستدراك(

"لكن" للاستدراك، تفيد أن الأمر ليس كما يظنون .هم يظنون أن العزة لهم، لكنهم لا يعلمون أنها لله ولرسوله وللمؤمنين.

2/ دلالة "لَا يَعْلَمُونَ") نفي العلم(

· "لا يعلمون" : نفى عنهم العلم .ليسوا فقط لا يفقهون) كما في الآية السابقة(، بل هم جهلة بهذه الحقيقة الأساسية.
· الفرق بين "لا يفقهون" و "لا يعلمون" : الآية السابقة قالت "لا يفقهون") نفي الفهم العميق(، وهذه قالت "لا يعلمون") نفي العلم بشكل عام .(وهذا أشد، لأنه يدل على جهلهم بالمصدر الحقيقي للعزة.

3/ لماذا لا يعلمون؟

· لأنهم منفصلون عن الغيب : إيمانهم محدود بالدنيا فقط، لا يرون إلا الأسباب المادية.
· لأنهم فاقدون الرؤية القلبية : قلوبهم خاوية، فلا يدركون حقائق الإيمان.
· لأنهم يعبدون المال : المال هو إلههم، فهم لا يعرفون إلهاً غيره.
· لأنهم يعبدون الناس : يخافون من الناس ويذلون لهم، فلا يشعرون بعزة الله.

4/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: الجهل هو أساس الكبر .المنافقون تكبروا لأنهم جهلوا حقيقة العزة .فمن أراد التواضع، فعليه بالعلم.
.2الرسالة التربوية: التعليم يمنع النفاق .لو علموا حقيقة العزة، ما قالوا هذا القول .فعلم أبناءك هذه الحقائق.
.3الرسالة الفكرية: العزة تحتاج إلى معرفة .العزة ليست فطرية، بل تحتاج إلى علم وبصيرة.
.4الرسالة العملية: لا تنخدع بجهل الجاهلين .كثير من الناس لا يعلمون، فيقولون كلمات كبيرة وهم في حضيض الذل.

ثالثاً: اللطائف واللمسات البيانية والبلاغية من الآية

إن من خلال تدبر البناء اللغوي والبياني لهذه الآية نجد ما يأسر القلب، ويظهر الإعجاز في كل حرف:

الفعل المضارع "يَقُولُونَ" : يدل على الاستمرار .إنهم مستمرون في ترديد مثل هذه المقولات، وليست لمرة واحدة .كأنها شعارهم الخالد.

اللام المزحلقة في "لَئِن" : اللام هي لام القسم، تؤكد أنهم جازمون بهذا القول، ويتوعدون به بكل ثقة.

القسم المحذوف : "لئن" تفيد أن هناك قسماً محذوفاً تقديره "والله"، وهذا يزيد من قوة جزمهم وتهديدهم.

النون المثقلة في "لَيُخْرِجَنَّ" : نون التوكيد الثقيلة، تؤكد أنهم مصرون على الإخراج، وأنه سيحدث لا محالة.

وصفهم أنفسهم بـ "الأعز" ووصف المؤمنين بـ "الأذل" : هذه الطباق بين الأعز والأذل يزيد في قبح قولهم، ويصور عدوانيتهم.

تكرار اللام في "لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ" : التكرار يفيد الحصر والقصر، أي أن العزة لا تكون إلا لهؤلاء، وليست لمن سواهم.

تقديم لفظ الجلالة في قوله "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ" : تقديم للدلالة على أنه المصدر الأول والأصل .ومن ثم انتقلت لرسوله ثم للمؤمنين.

الاستدراك بـ "وَلَٰكِنَّ" : يفيد أن ما كانوا يعتقدونه باطل، والحقيقة هي عكس ذلك.

نفي العلم "لَا يَعْلَمُونَ" : هذا النفي أشد من نفي الفقه في الآية السابقة، فهو يدل على جهلهم بأوليات الدين.

التناغم بين الفواصل: ختمت الآية بـ "لَا يَعْلَمُونَ"، وهي فاصلة مناسبة تشير إلى أن مصدر بلائهم هو الجهل.

خلاصة بلاغية: الآية تجمع بين القسم المؤكد، والتهديد، والطباق بين الأضداد، وتكرار اللام للحصر، وتقديم الأهم، والاستدراك، ونفي العلم .إنها لوحة متكاملة، تصور حال المنافقين في قمة غطرستهم، وترد عليهم بأعلى درجات التأكيد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

رابعاً: الدروس والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها هذه الآية

تعالج هذه الآية قضايا عقدية ونفسية واجتماعية حاسمة:

· ظاهرة التكبر وحب الرئاسة كسبب للنفاق: أن الجذر العميق للنفاق هو التكبر ورفض الخضوع للحق، وخوف فقدان المكانة الاجتماعية.
· العصبية الجاهلية) القبلية والعنصرية (ضد وحدة الأمة: رفض المنافقين لوحدة المهاجرين والأنصار، واحتقارهم لغيرهم.
· الارتباط بين الغضب وكشف الخفايا: كيف تعتبر لحظات الغضب امتحاناً لصدق الإنسان.
· مفهوم العزة الخاطئ عند الكفار) المال والجاه والعدد(: نظرة المادية المتأصلة في نفوسهم.
· ضرورة تطهير القلوب من حب الزعامة والجاه: لأنها مدخل الشيطان إلى قلوب الناس.

الأمر الثاني: ماذا يريد الله منا من خلال هذه الآية، وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولا ً: ماذا يريد الله منا؟) المراد الإلهي(

.1ألا نكون مثل ابن أبي، متكبرين معجبين بأنفسنا: نتحلى بالتواضع ونعرف أن العزة لله وحده.
.2أن نعلم أن العزة الحقيقية في طاعة الله والرسول: فمن أراد العزة فليلزم الطاعة.
.3أن نحذر من لحظات الغضب، وأن نسيطر على ألسنتنا فيها: الغضب قد يكشف أخلاقنا الحقيقية.
.4أن نطهر قلوبنا من حب الرئاسة والجاه: فهي أمراض قاتلة كانت سبب هلاك ابن أبي وغيره.
.5أن ندرك أن الجهلة هم الذين يفتخرون بالدنيا وزخرفها: أما العقلاء فيعتزون بالإيمان.

ثانياً: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟) التطبيق العملي(

.1دعوة إلى "مراجعة النفس في أوقات الغضب" : عندما تغضب، انظر ماذا تقول .هذه هي حقيقتك . فاعمل على إصلاحها.
.2دعوة إلى "الاعتزاز بالإيمان لا بالمال" : لا تقل "أنا أغنى من فلان" أو "أنا أقوى" .قل "أنا مؤمن، وهذا يعزني".
.3دعوة إلى "محاربة العصبية القبلية والعنصرية" : كلنا إخوة في الدين، لا فرق بين عربي وعجمي إ لا بالتقوى.
.4دعوة إلى "التواضع وترك حب الرئاسة" : من تواضع لله رفعه الله.
.5دعوة إلى "طلب العلم" : لأن الجهل هو الذي يقود إلى مثل هذه الأقوال.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية الكريمة قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

لتحويل هذه الآية من "نص متلو" إلى "واقع ملموس"، اتبع هذه المنهجية المكونة من أربع مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة "الاستحضار الواعي") قبل البدء(: قبل أن تقرأ الآية، استحضر أن الله يكشف لك عن أخطر آفة تهدم المجتمعات: الكبر وحب الرئاسة .استحضر أن تختبر نفسك: هل أنت مثل ابن أبي في خفايا قلبك؟

المرحلة الثانية: مرحلة "التفكيك التحليلي") فهم الموقف(: حلل نفسك على ضوء هذه الآية:

· هل تغضب بسرعة؟ وماذا تقول في غضبك؟
· هل تحب الرئاسة والزعامة؟ هل تؤثرك على غيرك؟
· هل تعتز بمالك أو جاهك أو حسبك؟ أم بإيمانك؟

المرحلة الثالثة: مرحلة "التفعيل العملي") تحويل المفهوم إلى سلوك(:

· فعّل كظم الغيظ: إذا شعرت بالغضب، اسكت .توضأ، أو استغفر.
· فعّل التواضع: لا ترفع صوتك على أحد، ولا تحتقر أحداً .تذكر أن المؤمنين هم الأعزة عند الله.
· فعّل حب المؤمنين: اعتز بهم ولو كانوا فقراء.

المرحلة الرابعة: مرحلة "الانعكاس التقويمي") المراجعة(: في نهاية كل أسبوع، اسأل نفسك:

· هل غضبت هذا الأسبوع؟ هل قلت شيئاً ندمت عليه؟
· هل شعرت بالعزة بإيماني، أم تمنيت مالا ً أو جاها؟
· هل استحضرت أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين؟

الأمر الرابع: ما الذي نستلهمه من الآية من دروس وعبر وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية؟

أولا ً: الدروس المستلهمة) الرؤية(

.1درس "لحظة الغضب تكشف الحقيقة" : لا تثق بمن لا يغضب أبداً، بل انظر كيف يتصرف حين يغضب .هذا هو معدنه الحقيقي.
.2درس "الاعتزاز بالإيمان هو العزة الحقيقية" : كن عزيزاً بالله، ولا تذل لأحد .هذه العزة لا تنزع منك.
.3درس "حبو الرئاسة يهلك صاحبه" : ابن أبي أراد الزعامة فخسر الدنيا والآخرة .من تواضع لله رفع.
.4درس "لا تفرقوا بين المؤمنين" : المسلمون إخوة، لا تفرقهم العصبيات .من فرق بينهم كان مثل ابن أبي.
.5درس "الجهل هو سبب الكبر" : لو علموا حقيقة العزة لخضعوا .فاطلب العلم يذهب عنك الكبر.

ثانياً: كيفية التطبيق في الحياة العملية) التنفيذ(

.1بصفتك مسلماً: إذا أردت اختبار شخص، اغضبه قليلا ً) ضمن حدود المعروف .(انظر ماذا يقول . ستعرف حقيقته.
.2بصفتك قائداً: لا تترك مجالا ً للمنافقين بأن يتفوهوا بمثل هذه الأقوال .بيّن لهم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.
.3بصفتك أخاً: إذا سمعت شخصاً يعتز بماله أو نسبه، ذكره بهذه الآية .وقل له: العزة الحقيقية بالإ يمان لا بالمال.
.4بصفتك أباً: راقب أبناءك في أوقات غضبهم .لا تسكت عن كلمة كبيرة يقولونها .علمهم أن يتحكموا في غضبهم.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

أولا ً: المهارات الحياتية

.1مهارة "كظم الغيظ والتحكم في اللسان" : القدرة على التوقف وعدم التفوه بكلمات مسيئة في لحظة الغضب، لأن الغضب يكشف المستور.
.2مهارة "التمييز بين العزة الحقيقية والوهمية" : القدرة على عدم الانخداع بادعاءات الآخرين بالعزة، ومعرفة أن العزة الحقيقية في الإيمان بالله.
.3مهارة "تجنب العصبية القبلية والعنصرية" : أن تعامل الناس جميعاً كإخوة في الإنسانية أو في الدين، وألا تفضل قبيلتك على غيرها بغير تقوى.
.4مهارة "الاعتراف بحب الرئاسة في النفس ومحاربته": القدرة على اكتشاف حب الزعامة والجاه في النفس، وعلاجه بالتواضع والإيثار.

ثانياً: المهارات المعرفية

.1مهارة "تحليل الدوافع النفسية للعداء" : فهم أن عداء المنافقين للإسلام غالباً ما يكون نابعاً من حب الزعامة والحسد، وليس من الجهل فقط.
.2مهارة "ربط النص القرآني بسلوكيات الناس" : القدرة على ملاحظة سلوكيات الكبر والعنصرية و

التعالي في الواقع، وتذكير أصحابها بهذه الآية.
.3مهارة "فهم قاعدة العزة الإيمانية" : أن العزة الحقيقية تأتي من الإيمان والطاعة، وليس من المال أو النسب.

ثالثاً: المهارات العملية

.1مهارة "ضبط النفس في المواقف الاستفزازية" : التدرب على تأجيل الرد في لحظة الغضب، واللجوء إلى الصمت أو الاستغفار.
.2مهارة "بناء علاقات على أساس الأخوة الإيمانية لا العصبية" : تكوين صداقات وعلاقات عمل مع الآ خرين على أساس الدين والقيم، لا على أساس القبيلة أو الجنسية.
.3مهارة "تعزيز الثقة الداخلية بالإيمان" : تنمية الشعور بالعزة والكرامة من خلال الإيمان، فلا تحتاج إلى تأكيد خارجي أو تباه.

خامساً: الوقفات والتأملات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

للفهم العميق لهذه الآية، علينا أن ننظر إليها كـ "تأسيس لنظرية العزة في الإسلام" . الفهم العميق يتجاوز التفسير اللفظي) قول ابن أبي (إلى مستويات أعمق:

مستوى "لحظة الغضب كموقف اختبار" : الغضب ليس مجرد انفعال عابر، بل هو كاشف حقيقي لطباع الناس .فمن يتحكم في غضبه هو قوي حقيقي .ومن ينفجر بالقول السيء، فهذا دليل على مرض في قلبه.

مستوى "العزة ليست سلوكاً فردياً، بل هي حالة شعورية تستمد من الله" : العزة الحقيقية هي أن تشعر بالقوة والكرامة والمنعة، وهذا الشعور لا يأتي من المال، بل من الإيمان بأن الله معك.

مستوى "المنافقون يعيشون في فصل عن الغيب" : عقولهم مادية، قلوبهم خالية، فلا يدركون أن الله هو الناصر والمعز، وأن العزة تابعة له.

مستوى "القاعدة: من ذل لله عز، ومن عز على الله ذل" : هذه القاعدة الذهبية هي التي يمتحن بها المؤمنون .فلا تتكبر، وتذلل لله، يعزك الله.

الأمر الثاني: كيف تغير الآية من نظرتك للحياة؟

هذه الآية ليست مجرد إخبار، بل هي "ثورة في مفاهيم القوة والكرامة" :

.1تغير نظرتك إلى "الكبر" : لم يعد الكبر صفة قوة، بل أصبح صفة ضعف .القوي هو من يخضع لله.
.2تغير نظرتك إلى "الغضب" : أصبح وسيلة لاختبار الناس، وليس حالة عابرة.
.3تغير نظرتك إلى "المال والجاه" : ليسا مصدراً للعزة، بل مصدراً للاختبار فقط.
.4تغير نظرتك إلى "الأعداء" : تهديداتهم بـ "الأعز والأذل" لا تخيفك، فأنت تعلم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.
.5تغير نظرتك إلى "نفسك" : تشعر أنك عزيز بالله، ولو كنت أفقر الناس .هذا يعطيك قوة نفسية هائلة.

الأمر الثالث: وقفات تأملية من الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة "قصة ابن أبي وابنه" : عندما قال ابن أبي هذه الكلمة، وقف ابنه عبد الله بن عبد الله بالسيف في وجه أبيه، وقال له: "والله لا تدخلها حتى تعترف بأنك الأذل، وأن رسول الله الأ عز" .وهو نموذج للابن البار الذي يقدم دينه على هوى أبيه .هذه الوقفة تذكرنا: لا تطيع والديك في معصية الله.

الوقفة الثانية: وقفة "العزة بغير الله" : ما أغرب أمر من يعتز بماله، فالذي يعطيه قد يسلبه .من يعتز

بقبيلته، فالقبيلة لا تدفع عذاب الله .أما من يعتز بالله، فلا شيء يخيفه.

الوقفة الثالثة: وقفة "لحظة غضب" : هل تذكر موقفاً غضبت فيه وقلت كلمات ندمت عليها؟ هذا الموقف يكشف أن هذه الكلمات كانت موجودة في داخلك .استغفر الله، وتب، وحاول أن تتحكم في غضبك.

الوقفة الرابعة: وقفة "العزة الحقيقية" : كيف تكون عزيزاً بالله؟ بأن تطيعه، وأن تذل له، وأن تثق به، وأن لا تخاف من أحد سواه.

كيف تنقل هذه الوقفات إلى فريقك أو أسرتك؟

· اقرأ لهم القصة كاملة، وكيف رد ابن ابن أبي على أبيه.
· ناقشهم: "من هو الأعز في عصرنا؟ الغني أم المؤمن الفقير؟".
· شاركهم تجاربك في الغضب وكيف تتحكم فيه.

الأمر الرابع: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

.1نتعلم أن "الكبر يهلك صاحبه" : من تكبر ذل، ومن تواضع عز.
.2نتعلم أن "الغضب اختبار إيمان" : فمن ملك نفسه عند الغضب، كان صادقاً.
.3نتعلم أن "لا تثق بمن يسب المؤمنين" : من يصفهم بالأذلاء، فهو منافق.
.4نتعلم أن "العزة بالله لا بالخلق" : فاطلب العزة من الله.
.5نتعلم أن "الجهل سبب الكبر" : فاطلب العلم، يذهب عنك الكبر.

سادساً: أبعاد وآفاق ومفاهيم وقيم الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

إن هذه الآية ليست مجرد وصف، بل هي نافذة على أبعاد متعددة:

البعد النفسي) تحليل الحالة النفسية للمتكبر(: الآية تحلل نفسية المتكبر التي تعتمد على أوهام القوة، والغضب كآلية لكشف المستور.

البعد الاجتماعي) أسباب النزاع في المجتمعات(: الكبر والعصبية هما أساس الصراعات الاجتماعية .وعلا جها هو الإيمان.

البعد العقدي) تقرير العزة لله(: العزة صفة من صفات الله، وهو يعطيها لمن يشاء من عباده.

البعد القيادي) كيف يواجه القائد التهديدات الداخلية(: النبي لم يقتل ابن أبي، بل تركه ليكون عبرة للناس، واستخدم الحكمة في التعامل مع الفتنة.

البعد الأخلاقي) التواضع فضيلة والكبر رذيلة(: الآية تدعو للتخلي عن الكبر والحمية، والتحلي بـ التواضع الذي هو أساس العزة.

الأمر الثاني: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

لتحويل هذه الآية إلى مفاهيم عملية) مفاهيم عملية (نعيشها في واقعنا، يمكننا استخلاص أربعة مفاهيم جوهرية:

.1مفهوم "العزة الإيمانية"(: أن العزة الحقيقية تأتي من الإيمان بالله واتباع رسوله، وليست مرتبطة بالمال أو النسب.
.2مفهوم "التواضع لله هو طريق العزة" : التناقض العجيب: من أذل نفسه لله، أعزه الله.
.3مفهوم "الغضب كاشف حقيقة الإنسان" : الغضب يكشف ما يخفيه الإنسان في قرارة نفسه، فهو اختبار حقيقي.
.4مفهوم "لا تركن إلى تهديدات المتكبرين" : تهديداتهم كاذبة، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية

.1مفهوم "الكبر كتعويض عن الدونية" : يبدو أن ابن أبي كان يشعر بالدونية بعد أن فقد زعامته، فعوض ذلك بالكبر والتفاخر.
.2مفهوم "الغضب كمنظم للانفعالات المكبوتة" : الغضب أخرج ما كان مكبوتاً في نفسه من حقد وحسد.
.3مفهوم "الشعور بالعزة كدافع للسلوك" : تصرفات ابن أبي وأمثله من المنافقين كانت مدفوعة بالبحث عن عزة مفقودة.

المفاهيم الفكرية

.1مفهوم "العزة الوجودية":هي العزة التي يشعر بها الإنسان بوجوده كعبد لله، وهي أعمق من العزة المادية.
.2مفهوم "تفنيد مفهوم العزة الجاهلية" : الرد على الذين يعتقدون أن العزة بالمال والرجال والأحساب.
.3مفهوم "العزة بالله هي معنى التوحيد" : من وحّد الله، لم يخاف سواه، ومن لم يوحده، خاف كل شيء.

المفاهيم التربوية

.1مفهوم "التربية على التحكم في الغضب" : تعليم الأبناء كيف يسيطرون على غضبهم، وكيف يتفادون الكلمات الجارحة.
.2مفهموم "التربية على التواضع ونبذ الكبر" : غرس قيمة التواضع في نفوس الناشئة، وأن الكبر من صفات المنافقين.
.3مفهموم "التربية على العزة بالإيمان" : تعليم الأبناء أن قوتهم وعزتهم ليست بمالهم، بل بإيمانهم وتمسكهم بدينهم.

الأمر الرابع: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

.1مفهوم "بناء الأمة على الإخاء الإيماني لا العصبية" : أساس المجتمع المسلم هو الأخوة في الدين، وليس العصبية القبلية أو العنصرية.
.2مفهوم "التنمية الأخلاقية بمحاربة الكبر" : لا يمكن تنمية مجتمع إذا كان أفراده متكبرين، لأن الكبر يمنع التعاون.
.3مفهوم "استدامة العزة بالطاعة" : العزة التي يحصل عليها المؤمن تحتاج إلى استدامة بالطاعة المستمرة.
.4مفهوم "بناء القيادة على الحكمة لا على الانتقام" : النبي لم ينتقم من ابن أبي بالرغم من قوله الشنيع، بل تعامل بحكمة، وهذا نموذج قيادي.

الأمر الخامس: دور الآية ومفاهيمها في صناعة الشخصية المسلمة والأسرة المسلمة والمجتمع و الحضارة والنهضة في الحياة

صناعة الشخصية المسلمة) بناء الفرد(: الآية تصنع شخصية "المؤمن العزيز بالله" .شخصية لا تخاف من تهديدات الأعداء، ولا تغتر بالمال والجاه .هي شخصية تعرف أن العزة لله وحده، فتلجأ إليه، وتذل له، وتعتز به .لا تكبر على الناس، ولا تحتقر أحداً .تستطيع التحكم في غضبها، فلا تتفوه بكلمات الجاهلية .هذه الشخصية هي أساس النهضة، لأنها لا تنكسر ولا تتكبر.

صناعة الأسرة المسلمة) بناء الخلية(: الأسرة التي تستحضر هذه الآية هي أسرة "العزة والتواضع" .الأبوان لا يربيان أبناءهما على الكبر والفخر بالمال، بل على التواضع والاعتزاز بالإيمان .إذا غضب أحد أفراد الأسرة، يعلمونه كيف يسكت ويتحكم .الأسرة ترفض العصبية القبلية، وتعلم أبناءها أن جميع المسلمين إخوة .هذه الأسرة تنتج أفراداً أقوياء نفسياً، متواضعين مع الناس، معتزين بدينهم.

صناعة المجتمع المسلم) بناء البنية(: المجتمع الذي يفهم هذه الآية هو مجتمع "معتز بدينه" .لا تهزه تهديدات الأعداء بأنهم الأعز .أفراده لا يتفاخرون بالأموال والأنساب، بل بالإيمان والتقوى .مؤسساته

تحارب العصبية والكبر .قيادته حكيمة، لا ترد على التهديدات بالتهديد، بل بالحكمة .هذا المجتمع متماسك قوي.

صناعة الحضارة الإسلامية) بناء النموذج(: الحضارة التي تنطلق من هذه الآية هي حضارة "العزة الإ يمانية" .هي حضارة ترفض منطق القوة المادية كأساس للعزة، وتؤسس للعزة على الإيمان والعدل .هي حضارة لا تخاف من أعدائها، لأنها تعتز بالله .أبناؤها لا يتكبرون على غيرهم، ولا يذلون لأحد .هذه الحضارة هي التي ستقود العالم، لأنها تقدم نموذجاً فريداً للقوة القائمة على التواضع لله.

النهضة الحقيقية تبدأ عندما تتحرر الأمة من مفاهيم العزة الجاهلية) المال، الجاه، النسب (وتؤمن بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وعندما يتعلم أفرادها التحكم في غضبهم والتواضع في نفوسهم.

ختاماً: كيف نعمق أثر الآية في حياتنا العملية؟

بعد هذه الرحلة الطويلة في رحاب آية العزة، يبقى السؤال: كيف نجعل هذه الآية حية في تفاصيل يومنا، لا مجرد كلمات نتلوها؟

أولا ً: في كل موقف غضب: تذكر مقولة ابن أبي .اسكت .استغفر .لا تتفوه بكلمة تندم عليها .فإذا نجحت، فأنت الأعز عند الله.

ثانياً: في كل شعور بالكبر على أحد: تذكر أن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء .ولا عزة لأحد بغير طاعة الله.

ثالثاً: في كل تهديد تسمعه من أعداء الإسلام: تذكر "وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ" .لا تخف . تهديداتهم كذب.

رابعاً: في تربية أبنائك: علمهم أن العزة بالإيمان، وأن التواضع طريق العزة، وأن الكبر صفة المنافقين . اقصص عليهم قصة ابن أبي وابنه.

خامساً: في دعائك: قل: "اللهم أعزني بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك .اللهم إني أعوذ بك من الكبر و الغضب ومن كل خلق المنافقين".

اجعل هذه الآية دستور عزة نفسك، ومنهج تواضعك، وبوصلة تعاملك مع تهديدات الأعداء .عندها فقط ، ستتحول الكلمات إلى نبض، والتلاوة إلى واقع، وستكون من الذين قال الله فيهم "وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ".

سابعا

تفسير الآيتين التاسعة والعاشرة من سورة المنافقون

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ

أولا ً: المدخل التأسيسي للآية

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية

دعني آخذك في رحلة إلى قلب التوجيه الإلهي للمؤمنين بعد أن فضح الله المنافقين وكشف أخطر مخططاتهم. بعد أن أعلن الله في الآيات السابقة صفات المنافقين الذميمة: شهادتهم الكاذبة، اتخاذهم ا لأيمان جُنّة، جمال أجسادهم وخواء قلوبهم، استكبارهم عن طلب المغفرة، ومخططهم الاقتصادي الخبيث (لا تنفقوا على من عند رسول الله)، وقولهم المتعجرف "لنخرجن الأعز منها الأذل"، ها هو سبحانه يلتفت الآن إلى المؤمنين مباشرة، يوجههم ويحذرهم من آفة قد تكون سبباً في انحرافهم عن الصراط المستقيم، بعد أن نجوا من فتنة المنافقين.

تأمل هذا النداء الحنون: "يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا" . إنه نداء خاص بالذين صدقوا الله ورسوله، والذين نجوا من دوائر النفاق. إنه نداء تذكير وتنبيه وتوجيه. الله يناديهم بأحب أسمائهم: "الذين آمنوا"، ليذكرهم بأن إيمانهم هو كنزهم، وأن عليهم الحفاظ عليه من كل ما يلهيهم عنه.

ثم يأتي التحذير الإلهي: "لَا تُلهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكرِ اللهِ" . النهي موجه إلى المؤمنين: لا تشغلكم أموالكم وأولادكم عن ذكر الله. لا تنسيكم مشاغل الدنيا وزينتها واجباتكم تجاه ربكم. المال وا لأولاد نعمة عظيمة، ولكنها قد تتحول إلى فتنة وبلاء إذا شغلت عن طاعة الله.

إن الآية تضع المؤمن أمام امتحان حقيقي: كيف يوازن بين مسؤولياته تجاه أسرته وتجارته وبين مسؤولياته تجاه ربه؟ إنها دعوة إلى ترتيب الأولويات: ذكر الله في القلب واللسان والعمل يجب أن يبقى هو الأولوية القصوى، فلا تطغى عليه الأموال والأولاد.

ثم يعلن الله حكمه: "وَمَن يَفعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ" . من يلهه ماله وولده عن ذكر الله، فأولئك هم الخاسرون حقاً. إنهم خسروا الدنيا والآخرة. خسروا دنياهم لأنهم عاشوا في لهو وغفلة، وخسروا آخرتهم لأنهم ضيعوا ما عند الله.

ثم تأتي الآية العاشرة لتحث المؤمنين على بذل المال في سبيل الله، وعدم الانتظار حتى يفاجئهم الموت. يقول تعالى: "وَأَنفِقُوا مِن مَا رَزَقنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ" . أيها المؤمنون، أنفقوا من أموالكم في سبيل الله، وتصدقوا، وبادروا إلى الخيرات، واغتنموا فرصة الحياة قبل أن يغلق الموت بابها.

وتصور الآية مشهداً مؤثراً: عند موت الإنسان، يتمنى أن يعود إلى الدنيا ولو للحظة قصيرة: "فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ" . يندم الإنسان في تلك اللحظة، ويرجو مهلة قصيرة ليتصدق ويعمل صالحاً. لكن الندم لا ينفع بعد فوات الأوان.

هاتان الآيتان الختاميتان في السورة تمثلان "الخلاصة والعلاج" بعد فضيحة المنافقين. فهما تعلمان المؤمنين:

· كيف يحافظون على إيمانهم من خلال عدم الانشغال بالدنيا.
· كيف يستثمرون أموالهم في سبيل الله قبل الموت.
· كيف يكونون من الصالحين في الدنيا ليفوزوا في الآخرة.

إنهما آيتان تجمعان بين التحذير من فتنة المال والولد، والحث على الإنفاق والبذل، ووصف حال المفرطين عند الموت.

الأمر الثاني: علاقة هذه الآية بما قبلها (الآيات 1-8 من سورة المنافقون)

العلاقة بين هذه الآية (9-10) وما قبلها (1-8) هي علاقة "الانتقال من فضح المنافقين إلى توجيه المؤمنين، ومن التحذير من خطر العدو الخارجي إلى التحذير من خطر النفس" .

في الآيات السابقة (1-8)، كان الحديث كله عن المنافقين: صفاتهم، مخططاتهم، أقوالهم الخبيثة، تهديداتهم. كان تركيز القرآن على تعريف المؤمنين بعدوهم الداخلي ليتجنبوه.

ثم تأتي هاتان الآيتان (9-10) ليتحول الخطاب إلى المؤمنين مباشرة، ويوجههم إلى ما يجب عليهم فعله لتحصين أنفسهم من الوقوع في دوائر الغفلة والخذلان.

العلاقة تفصيلا ً:

.1من "خطر المنافقين" إلى "خطر النفس والأهل والمال" : الآيات السابقة حذرت المؤمنين من عدو خارجي) المنافقين .(وهذه الآيات تحذرهم من عدو داخلي) الشهوات والمال والأولاد .(فهي تكمل دائرة الأمان.
.2من "لا تنفقوا على من عند رسول الله") قول المنافقين (إلى "أنفقوا مما رزقناكم") أمر المؤمنين(: ا لآية السابقة أظهرت بخل المنافقين وتحريضهم على منع الإنفاق على المؤمنين .وهذه الآية تأمر المؤمنين بالإنفاق في سبيل الله، كرد فعل عملي على بخل المنافقين.
.3من "زعم الأعز والأذل") كبر المنافقين (إلى "لا تلهكم أموالكم وأولادكم") تواضع المؤمنين(: المنافقين

افتخروا بأموالهم وأتباعهم وادعوا العزة .والمؤمنين يُنهون عن أن تلهيهم هذه الأمور عن ذكر الله.
.4من "المنافقون لا يعلمون ولا يفقهون" إلى "أولئك هم الخاسرون" : ختمت الآيات السابقة بجهل المنافقين .وهذه الآية تعلن أن من يلهه ماله وولده عن ذكر الله فهو خاسر .أي أن الخسارة الحقيقية ليست في الجهل فقط، بل في الانشغال بالدنيا.
.5دلالة الاختتام: ختمت السورة بهاتين الآيتين لتركز على أهم واجب للمؤمن بعد أن عرف خطر المنافقين: الحفاظ على ذكر الله، وعدم الانشغال بالأموال والأولاد، والمسارعة إلى الإنفاق قبل الموت.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

هاتان الآيتان تحملان بين طياتهما أفكاراً محورية ستة:

.1تحذير المؤمنين من فتنة المال والأولاد: أن المال والأولاد نعمة عظيمة، لكنها قد تتحول إلى فتنة وبلاء إذا شغلت الإنسان عن ذكر الله وعن طاعته.
.2ذكر الله هو الأولوية العظمى) لا تلهكم(: أن ذكر الله) الصلاة، القراءة، الدعاء، الطاعات (يجب أن يكون حاضراً في القلب، وألا تطغى عليه مشاغل الدنيا مهما كانت كبيرة.
.3الخسارة الحقيقية) هم الخاسرون(: من يلهه ماله وولده عن ذكر الله فهو الخاسر الحقيقي، لأنه خسر الدنيا والآخرة.
.4الحث على الإنفاق قبل الموت) اغتنام الفرصة(: الآية تأمر المؤمنين بالإنفاق مما رزقهم الله، وعدم الانتظار أو التسويف، لأن الموت قد يأتي في أي لحظة.
.5صورة الندم عند الموت) وصف حال الغافلين(: الآية تصور مشهداً مؤثراً للإنسان عند موته، حيث يتمنى العودة ليصدق ويعمل صالحاً، لكن الأوان قد فات.
.6خاتمة السورة: بين فتنة الدنيا وفضل الآخرة: فسورة المنافقون بدأت بفضح المنافقين، وانتهت بتذكير المؤمنين بالاستمساك بذكر الله، والإنفاق في سبيل الله، لئلا يكونوا من الخاسرين.

الأمر الرابع: أهداف الآية ومقاصدها وأغراضها (دلالة الاختتام)

ما الذي يريده الله منا من خلال ختم سورة المنافقون بهاتين الآيتين؟ إنهما ليستا مجرد توجيهين منفصلين، بل هما "خلاصة ووصية ختامية" للأمة المسلمة. أراد الله أن:

· يذكر المؤمنين بأن أخطر ما يهدد إيمانهم بعد النفاق هو فتنة المال والولد: فقد نجوا من خطر المنافقين في الدنيا، فعليهم أن يحذروا من خطر النفس والأهل والمال.
· يعلن أن الخسارة الحقيقية هي خسارة الآخرة: من خسر الله ورسوله والجنة، فهو الخاسر وإن ربح الدنيا بأسرها.
· يحث على المسارعة إلى الخيرات والإنفاق قبل فوات الأوان: لا تؤجل التوبة والعمل الصالح، فالموت يأتي بغتة.
· يرسم لوحة الندم ليكون المؤمنون على حذر: أن يتصوروا أنفسهم في تلك اللحظة، فلا يصبحوا من المتمنيين.
· يختم السورة بتذكير المؤمنين بالهدف الأسمى: ذكر الله والإنفاق في سبيله والصدقة والعمل الصالح، هو الذي يقيهم من النفاق والغفلة.

ثانياً: تحليل الآية (رحلة في أعماق النص)

المحور الأول: تحليل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ)

1/ دلالة النداء "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا"

هذا النداء يكرر في القرآن كثيراً، وهو يفيد التكريم والتخصيص. فهو ينادي أهل الإيمان ليقول لهم كلاماً يليق بإيمانهم. وهو نداء حب وحنان، وتذكير بصفة الإيمان ليكون أبلغ في الاستجابة. والنداء هنا في ختام السورة بعد الحديث عن المنافقين، فكان تذكيراً لهم بأنهم هم المؤمنون حقاً، فعليهم أن يتحلوا بصفات المؤمنين.

2/ دلالة "لَا تُلْهِكُمْ") النهي بصيغة المضارع(

"لا تلهكم" نهي مبني على السكون، والفعل المضارع "تلهي" يفيد التجدد .أي لا تلهكم أموالكم وأولادكم ولا تستمر هذه اللهو .واللهو هو الانشغال والاشتغال بما لا ينفع .والمراد به هنا: أن تنشغلوا بجمع الأ موال وتنمية الأولاد وتربيتهم عن أداء فرائض الله وذكر الله.

3/ دلالة "أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ") الواو للعموم(

جمع المال والأولاد، وهما أعز ما يملك الإنسان في الدنيا. وقد خصهما الله بالذكر لأنهما أكثر ما يلهي الإنسان. فالمال يشغل صاحبه بجمعه وتنميته والحفاظ عليه، والأولاد يشغلون بتربيتهم وتأمين مستقبلهم والخوف عليهم. وإذا ألهى هذان الشيءان عن ذكر الله، فما بالك بما هو أقل منهما؟!

4/ معنى "عَن ذِكْرِ اللَّهِ") الغاية المنشودة(

"ذكر الله" هو أعلى العبادات وأشملها .فهو يشمل:

· الصلاة وأذكارها.
· تلاوة القرآن.
· الدعاء والاستغفار.
· التفكر في آيات الله.
· ذكر الله بالقلب واللسان في كل الأحوال.
· وأيضاً كل عمل يقصد به التقرب إلى الله.

فالنهي أن تشغلكم الأموال والأولاد عن هذه العبادات والأعمال.

5/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: الوعي بأن المال والأولاد فتنة .حب المال والبنين غريزة فطرية، لكنها قد تتحول إلى إدمان .الآية تنبه النفس إلى خطر هذا التعلق المفرط.
.2الرسالة التربوية: تربية الأبناء على أن الطاعة أهم من المال .يجب أن يتعلم الأبناء أن ذكر الله وآخرته أهم من جمع المال والتكاثر فيه.
.3الرسالة الفكرية: الموازنة بين الدنيا والآخرة .الدين لا يمنع السعي للرزق ورعاية الأولاد، لكنه يضع ضوابط .لا تلهكم هذه المسؤوليات عن واجباتكم الدينية.
.4الرسالة العملية: تحديد أوقات للذكر .يجب على المؤمن أن يخصص أوقاتاً للصلاة والذكر وقراءة القرآن، وألا تتداخل معها مشاغل الدنيا.

المحور الثاني: تحليل (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)

1/ دلالة "وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ") الشرط الجزائي(

"من" شرطية، تفيد العموم .كل من يفعل هذا الفعل) وهو إلهاء المال والأولاد عن ذكر الله (فجزاؤه كذا .وهذا تحذير عام لكل من يقع في هذه المعصية.

2/ دلالة "فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ") القصر والتوكيد(

"أولئك" اسم إشارة للبعيد، يدل على تعظيم الخسارة ."هم" ضمير فصل يفيد الحصر، أي أنهم هم الخاسرون فقط، وليس غيرهم ."الخاسرون" جمع، صيغة مبالغة .أي أنهم خسروا الدنيا والآخرة .خسروا الدنيا لأنهم عاشوا بلا طمأنينة، وخسروا الآخرة لأنهم ضيعوا ذكر الله.

3/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: الخوف من الخسران .هذا الوعيد يزرع الخوف من أن يكون الإنسان من الخاسرين، فيدفعه إلى مراجعة حساباته.
.2الرسالة التربوية: ربط الفعل بالجزاء .علم أبناءك أن كل فعل له نتيجة .من يلهه المال والولد عن ذكر الله فهو خاسر.
.3الرسالة الفكرية: تحديد مفهوم الخسران .الخسران ليس فقط خسارة المال، بل خسارة الدين والآ خرة أعظم.

.4الرسالة العملية: المحاسبة اليومية .اسأل نفسك في نهاية كل يوم: هل ألهتني أموالي وأولادي عن ذكر الله اليوم؟ هل أنا من الخاسرين؟

المحور الثالث: تحليل (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ)

1/ دلالة الأمر "أنفِقُوا") الجمع بين النهي والأمر(

بعد أن نهى الله عن الإلهاء بالمال والأولاد، أمر بالإنفاق منه. فالنهي كان عن التعلق بالمال، والأمر يكون ببذله في سبيل الله. هذا هو التوازن.

2/ دلالة "مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ") التذكير بأن المال من الله(

"ما" موصولة عامة، و "رزقناكم" فعل ماض، تذكير بأن الله هو الرازق .فأنتم لم تملكوا المال بقوتكم، بل هو عطاء من الله، فأنفقوا منه كما أمركم .وفي هذا رد على المنافقين الذين قالوا "لا تنفقوا" لأنهم ظنوا أن المال بأيديهم.

3/ دلالة "مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ") التحفيز بالخوف(

"من قبل" تفيد الاستعجال .لا تؤجل الإنفاق والصدقة .فالموت لا ينتظر ."يأتي أحدكم الموت" الفعل مضارع، يدل على أن الموت قادم لا محالة، و "أحدكم" تشمل كل إنسان .لا أحد مستثنى.

4/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: استحضار الموت يُخرج من الغفلة .من يتذكر الموت لا يؤجل العمل الصالح.
.2الرسالة التربوية: تعليم الأبناء مبدأ المسارعة إلى الخير .لا تؤجلوا فعل الخير، فالموت قد يأتي في أي لحظة.
.3الرسالة الفكرية: المال أمانة .المال الذي أعطاك الله هو أمانة، وعليك أن تتصدق به وتنفقه في سبيله قبل أن تفارقه.
.4الرسالة العملية: إخراج الزكاة والصدقات فور وجوبها .لا تؤخرها .كذلك لا تؤخر التبرعات والإنفاق في وجوه الخير.

المحور الرابع: تحليل (فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ)

1/ دلالة "فَيَقُولَ") صورة الندم عند الموت(

"فيقول" معطوفة على ما سبق، وهي تصور حال الإنسان عند نزول الموت .الجملة تصور مشهداً درامياً يندم فيه الإنسان على ما فرط.

2/ معنى "رَبِّ") نداء التوسل(

ينادي ربه في تلك الساعة، يعترف بربوبيته، لكن الأوان قد فات. النداء نداء استغاثة وتوسل وتذلل.

3/ تحليل جملة "لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ"

"لولا" حرف تمن، يفيد أن يتمنى لو أن الله أخره .و "أخرتني" طلب التأخير .و "إلى أجل قريب" أي ولو فترة قصيرة، لا يطلب عمراً طويلا ً، بل أي مهلة .فهو في ذروة الأسف، يطلب أي فرصة ضئيلة.

4/ تحليل "فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ"

"فأصدق" جواب التمني، أي كي أتصدق .و "وأكن من الصالحين" أي أدخل في زمرة الصالحين الذين كانوا يعملون في الدنيا .المؤلم في الأمر أنه يتمنى ما كان يستطيع فعله في الدنيا، لكنه أهمله.

5/ دلالة التعبير بـ "لَوْلَا" مكان "ليت"

"لولا" تستعمل للتمني لما هو مستبعد أو ممتنع، بخلاف "ليت" التي قد تكون للممكن .فهو يعلم أن

رجوعه مستحيل، لكنه يتمنى مع ذلك.

6/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: تصوير مشهد الندم يجعل المؤمن يتعظ .من يتخيل نفسه في هذه اللحظة يبكي، ويتوب قبل أن تأتي.
.2الرسالة التربوية: تعليم الأبناء أن العمل الصالح لا يؤجل .لا تنتظر حتى تكبر أو تصبح غنياً، بل اعمل الصالحات الآن.
.3الرسالة الفكرية: التصدق من أسهل العبادات .لم يطلب أن يصوم أو يحج أو يجاهد، بل طلب فقط أن يتصدق، وهذا يدل على فضل الصدقة.
.4الرسالة العملية: لا تؤخر الصدقة .إذا أردت أن تتصدق، افعلها اليوم وليس غداً.

ثالثاً: اللطائف واللمسات البيانية والبلاغية من الآية

إن من خلال تدبر البناء اللغوي والبياني لهاتين الآيتين نجد ما يأسر القلب، ويظهر الإعجاز في كل حرف:

النداء بـ "يا أيها الذين آمنوا" في ختام السورة: هذا النداء في نهاية سورة المنافقون يؤكد أن المخاطبين الحقيقيين هم المؤمنون، وأن ما قبل كان تحذيراً منهم من عدوهم الداخلي. وفيه تمييز لهم عن المنافقين.

النهي بـ "لا تلهكم" بصيغة المضارع: يفيد الاستمرار، أي استمر في النهي عن هذا الإلهاء، فلا ينبغي أن يحدث أبداً.

إدخال الواو في "وَلا أَوْلَادُكُمْ" مع تقديم المال : قدم المال لأنه أكثر إلهاماً، ثم عطف الأولاد، ولم يقل "ولا أولادكم" بل "ولا" للتوكيد، لبيان أن كليهما يلهي.

الشرط "ومن يفعل ذلك" بعمومه : كل من يفعل هذا الفعل يدخل تحت هذا الوعيد، أي كل من يلهيه ماله وولده عن ذكر الله.

الإشارة البعيدة "فَأُولَٰئِكَ" : للدلالة على أن هؤلاء الخاسرين قد بعدوا عن رحمة الله، وعن طريق المؤمنين.

ضمير الفصل "هُمُ" : يفيد الحصر، فلا خاسر إلا هؤلاء.

صيغة "الْخَاسِرُونَ" بالجمع والتعريف : لبيان أنهم جنس الخاسرين، وأن خسارتهم تامة.

الأمر "أَنفِقُوا" والفاء في "فَيَقُولَ" : الترتيب بين العمل وجزائه. من لم ينفق سيندم ويقول هذا القول.

"لَوْلَا" للتمني : دلالة على استحالة الرجوع، وزيادة الحسرة.

قوله "أَصَّدَّقَ" بإدغام الصاد في التاء (أصدق) – أي أتصدق : فيه إشارة إلى أن الصدقة من أيسر أعمال الخير، وأحبها إلى الله.

تقديم التصدق على الصلاح العام : لأن التصدق سبب في الصلاح، أو لأن الصدقة باب من أبواب الص لاح.

الفواصل القرآنية (الميم والنون): ختمت الآية الأولى بـ "الْخَاسِرُونَ" والثانية بـ "الصَّالِحِينَ"، وهذا تناغم جميل.

خلاصة بلاغية: الآيتان تجمعان بين النداء الحنون، والنهي المؤكد، والشرط العام، والوعيد الشديد، والإ شارة البعيدة، وحصر الخسارة، ثم الأمر بالإنفاق، وتصوير مشهد الندم بأسلوب التمني المؤلم. إنها لوحة متكاملة تجمع بين الخوف والرجاء، بين الزجر والتحفيز، بين الدنيا والآخرة.

رابعاً: الدروس والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها هذه الآية

تعالج هاتان الآيتان قضايا حياتية ووجودية عميقة:

· فتنة المال والأولاد وكيفية التخلص من أسرها: مشكلة أن ينشغل الإنسان بجمع المال وتربية الأولاد حتى ينسى الله.
· تأخير التوبة والعمل الصالح بحجة الانشغال: أن الإنسان يقول: سأتوب عندما أكبر، سأتصدق عندما أغتني .الآية تحث على عدم التسويف.
· الخسارة الحقيقية) خسارة الآخرة(: كثير من الناس يظنون أن الخسارة هي خسارة المال، والآية تعلن أن الخسارة الحقيقية هي خسارة ذكر الله.
· الندم في ساعة الاحتضار) صور من القبر(: مشاهد رهيبة لا بد من استحضارها لتغيير السلوك.
· أهمية ذكر الله في حياة المؤمن: أنه الغذاء الروحي الذي لا غنى عنه.

الأمر الثاني: ماذا يريد الله منا من خلال هذه الآية، وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولا ً: ماذا يريد الله منا؟ (المراد الإلهي)

.1ألا نكون من الذين تلهيهم الدنيا عن الآخرة: يجب أن يظل ذكر الله في قلوبنا حاضراً، وأن تكون الأولويات واضحة.
.2أن نبادر إلى الإنفاق في سبيل الله ولا نؤجل: لا نقول سأتصدق غداً، فالغد قد لا يأتي.
.3أن نتعظ بمشهد الندم عند الموت: نتخيل أنفسنا في هذه اللحظة، لنسارع إلى العمل الصالح.
.4ألا نغتر بغنى المال وكثرة الأولاد: فهي نعم قد تكون نقمة إذا شغلتنا عن ذكر الله.
.5أن نعي أن الخسارة الحقيقية هي خسارة الدين والآخرة: من خسر الله ورسوله، فقد خسر كل شيء.

ثانياً: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟ (التطبيق العملي)

.1دعوة إلى "مراجعة الأولويات يومياً" : كل يوم، قبل أن تبدأ عملك، حدد وقتاً لذكر الله، ولن تنساه.
.2دعوة إلى "الإنفاق الفوري" : إذا نوى الإنسان صدقة، فليخرجها فوراً، ولا يؤجلها.
.3دعوة إلى "استحضار الموت" : كل صباح تذكر أن هذا اليوم قد يكون آخر أيامك، فاستعد.
.4دعوة إلى "تجنب التسويف في الطاعات" : لا تقل سأصلي بعد قليل، سأتصدق بعد شهر .افعلها الآ ن.
.5دعوة إلى "الاعتبار بمشهد الاحتضار" : اقرأ قصص المحتضرين، وتأمل في ندمهم، وتب إلى الله.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية الكريمة قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

لتحويل هاتين الآيتين من "نص متلو" إلى "واقع ملموس"، اتبع هذه المنهجية المكونة من أربع مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة "الاستحضار الواعي" (قبل البدء): قبل أن تقرأ الآيتين، استحضر أن الله يناديك "يا أيها الذين آمنوا". استحضر أن المال والأولاد بين يديك، وأن ذكر الله هو شغل قلبك. استحضر لحظة الموت والندم. هذا الاستحضار يحول التلاوة إلى وعظ مباشر.

المرحلة الثانية: مرحلة "التفكيك التحليلي" (فهم الموقف): حلل حياتك على ضوء هاتين الآيتين:

· هل تشغلك أموالك وأولادك عن الصلاة؟ عن ذكر الله؟ عن قراءة القرآن؟
· هل تؤخر صدقاتك وواجباتك بحجة أنك مشغول أو أن المال قليل؟
· هل تتخيل نفسك في سكرات الموت؟ ماذا ستتمنى لو رجعت؟

المرحلة الثالثة: مرحلة "التفعيل العملي" (تحويل المفهوم إلى سلوك):

· فعّل جدولة الذكر: حدد أوقاتاً يومية للذكر) أذكار الصباح والمساء، قراءة ورد من القرآن، صلاة الضحى .(لا تدعها تمر بدون ذكر.
· فعّل الإنفاق الفوري: إذا رزقت مالا ً، أخرج زكاته فوراً .واجعل في ميزانيتك الشهرية بنداً للصدقات والتبرعات.
· فعّل تذكير الموت: اكتب وصيتك اليوم .جهز كفنك .زُر المقابر .كل هذه تذكرك بالموت.

المرحلة الرابعة: مرحلة "الانعكاس التقويمي" (المراجعة): في نهاية كل أسبوع، اسأل نفسك:

· هل ألهتني أموالي وأولادي عن ذكر الله هذا الأسبوع؟
· هل أنفقت مما رزقني الله؟
· هل تذكرت الموت وندمت على تقصير؟

الأمر الرابع: ما الذي نستلهمه من الآية من دروس وعبر وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية؟

أولا ً: الدروس المستلهمة (الرؤية)

.1درس "المال والولد فتنة" : لا تغتر بهما، فقد يكونان سبباً في شقائك إذا ألهياك عن ذكر الله.
.2درس "لا تؤجل عمل الخير" : فالعمر قصير، والموت قريب، والتسويف من الشيطان.
.3درس "الندم يوم الموت لا ينفع" : فلنعش اليوم بلا ندم.
.4درس "الخسارة الحقيقية هي خسارة الدين" : فمن خسر دينه فقد خسر الدنيا والآخرة.
.5درس "ذكر الله قوت القلوب" : هو الذي ينقذنا من الغفلة والله.و

ثانياً: كيفية التطبيق في الحياة العملية (التنفيذ)

.1بصفتك مسلماً: خصص جزءاً من يومك) قبل الفجر، بعد العصر (للذكر فقط، دون أي مشغلات.
.2بصفتك رجل أعمال: اجعل في ميزانيتك الشهرية نصيباً لله) زكاة، صدقات، دعم للفقراء(، وأخرجه فوراً.
.3بصفتك أباً: علم أبناءك ألا تشغلهم الأموال والأولاد عن ذكر الله .كن قدوة في التوازن.
.4بصفتك داعية: كرر هذه الآيات في محاضراتك، وارسم للناس صورة المشهد الأخير، ليتعظوا.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

أولا ً: المهارات الحياتية

.1مهارة "إدارة الأولويات: القدرة على التمييز بين ما يجب فعله أولا ً) ذكر الله، الصلاة (وما يمكن تأجيله من أعمال الدنيا.
.2مهارة "التسويف ومحاربته" : القدرة على أداء الواجبات والطاعات فوراً، دون تأخير بحجة الانشغال.
.3مهارة "استحضار الموت" : القدرة على تذكر الموت يومياً ليكون حافزاً على العمل الصالح.
.4مهارة "الإنفاق في سبيل الله" : القدرة على البذل والعطاء، وإخراج جزء من المال لله، وكسر حب التملك.

ثانياً: المهارات المعرفية

.1مهارة "التمييز بين فتنة المال والولد ونعمتهما" : معرفة أن المال والولد قد يكونان نعمة إذا استعم لا في طاعة الله، وقد يكونان فتنة إذا ألها عن ذكره.
.2مهارة "تحليل النصوص التربوية" : فهم أن الآية تقدم أسلوباً تربوياً يجمع بين الترهيب) الخاسرون (والترغيب) الإنفاق (والواقع) صورة الموت.(
.3مهارة "تصور المشاهد الأخروية" : القدرة على تخيل مشهد الموت والندم، واستخدام هذا التصور لتعديل السلوك.

ثالثاً: المهارات العملية

.1مهارة "تنظيم الوقت للعبادة": وضع جدول يومي وأسبوعي يضمن أوقاتاً للصلاة، والذكر، وقراءة القرآن.
.2مهارة "الميزانية الإيمانية" : تخصيص نسبة ثابتة من الدخل للصدقات والتبرعات، وإخراجها في

بداية الشهر.
.3مهارة "كتابة الوصية والتجهيز للموت" : كتابة الوصية، والتجهيز للكفن، وزيارة القبور كتذكير عملي.

خامساً: الوقفات والتأملات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

للفهم العميق لهاتين الآيتين، علينا أن ننظر إليهما كـ "نظرية تربوية في بناء الذات وترتيب الأولويات" . الفهم العميق يتجاوز التفسير اللفظي إلى مستويات أعمق:

مستوى "الربط بين فتنة المال والمنافقين": ما فائدة أن تنجو من المنافقين إذا كنت أسيراً لمالك وولدك؟ الآيات تريد أن تبني شخصية المؤمن القوي الذي لا يقهر من الخارج ولا يخدع من الداخل.

مستوى "التوازن النفسي والروحي": ذكر الله يمنح الطمأنينة، والمال والولد قد يكونان مصدر قلق. من يجعل الأولوية لذكر الله، يجد سلاماً في قلبه.

مستوى "الاستباق بالموت": المؤمن الحقيقي هو من يعيش كما لو كان ميتاً غداً. هذا لا يعني التوقف عن العمل، بل يعني أن يكون مستعداً في أي لحظة.

مستوى "الندم علامة الخسران": الندم في الآخرة لا ينفع، أما الندم في الدنيا فهو توبة. فاغتنم ندمك الآن.

الأمر الثاني: كيف تغير الآية من نظرتك للحياة؟

هاتان الآيتان ليستا مجرد توجيه، بل هما "ثورة في مفهوم الأولويات ومعنى الخسارة" :

.1تغير نظرتك إلى "المال والولد" : لم يعودا غاية في حد ذاتها، بل وسيلة للتقرب إلى الله.
.2تغير نظرتك إلى "الذكر" : لم يعد ذكر الله مجرد عبادة، بل هو غذاء روحك، وهو الذي يحميك من الغفلة.
.3تغير نظرتك إلى "الخسارة" : لست خاسراً إذا خسرت مالك، ولكنك خاسر إذا خسرت ذكر الله.
.4تغير نظرتك إلى "التسويف" : ستعلم أن اليوم هو فرصتك الوحيدة، وأن الغد قد لا يأتي.
.5تغير نظرتك إلى "الموت" : لم يعد الموت عدواً يخيفك، بل أصبح حقيقة تستعد لها، وتتجاوز ندم المفرطين.

الأمر الثالث: وقفات تأملية من الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة "الامتحان اليومي" : كل يوم يمر عليك هو امتحان: هل ستلهيك أموالك وأولادك عن ذكر الله أم ستوازن؟ هذه الوقفة تجعلك تتذكر الآية في كل صباح.

الوقفة الثانية: وقفة "الصدقة قبل النوم" : قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اتقوا النار ولو بشق تمرة". اجعل من عادتك أن تتصدق كل يوم ولو بقليل، قبل أن يحين الأجل.

الوقفة الثالثة: وقفة "اللحظة الأخيرة" : تخيل نفسك في لحظة الاحتضار، ماذا تريد أن تقول؟ هل ستتمنى العودة لتفعل ما فات؟ هذه الوقفة تدمع لها العيون وتغير السلوك.

الوقفة الرابعة: وقفة "الخاسرون" : تأمل في من ربحوا الدنيا وخسروا الآخرة، هل سينفعهم مالهم أو أولادهم؟ هذه الوقفة تزكي النفس.

كيف تنقل هذه الوقفات إلى فريقك أو أسرتك؟

· اقرأ لهم الآية، ثم أغمضوا أعينكم وتخيلوا أنفسكم على فراش الموت.
· ناقشوا ما هو الشيء الذي تتمنون أن تفعلوه لو رجع بكم العمر؟
· ابدأوا معاً بمشروع صدقة أسبوعي.

الأمر الرابع: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

1.نتعلم أن "ذكر الله هو أولوية المؤمن": لا ينبغي أن يُزاحمه شيء.
2.نتعلم أن "الإنفاق يقي من الشح": وهو سبب للنجاة من عذاب القبر والنار.
3.نتعلم أن "التسويف في الطاعة من علامات النفاق": المنافق يؤجل، والمؤمن يبادر.
4.نتعلم أن "الموت لا يعرف كبيراً ولا صغيراً": فاستعد له الآن.
5.نتعلم أن "ندم الآخرة لا ينفع": فليكن ندمك الآن توبة.

سادساً: أبعاد وآفاق ومفاهيم وقيم الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

إن هاتين الآيتين ليستا مجرد وصية، بل هما نافذة على أبعاد متعددة:

البعد النفسي (علاج التعلق بالدنيا): الآية تعالج التعلق المفرط بالمال والأولاد، وتذكر الإنسان بأولويته الحقيقية.

البعد الاجتماعي (الأسرة المسلمة المتوازنة): الأسرة التي تذكر الله ولا تشغلها الأموال والأولاد هي أسرة قوية متماسكة.

البعد الاقتصادي (الإنفاق كعلاج للبخل): الآية تحث على الإنفاق كتطبيق عملي لعلاج حب المال.

البعد الأخروي (الاستعداد للموت): الآية تربط بين العمل في الدنيا والحساب في الآخرة.

البعد الختامي (خلاصة السورة): ختام السورة بهذا التوجيه والتحذير ليبقى في أذهان المؤمنين أن الدنيا فانية، وأن الخطر الحقيقي هو الغفلة عنها.

الأمر الثاني: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

لتحويل هاتين الآيتين إلى مفاهيم عملية (مفاهيم عملية) نعيشها في واقعنا، يمكننا استخلاص أربعة مفاهيم جوهرية:

1.مفهوم "الأولوية لله: أن تكون طاعة الله وذكره هي الأولوية القصوى في حياتك.
2.مفهوم "لا تسويف": ألا تؤجل عمل الخير مهما كان عمرك أو ظروفك.
3.مفهوم "الخسارة الحقيقية"(: أن تعرف أن خسارة الدين والآخرة هي الخسارة الكبرى.
4.مفهوم "الاستعداد للموت"(: أن تعيش كل يوم وكأنه آخر أيامك.

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية

1.مفهوم "الغفلة المزمنة" : الإلهاء بالأموال والأولاد عن ذكر الله يخلق حالة من الغفلة المزمنة التي تحتاج إلى علاج.
2.مفهموم "الندم الموقوت: الندم في الدنيا توبة، وفي الآخرة خسارة.
3.مفهموم "ضبط الاندفاع نحو المادة" : الآية تساعد في كبت الشهوة نحو جمع المال والتكاثر فيه.

المفاهيم الفكرية

1.مفهوم "التوازن بين الروح والمادة" : الإسلام لا يرفض المال والولد، لكنه يضبط العلاقة بينهما وبين العبادة.
2.مفهموم "نقد النظرة المادية للحياة" : من يعتقد أن السعادة في كثرة المال والولد هو في وهم.
3.مفهموم "الموت كحقيقة يقينية" : هذا المفهوم يُخرج الإنسان من غفلته.

المفاهيم التربوية

.1مفهوم "التربية بالترهيب والترغيب": الآية جمعت بين الخوف من الله والرجاء في رحمته.
.2مفهموم "التربية على المسؤولية": الإنسان مسؤول عن أمواله وأولاده، ومسؤول أيضاً عن ذكره لله.
.3مفهموم "التربية على عدم التسويف": تعليم الأبناء أن الوقت لا ينتظر.

الأمر الرابع: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

.1مفهوم "بناء الفرد على ذكر الله": أساس بناء الشخصية المسلمة هو ذكر الله.
.2مفهوم "التنمية الاقتصادية مع ضبط الشهوة": ينبغي أن يكون السعي للرزق مع ضبط النفس حتى لا يلهي.
.3مفهوم "استدامة الطاعة بالإنفاق": الإنفاق يرسخ الإيمان ويجدد النية.
.4مفهوم "بناء المجتمع على التكافل" :الإنفاق في سبيل الله يقوي المجتمع ويمنع الفقر.

الأمر الخامس: دور الآية ومفاهيمها في صناعة الشخصية المسلمة والأسرة المسلمة والمجتمع و الحضارة والنهضة في الحياة

صناعة الشخصية المسلمة (بناء الفرد): الآية تصنع شخصية "المؤمن الذاكر". شخصية تعرف كيف توازن بين الدنيا والآخرة، وبين جمع المال والإنفاق، وبين رعاية الأولاد وطاعة الله. هي شخصية لا تسوّف في الخير، وتستعد للموت في أي لحظة. هي شخصية تعرف أن الخسارة الحقيقية ليست في فقدان المال، بل في فقدان ذكر الله. هذه الشخصية هي التي تقود الأمة.

صناعة الأسرة المسلمة (بناء الخلية): الأسرة التي تختم سورة المنافقون بهاتين الآيتين هي أسرة "الذكر والإنفاق". الأبوان لا يلهون الأبناء عن الصلاة بتراكم الواجبات. الأسرة تجعل من الميزانية المنزلية جزءاً للصدقات. الأبناء يتربون على ألا تؤجل عمل الخير. هذه الأسرة تنتج أفراداً لا تغشيهم الغفلة، ولا يسوفون في الطاعة.

صناعة المجتمع المسلم (بناء البنية): المجتمع الذي يختم بهاتين الآيتين هو مجتمع "واعٍ ومستعد". أفراده لا تشغلهم تجارتهم وأولادهم عن صلاة الجماعة. مؤسساته تشجع على التبرع والإنفاق. خطباؤه يذكرون بالموت والاستعداد له. هذا المجتمع ينتظر الآخرة، فيقوى في الدنيا.

صناعة الحضارة الإسلامية (بناء النموذج): الحضارة التي تنطلق من هاتين الآيتين هي حضارة "الا ستعداد للموت". هي حضارة لا تنسى الآخرة في انشغالها بالدنيا. أبناؤها يبنون ويعمرون، لكن قلوبهم معلقة بالله. اقتصادها قائم على الإنفاق والزكاة، وليس على الكنز والادخار. هذه الحضارة هي التي ستقود العالم لأنها تملك مفتاح السعادة الحقيقية: ذكر الله، والاستعداد للموت.

النهضة الحقيقية تبدأ عندما تتعلم الأمة أن لا تلهيها أموالها وأولادها عن ذكر الله، وعندما تتصدق مما رزقها الله قبل أن يأتي الموت، وعندما تكون من الصالحين في الدنيا لتفوز في الآخرة.

ختاماً: كيف نعمق أثر الآية في حياتنا العملية؟

بعد هذه الرحلة الطويلة في رحاب خاتمة سورة المنافقون، يبقى السؤال: كيف نجعل هاتين الآيتين حيتين في تفاصيل يومنا، لا مجرد كلمات نتلوها؟

أولاً: في الصباح: ابدأ يومك بقراءة الآيتين. قل لنفسك: "أموالي وأولادي لا تلهيني عن ذكر الله. سأحدد اليوم وقتاً للصلاة والذكر، ولن أؤجله". ابدأ يومك بهذه النية.

ثانياً: في العمل (أو الدراسة): إذا شعرت أنك منهمك في العمل لدرجة أنك تنسى الصلاة، فتذكر الآية. اترك العمل واذهب إلى الصلاة. لا تقل سأصلي بعد قليل.

ثالثاً: في البيت: لا تنس أن تصدق. اجعل في بيتكم "صدقة يومية" ولو قليلة. اجعل أطفالك يشاركون فيها. وعلمهم أن الموت لا ينتظر.

رابعاً: في الخلوة: تخيل نفسك على فراش الموت. ماذا تتمنى لو رجعت؟ ستصلي أكثر، وتتصدق أكثر،

وتستغفر أكثر. فافعل ذلك الآن.

خامساً: في كل لحظة: استحضر أن الموت قد يأتي في أي ثانية. اجعل من هذه الاستحضار دافعاً للطاعة، وباعثاً على ترك التسويف. وكن من الصالحين في الدنيا، تكن من الفائزين في الآخرة.

اجعل هاتين الآيتين الختاميتين دستور موازنتك بين الدنيا والآخرة، ومنهج مكافحتك للتسويف، وبوصلة استعدادك للموت. عندها فقط، ستتحول الكلمات إلى نبض، والتلاوة إلى واقع، وستكون من الذين أنفقوا وذكروا ففازوا، وليس من الذين ألهتهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله فكانوا من الخاسرين.
ثامنا واخيرا

تفسير الآية الحادية عشرة والأخيرة من سورة المنافقون

وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نفسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تعْمَلُونَ

أولا ً: المدخل التأسيسي للآية

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية

دعني آخذك في رحلة إلى نهاية مشهد السورة، حيث يسدل الستار على أخطر صور النفاق، ويُسدل معه كل أمل كاذب عند المنافقين في التأجيل والتمديد. بعد أن حذر الله المؤمنين في الآيتين السابقتين من فتنة المال والأولاد، وأمرهم بالإنفاق في سبيل الله قبل أن يفاجئهم الموت، ها هو الآن يختم السورة بخاتمة قاسية وحاسمة، تزلزل كيان كل من يؤجل التوبة والعمل الصالح.

تأمل هذا الإعلان الإلهي الختامي: "وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نفسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا" . إن الله لن يمنح أي نفس مهلة إضافية واحدة إذا حان وقتها المحدد للموت. لا استثناءات، ولا محاباة، ولا رجاء في تأخير. الأ جل إذا جاء فلا يؤخر، ولا يقدم، ولا يعترضه شيء. هذه هي حقيقة الموت التي يغفل عنها كثير من الناس، خاصة المنافقين الذين ظنوا أنهم سيؤجلون عقاب الله بحيلهم وخداعهم.

ثم تأتي الخاتمة التي توضح سبب هذا الحكم القاطع: "وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تعْمَلُونَ" . الله خبير، أي عليم بما تخفون وتعلنون، بما تعملون في السر والعلن، بما قدمتم وما أخرتم. ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم. فهو يعلم أن المنافقين يستحقون العقاب، وهو يعلم أن المؤمنين يستحقون الثواب. وهو خبير بهم، فلا يخفى عليه كيدهم ولا خداعهم.

هذه الآية هي "إغلاق الأبواب، وخاتمة السورة المأساوية" . إنها تعلن أن حياة المنافقين والغافلين كلها كانت خداعاً وتسويفاً، وأن الآجل قد حان، وأن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها. إنها تحذير لكل من يؤجل التوبة، وكل من يظن أنه سيستمر في لهوه وغفلته، وكل من قال "سأتوب غداً" أو "سأتصدق بعد حين". الأجل لا ينتظر، والتأجيل لن يحدث.

هذه الآية الخاتمة تجمع بين أمرين: القضاء المحتوم (عدم تأخير الأجل)، والعدل المطلق (الله خبير بما تعملون). وهي تلخص درس السورة كله: الموت قادم، والله يعلم أعمالكم، فلا تؤجلوا الاستعداد للقائه.

الأمر الثاني: علاقة هذه الآية بما قبلها (الآيات 9-10 من سورة المنافقون)

العلاقة بين هذه الآية الخاتمة (11) وما قبلها (9-10) هي علاقة "الجزاء والنتيجة" و "تأكيد الحتمية" و "سد كل منفذ للهروب" .

في الآيتين 9-10، كان الأمر:

· النهي عن إلهاء المال والأولاد عن ذكر الله.
· التحذير من أن من يفعل ذلك فهو خاسر.
· الأمر بالإنفاق مما رزقنا الله قبل الموت.
· تصوير مشهد الندم عند الموت حيث يتمنى الإنسان العودة ليتصدق ويعمل صالحاً.

ثم تأتي هذه الآية الختامية (11) لتقطع كل رجاء في تحقيق هذه الأمنية. فكل من لم يبادر إلى الطاعة والإنفاق في الدنيا، وانتظر حتى فاجأه الموت، فلن يُؤخر له أبداً. هذه الآية تغلق الباب الذي ظن المفرطون أنه قد يفتح لهم في اللحظات الأخيرة.

العلاقة تفصيلا ً:

.1من "لولا أخرتني إلى أجل قريب") تمني التأجيل (إلى "ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها") رفض التأجيل(: الآية العاشرة صورت تمني المنافقين والغافلين التأجيل عند الموت .وهذه الآية ترد عليهم: لن يحدث هذا أبداً .الأجل إذا جاء لا يؤخر.
.2من "أنفقوا من قبل أن يأتي أحدكم الموت") الأمر بالاستباق (إلى "لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها") التأكيد على أن الوقت محدود(: الآية العاشرة أمرت بالمسارعة .وهذه الآية تؤكد أن الوقت لن يُمَدّ لأحد .فمن أضاع الفرصة فلن تعود.
.3من "فأكون من الصالحين") تمني الصلاح (إلى "والله خبير بما تعملون") شهادة الله على الأعمال(: الإ نسان قد يتمنى في لحظاته الأخيرة أن يكون من الصالحين، لكن الله خبير بما كان يعمله في حياته . شهادته هي الفيصل.
.4خاتمة السورة: بين جهل المنافقين وعلم الله: السورة كلها كانت عن جهل المنافقين وكذبهم وخداعهم .وهذه الآية تعلن أن الله خبير بما يعملون، فلا يخفى عليه كيدهم، وسيجزيهم عليه.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

هذه الآية الخاتمة تحمل بين طياتها أفكاراً محورية أربعة:

.1حتمية الأجل وعدم التأجيل) القضاء المطلق(: أن الأجل لكل نفس مقدر ومكتوب .وإذا حان الأجل، فلا يمكن تأخيره أبداً، ولو طلب العبد ذلك بأي وسيلة .هذه حقيقة كونية قاطعة.
.2نفي أي رجاء في المهلة بعد الموت) لا ترجيع ولا استدراك(: ما يتمناه الإنسان عند موته من رجعة إلى الدنيا ليعمل صالحاً، هو حلم لن يتحقق .الأوان قد فات، والوقت انقضى.
.3سبب عدم التأجيل: الأجل مقدر بتقدير الله وحكمته) ليس عبثاً(: الله لم يضع آجالا ً عبثاً، بل بتقدير حكيم .فلا يؤخر نفساً بعد مجيء أجلها، لأنه هو الذي قدره بعلمه وحكمته.
.4خبرية الله المطلقة بالأعمال) شهادة الخالق على المخلوق(: الله خبير، أي عليم ببواطن الأمور .يعلم أعمال المنافقين والمؤمنين، وسيجزيهم عليها .هذا هو مبرر الحساب والجزاء.

الأمر الرابع: أهداف الآية ومقاصدها وأغراضها (دلالة الاختتام)

ما الذي يريده الله منا من خلال ختم سورة المنافقون بهذه الآية؟ إنها ليست مجرد إخبار عن حقيقة الموت، بل هي "خاتمة قاسية وحاسمة" تضع النقاط على الحروف. أراد الله أن:

· يؤكد أن الأجل إذا حان لا يؤخر، فلا مجال للترجي أو التسويف: لا تأمل في أن يمد الله في عمرك بعد أن يكتب عليك الموت. فاغتنم كل لحظة الآن.
· يرد على أمنية المنافقين والغافلين بالتأجيل: فقد تمنوا لو أخرهم الله إلى أجل قريب. والله يقول: لن يحدث.
· يبرر حكمه بعدم تأجيل الأجل: لأنه خبير بأعمالهم، وهم لا يستحقون التأجيل: هو خبير يعلم أنهم لو رجعوا لعادوا لما نهوا عنه، فلا خير في تأخيرهم.
· يختم السورة بالتذكير بحتمية الموت وعلم الله المحيط: فالسورة بدأت بفضح المنافقين، وانتهت ببيان أن الموت آتٍ، والله خبير بما يعملون. وهذا يجمع بين الوعيد والتحذير.
· يجعل المؤمن يعيش في حالة من الاستعداد الدائم: عِلمُه بأن الأجل لا يؤخر يدفعه إلى المسارعة إلى الطاعات، وترك التسويف.

ثانياً: تحليل الآية (رحلة في أعماق النص)

المحور الأول: تحليل (وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نفسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا)

1/ دلالة "وَلَن") النفي المؤكد(

"لن" حرف نفي يفيد النفي المؤكد في المستقبل. أي أنه لن يحدث أبداً في أي زمان أن يؤخر الله نفساً. هذا النفي المطلق يقطع كل أمل، ويغلق كل باب للتمني. "لن" أقوى من "لا"، لأنها تنفي وقوع الفعل في المستقبل نهائياً.

2/ دلالة "يُؤَخِّرَ") الفعل المضارع المنفي(

"يؤخر" مضارع منصوب بـ "لن"، ويفيد أن التأجيل هو المطلوب ألا يحدث. أي أن الله لا يمنح أي نفس فترة إضافية بعد مجيء الأجل. والتأجيل هو تأخير لحظة الموت. وهذا ينفي ما كان يتمناه الغافلون: "لولا أخرتني".

3/ دلالة "نَفْسًا") النكرة في سياق النفي(

"نفساً" نكرة في سياق النفي، تفيد العموم والشمول. أي لا نفس من النفوس، سواء كانت مؤمنة أو كافرة، صالحة أو فاجرة، نبياً أو عادياً، كلها تحت هذا الحكم. لا استثناء لأحد.

4/ دلالة "إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا"

· "إذا" : ظرف شرطي يفيد التحقيق والوقوع. أي أن الأجل آتٍ لا محالة.
· "جاء أجلها" : الأجل هو الوقت المحدد للموت. مجيئه يعني حلوله واقترابه. والآية تجزم بأنه إذا جاء ، فلا تأخير.
· إضافة الأجل إلى النفس (أجلها) : لكل نفس أجلها الخاص، لا يتقدم ولا يتأخر. فليس هناك أجل عام واحد، بل لكل إنسان وقته المحدد.

5/ ما هو مفهوم "الأجل" في القرآن؟

الأجل هو الوقت المحدد الذي يكتب الله فيه موت العبد. وهو قدر محتوم، لا يمكن التغيير فيه. قال تعالى: "فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ". هذه الآية تؤكد نفس المعنى.

6/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: إزالة وهم "التأجيل" من النفس .كثير من الناس يؤجلون التوبة بحجة أن الوقت طويل، أو سأتوب بعد أن أكبر .هذه الآية تحطم هذا الوهم.
.2الرسالة التربوية: تربية الناشئة على اغتنام اللحظة .يجب أن نعلم أبناءنا أن لا يؤجلوا فعل الخير، وأن الموت لا ينتظر.
.3الرسالة الفكرية: الرد على من يؤمن بالتناسخ أو الرجعة .الآية تؤكد أن الموت مرة واحدة، ولا عودة بعد الأجل.
.4الرسالة العملية: اغتنام كل يوم كأنه الأخير .خطط ليومك، واجعل فيه عبادة وعملا ً صالحاً، ولا تؤجل.

المحور الثاني: تحليل (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)

1/ دلالة "خَبِيرٌ") صفة المبالغة(

· "خبير" : اسم فاعل من الخبرة، وهو صيغة مبالغة، تفيد أنه سبحانه بالغ العلم، عليم ببواطن الأمور وخباياها. ليس فقط عالماً، بل خبيراً يصل علمه إلى أدق التفاصيل.
· الفرق بين "عليم" و "خبير" : "عليم" قد يعني العلم بالشيء إجمالا ً، أما "خبير" فيفيد العلم بدقائق الأشياء وأسرارها. وهو أبلغ وأعمق.

2/ دلالة "بِمَا تَعْمَلُونَ"

· "ما" : موصولة تفيد العموم، تشمل كل الأعمال، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها.
· "تَعْمَلُونَ" : فعل مضارع يدل على التجدد والاستمرار. أي يعلم أعمالكم في كل لحظة، لا يغفل عنها.

3/ علاقة هذه الجملة بما سبق

· سبب عدم التأجيل : لأن الله خبير بأعمالهم. وهو يعلم أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. فلا فائدة من تأخيرهم.
· شهادة على الأعمال : وهذه الشهادة هي الأساس في الجزاء يوم القيامة. فالخبير هو الذي يشهد على خلقه.
· تطمين للمؤمنين : والله خبير بما يعمل المنافقون من كيد، وسيجزيهم عليه.

4/ الرسائل النفسية، التربوية، الفكرية، والعملية

.1الرسالة النفسية: استحضار علم الله يمنع الذنب .إذا تيقنت أن الله خبير بما تعمله، ستخاف منه، وترتدع عن المعصية.
.2الرسالة التربوية: تربية الأبناء على مراقبة الله .علمهم أن الله خبير بهم، حتى يستحيوا منه في السر والعلن.
.3الرسالة الفكرية: الرد على من ينكر علم الله التفصيلي .الآية تثبت أن الله خبير، أي عالم بكل شيء ولو كان دقيقاً.
.4الرسالة العملية: إخلاص العمل لله .لأن الله خبير بنياتك وأعمالك.

ثالثاً: اللطائف واللمسات البيانية والبلاغية من الآية

إن من خلال تدبر البناء اللغوي والبياني لهذه الآية الخاتمة نجد ما يأسر القلب، ويظهر الإعجاز في كل حرف:

بدء الآية بـ "وَلَن" (الواو ثم لن النافية المؤكدة): الواو للعطف على ما سبق، و"لن" للتوكيد والنفي في المستقبل. هذا البداية القوية تقطع كل رجاء.

الفعل "يُؤَخِّرَ" منصوب بـ "لن" : التنوين والنصب يزيدان الإحساس بالقطع والجزم. لن يحدث أبداً، ولن يكون.

تنكير "نفسًا" في سياق النفي : يفيد العموم المطلق. لا نفس تفلت من هذا القانون.

"إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا" : الجملة الشرطية تحقق الوقوع. وكأن الأجل قد جاء فعلا ً. وهذا يزيد من يقينية الخبر.

حذف جواب الشرط لدلالة ما قبله عليه : تقديره "فلن يؤخر"، أو الجواب هو جواب القسم. والإيجاز يزيد قوة.

الاسم "خَبِيرٌ" (صيغة مبالغة) : هذا الاسم وحده كافٍ لبيان شمول علمه ودقته. لم يقل "عليم"، بل "خبير"، وهو أبلغ.

لفظ "خَبِيرٌ" مع التنوين : التنكير للتعظيم، أي هو خبير لا يحيط به وصف.

الفعل المضارع "تَعْمَلُونَ" : يدل على الاستمرار والتجدد. فهو يعلم عملك في الماضي والحاضر و المستقبل.

الفواصل القرآنية (النون والميم): ختمت الآية بـ "تَعْمَلُونَ"، وهي تتناغم مع فواصل السورة (يفقهون، يعلمون، الصالحين، تعملون). هذا التناغم يخلق إحساساً بالانسجام والختام.

خلاصة بلاغية: الآية تجمع بين نفي مؤكد بـ "لن"، ونكرة في سياق نفي (نفساً)، وشرط محقق (إذا جاء أجلها)، ووصف الله بـ "خبير" صيغة مبالغة، وفعل مضارع دال على الاستمرار. إنها خاتمة قوية، تقطع كل أمل في التأجيل، وتذكر الإنسان بعلم الله المحيط.

دلالة الاختتام بهذه الآية: اختتمت السورة بهذه الآية لتكون كالصفعة الأخيرة لمن كان يظن أنه سينجو بتسويفه، أو أن الأجل سيتأخر لأجله. هي تعلن أن قانون الله في الآجال لا يتغير، وأن الموت قادم لا محالة، وأن الله خبير بكل أعمالنا. فمن كان منافقاً فسيجازيه الله، ومن كان مؤمناً فليستعد بـ

الموت.

رابعاً: الدروس والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها هذه الآية

تعالج هذه الآية الخاتمة قضايا وجودية ومصيرية:

· وهم "التأجيل" و "الرجعة" : ظن بعض الناس أنهم إذا فاتهم الخير، يمكنهم العودة لاستدراكه. الآية ترد هذا الوهم.
· التسويف في التوبة والعمل الصالح : مشكلة تأخير التوبة إلى الشيخوخة، أو إلى وقت لاحق. الآية تحذر من هذا.
· الغفلة عن حتمية الموت : كثير من الناس يعيشون كأنهم خالدون، فلا يستعدون للموت.
· التعلق بالدنيا والانشغال بها عن الآخرة : الآية تذكر بأن الأجل آتٍ، فلا تغتر بالدنيا.
· حاجة الإنسان إلى اليقين بعلم الله : هذا اليقين يردع عن المعصية، ويحفز على الطاعة.

الأمر الثاني: ماذا يريد الله منا من خلال هذه الآية، وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

أولا ً: ماذا يريد الله منا؟ (المراد الإلهي)

.1ألا نعتمد على التسويف في التوبة والعمل الصالح: لا نؤجل التوبة إلى آخر العمر، لأن الأجل لا يؤخر.
.2أن نستعد للموت في كل لحظة: نعيش وقلوبنا معلقة بالآخرة، ونعمل لما بعد الموت.
.3أن نتيقن بأن الله خبير بأعمالنا: فلا نستهين بأي ذنب، ونخلص النية في كل عمل.
.4ألا نتمنى الرجعة كما تمنى الغافلون: لأن الله لن يؤخر نفساً إذا جاء أجلها.
.5أن تكون هذه الآية نصب أعيننا: نتذكرها كلما هممنا بتأجيل عمل صالح.

ثانياً: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟ (التطبيق العملي)

.1دعوة إلى "عدم التسويف" : إذا أردت أن تتوب فتب الآن .إذا أردت أن تتصدق فتصدق الآن .لا تقل "غداً".
.2دعوة إلى "الاستعداد للموت" : اكتب وصيتك، وأصلح ما بينك وبين الله، وتب من كل ذنب.
.3دعوة إلى "مراقبة الله" : استحضر أن الله خبير بما تعمل، فاستحي منه في السر والعلن.
.4دعوة إلى "تعجيل الطاعات" : لا تؤخر صلاة عن وقتها، ولا تؤخر صدقة عن يومها.
.5دعوة إلى "اليقين بحتمية الموت" : ليكن هذا اليقين دافعاً لك للاستعداد.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية الكريمة قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

لتحويل هذه الآية الخاتمة من "نص متلو" إلى "واقع ملموس"، اتبع هذه المنهجية المكونة من أربع مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة "الاستحضار الواعي" (قبل البدء): قبل أن تقرأ الآية، استحضر أن الله يخبرك بحقيقة لا تقبل الجدل: الأجل إذا جاء لا يؤخر، وهو خبير بأعمالك. اسأل نفسك: هل أنت مستعد لهذه اللحظة؟ هذا الاستحضار يحول التلاوة إلى محاسبة جادة.

المرحلة الثانية: مرحلة "التفكيك التحليلي" (فهم الموقف): حلل حياتك على ضوء هذه الآية:

· هل تؤجل التوبة؟ ما هو الذنب الذي تصر عليه وتقول سأتوب غداً؟
· هل تؤجل الصدقة؟ هل تقول سأتصدق عندما أغتني؟
· هل تستحضر أن الله خبير بأعمالك؟ أم تغفل عن هذا؟

المرحلة الثالثة: مرحلة "التفعيل العملي" (تحويل المفهوم إلى سلوك):

· فعّل التوبة الفورية: اذكر ذنباً واحداً تريد التوبة منه، وتب الآن. ولا تؤجل.
· فعّل الصدقة اليومية: اخرج صدقة اليوم، ولو بقليل.
· فعّل المراقبة: قبل أي عمل، تذكر أن الله خبير بما تعمل.

المرحلة الرابعة: مرحلة "الانعكاس التقويمي" (المراجعة): في نهاية كل يوم، اسأل نفسك:

· هل أخّرت توبة أو عملا ً صالحاً اليوم؟
· هل استحضرت أن الله خبير بما أعمل؟
· هل استعددت للموت؟

الأمر الرابع: ما الذي نستلهمه من الآية من دروس وعبر وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية؟

أولا ً: الدروس المستلهمة (الرؤية)

.1درس "لا تسويف": الوقت ليس بيدك، والأجل محتوم، فبادر.
.2درس "الموت لا يؤخر": لا تظن أن الدقائق الأخيرة ستمنح لك فرصة.
.3درس "الله خبير": لا تخفى عليه خافية، فاحذر أن يفضحك.
.4درس "اليقين بالآخرة": من أيقن بالموت استعد.
.5درس "خاتمة السورة": سورة المنافقون ختمت بموت المنافقين وحتمية الأجل، فاعتبر.

ثانياً: كيفية التطبيق في الحياة العملية (التنفيذ)

.1بصفتك مسلماً: اجعل شعارك "الآن لا غداً" .إذا أذنبت فتب الآن .إذا تذكرت حقاً فادفعه الآن.
.2بصفتك رب أسرة: علّم أبناءك أن الموت لا ينتظر، فلا يؤجلوا صلاة أو براً.
.3بصفتك داعية: اقرأ هذه الآية في خطبك، وردد: "لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها" .هذه الكلمة تزلزل القلوب.
.4بصفتك مريضاً أو كبيراً: لا تنتظر الشفاء لتفعل الخير .افعل ما تستطيع الآن.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

أولا ً: المهارات الحياتية

.1مهارة "عدم التسويف": القدرة على أداء الأعمال فوراً، خاصة أعمال الخير، دون تأجيل.
.2مهارة "استحضار الموت": القدرة على تذكر الموت يومياً كحافز للعمل الصالح.
.3مهارة "مراقبة الذات"(: القدرة على استشعار اطلاع الله على أعمالك، مما يردع عن المعصية.
.4مهارة "اغتنام الفرصة" :القدرة على استغلال الوقت الحاضر قبل فواته.

ثانياً: المهارات المعرفية

.1مهارة "فهم مفهوم الأجل": إدراك أن أجل كل إنسان محتوم، لا يتقدم ولا يتأخر.
.2مهارة "التمييز بين علم الله وعلم البشر"(: إدراك أن الله خبير، أي عالم بدقائق الأمور، بخلاف البشر.
.3مهارة "تحليل خواتيم السور": فهم أن خاتمة سورة المنافقون تحمل خلاصتها وهدفها.

ثالثاً: المهارات العملية

.1مهارة "تسجيل الأعمال للاستعداد للموت": كتابة الأعمال الصالحة والوصية، وتجهيز الكفن، وزيارة القبور.
.2مهارة "المبادرة إلى الطاعات": ألا تؤخر صلاة عن وقتها، ولا تتصدق بعد فوات الحاجة.
.3مهارة "التذكير الدائم بحتمية الأجل": وضع تذكيرات في البيت والعمل عن الموت وعدم تأجيل الأ جل.

خامساً: الوقفات والتأملات

الأمر الأول: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

للفهم العميق لهذه الآية الخاتمة، علينا أن ننظر إليها كـ "القانون المطلق الذي لا يقبل الاستئناف" . الفهم العميق يتجاوز التفسير اللفظي إلى مستويات أعمق:

مستوى "قانون الأجل من سنن الله الثابتة": لا يتغير هذا القانون بتغير الزمان أو المكان. وهو من أعظم سنن الله في خلقه. من ينكر هذه السنة يعيش في وهم.

مستوى "الموت ليس نهاية، بل بداية للجزاء": القول بأن "لن يؤخر الله نفساً" يعني أن الموت هو لحظة الانتقال من دار العمل إلى دار الجزاء. فمن استعد فاز، ومن فرط خسر.

مستوى "خبرية الله لا تعني علمه فقط، بل إحاطته وخبرته": الله خبير بما تعملون، أي يعلم ما كان وما سيكون، وما يئول إليه الأمر. هذا يقطع الطريق على كل محاولة للتلاعب أو التبرير.

الأمر الثاني: كيف تغير الآية من نظرتك للحياة؟

هذه الآية الخاتمة ليست مجرد إخبار، بل هي "ثورة في إدارة الوقت وترتيب الأولويات" :

.1تغير نظرتك إلى "الوقت" : لم يعد الوقت ترفاً، بل أصبح سلعة ثمينة تنفد .لن تؤجل أي شيء بعد الآن.
.2تغير نظرتك إلى "التوبة" : لم تعد التوبة شيئاً يمكن تأجيله، بل أصبحت واجباً فورياً.
.3تغير نظرتك إلى "العمل الصالح" : أصبح كل عمل صالح فرصة قد لا تتكرر .فاغتنمها.
.4تغير نظرتك إلى "الموت" : لم يعد الموت حدثاً بعيداً، بل أصبح أمراً حاضراً .ستعيش كأنك تنتظره.
.5تغير نظرتك إلى "الله" : هو الخبير بما تعمل، فلا تخدعه .فتعامل معه بصدق.

الأمر الثالث: وقفات تأملية من الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة "غداً" : كم من الأمنيات أجلناها إلى "غداً" ولم يأتِ غداً. هذه الوقفة تجعلك تغتنم اليوم.

الوقفة الثانية: وقفة "لحظة الاحتضار" : تخيل نفسك وأنت تحتضر، وأنت تنظر إلى عمرك الذي ضيعته. ماذا سيكون شعورك؟ هذه الوقفة تدمع لها العيون.

الوقفة الثالثة: وقفة "الخبير" : تذكر أن الله خبير بك. يعلم ما في قلبك. فلا تحاول أن تخدعه.

الوقفة الرابعة: وقفة "خاتمة السورة" : بعد أن قرأت سورة المنافقون، ماذا بقي في قلبك؟ يجب أن يبقى خوف الموت، ورجاء رحمة الله. هذه الوقفة تضع السورة كلها في إطارها.

كيف تنقل هذه الوقفات إلى فريقك أو أسرتك؟

· خصص جلسة لتذكر الموت: اقرأ الآية، وتحدثوا عن تجاربكم مع من ماتوا فجأة.
· اكتب "لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها" وضعها في مكان ظاهر لتذكير يومي.

الأمر الرابع: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

.1نتعلم أن "التسويف مرض قاتل" : يؤجل الإنسان العمل الصالح، فيموت قبل أن يتوب.
.2نتعلم أن "الموت لا يحابي" : صغيراً كان أم كبيراً، غنياً أم فقيراً، إذا جاء أجله، فلا تأخير.
.3نتعلم أن "العبرة بالأعمال لا بالأماني" : لن ينفعك تمنيك عند الموت، بل ما قدمته من عمل.
.4نتعلم أن "الله خبير، فلا تخادعه" : أخلص له العمل، وتب إليه.
.5نتعلم أن "خاتمة السورة هي خلاصتها" : الوقوف بين يدي الموت وعلم الله المحيط هو ما يجب أن يبقى في الذاكرة.

سادساً: أبعاد وآفاق ومفاهيم وقيم الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

إن هذه الآية الخاتمة ليست مجرد جملة، بل هي نافذة على أبعاد متعددة:

البعد الوجودي (حقيقة الأجل): الآية تؤكد أن الوجود البشري محدود، وأن لكل إنسان أجلا ً محتوماً. هذا البعد يحرر الإنسان من وهم الخلود.

البعد النفسي (علاج التسويف): الآية تعالج مرض التسويف الذي يصيب كثيراً من الناس، بإزالة وهم "غداً" و "بعدين".

البعد التربوي (الاستعداد للموت): الآية تربي المؤمن على أن يعيش في حالة استعداد دائم، وأن يخطط لموته كما يخطط لحياته.

البعد العقدي (علم الله المحيط): الآية تؤكد صفة الخبرية لله، وهي من صفات الكمال.

البعد الختامي (خاتمة السورة): بهذه الآية، تسدل الستارة على كل حيل المنافقين، وتترك الأمة مع هذه الحقيقة: الموت قادم، والله خبير.

الأمر الثاني: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

لتحويل هذه الآية الخاتمة إلى مفاهيم عملية (مفاهيم عملية) نعيشها في واقعنا، يمكننا استخلاص أربعة مفاهيم جوهرية:

.1مفهوم "حتمية الأجل" :أن الموت حقيقة يقينية، وأن تأخيره غير ممكن تحت أي ظرف.
.2مفهوم "لا تسويف" : أن الوقت الحاضر هو كل ما نملك، فلا نؤجل عمل الخير.
.3مفهوم "الله الخبير"(: استحضار أن الله يعلم بواطن الأمور، مما يدفع إلى الإخلاص.
.4مفهوم "خاتمة السورة عبرة" : أن كل ما سبق في السورة من كشف للمنافقين كان تمهيداً لهذه الخاتمة: لا تأخير للأجل، والله خبير.

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية

.1مفهوم "الإنكار النفسي للموت" : كثير من الناس ينكرون حقيقة الموت أو يؤجلون التفكير فيه، والآ ية تكسر هذا الإنكار.
.2مفهوم "الندم المتأخر: الندم الذي لا ينفع، ويكون بعد فوات الأوان .الآية تمنع من الوصول إلى هذه المرحلة.
.3مفهوم "الاستعداد النفسي للموت" : هو حالة من الطمأنينة والرضا، تتحقق عندما تكون الأعمال ص الحة.

المفاهيم الفكرية

.1مفهوم "الساعة المحتومة" :أن لكل إنسان ساعة لا تتأخر ولا تتقدم.
.2مفهوم "علم الله التفصيلي" : إثبات أن الله لا يعلم فقط، بل هو خبير، أي عالم بدقائق الأشياء.
.3مفهموم "نهاية كل مدعي": كل من ادعى خلاف الحق سيواجه الموت وعلم الله.

المفاهيم التربوية

.1مفهوم "التربية على الاستباق" : تعليم الناشئة المبادرة إلى الخير، وعدم التأجيل.
.2مفهموم "التربية على مراقبة الذات" :تذكير النفس بعلم الله المحيط.
.3مفهموم "التربية على التخطيط للآخرة" : التعامل مع الدنيا كجسر إلى الآخرة، والتخطيط لذلك.

الأمر الرابع: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

.1مفهوم "بناء الأمة على الاستعداد للموت" : أمة تذكر الموت تكون أقوى، لأنها لا تخشى الفناء.
.2مفهوم "التنمية الأخلاقية بالمراقبة الإلهية" : المجتمع الذي يعلم أن الله خبير بأعماله يقل فساده.

.3مفهوم "استدامة العمل الصالح بيقين الأجل" : اليقين بأن الأجل محتوم يدفع للاستمرار في العمل الصالح.
.4مفهوم "بناء القيادة على الصدق لا على التسويف" : القائد الذي لا يسوّف ولا يؤجل هو قائد ناجح.

الأمر الخامس: دور الآية ومفاهيمها في صناعة الشخصية المسلمة والأسرة المسلمة والمجتمع و الحضارة والنهضة في الحياة (دلالة الاختتام)

صناعة الشخصية المسلمة (بناء الفرد): الآية الخاتمة تصنع شخصية "المؤمن المستعد للموت". شخصية لا تسوّف، ولا تؤجل التوبة، ولا تغتر بالدنيا. تعيش في حالة استعداد دائم، تعلم أن الأجل لا يؤخر، وأن الله خبير بها، فتراقبه وتتقي موته. هذه الشخصية هي أساس أي نهضة.

صناعة الأسرة المسلمة (بناء الخلية): الأسرة التي تختم بها سورة المنافقون هي أسرة "تذكر الموت". ا لأبوان يعلمان الأبناء أن الحياة قصيرة، فيبادرون إلى الصلاة والبر والصدقة. الأسرة لا تؤجل أعمال الخير أبداً، وتعتبر كل يوم فرصة قد لا تتكرر. هذه الأسرة تنتج أفراداً لا تسوّف في فعل الخير.

صناعة المجتمع المسلم (بناء البنية): المجتمع الذي يختم بها السورة هو مجتمع "الاستعداد واليقظة". أفراده لا يؤجلون التوبة. مؤسساته تشجع على المبادرة. قيادته لا تسوّف في حل المشكلات. هذا المجتمع مستعد للآخرة، فعمره الدنيا.

صناعة الحضارة الإسلامية (بناء النموذج): الحضارة التي تنطلق من هذه الآية هي حضارة "اغتنام الوقت". هي حضارة تعلم أن الوقت لا يعوض، والأجل لا يؤخر، فتعمل في الحاضر ولا تؤجل. أبناؤها يبادرون إلى الإنجاز، ولا ينتظرون الغد. هذه الحضارة هي التي ستقود العالم لأنها تنتج أبطالا ً في كل لحظة.

دلالة الاختتام بهذه الآية: ختمت سورة المنافقون بهذه الآية لتكون الإجابة النهائية لكل من حاول الخداع، وكل من سوف يطلب التأجيل. إنها تقول: انتهى الوقت، وانتهى النفاق، وانتهت الأعذار. ها هو الموت. ها هو الله الخبير. فمن كان منافقاً فسيجازى. ومن كان مؤمناً فليستعد. هذه هي الخاتمة التي تضع السورة كلها في سياقها الصحيح: الحياة قصيرة، فلا تغتروا بالدنيا، ولا تؤخروا التوبة، ف الله خبير بما تعملون.

ختاماً: كيف نعمق أثر الآية في حياتنا العملية؟

بعد هذه الرحلة الطويلة في رحاب خاتمة سورة المنافقون، يبقى السؤال: كيف نجعل هذه الآية حية في تفاصيل يومنا، لا مجرد كلمات نتلوها؟

أولا ً: في الصباح: ابدأ يومك بقراءة هذه الآية. قل لنفسك: "اليوم قد يكون يوم أجلي. لا أستطيع تأخيره. سأبادر إلى العمل الصالح، وسأتوب عن كل ذنب". ابدأ يومك بهذه النية.

ثانياً: في العمل (أو الدراسة): إذا أردت أن تؤجل صلاة، أو تكذب، أو تغش، أو تؤخر صدقة، فتذكر: "لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها". قد يكون هذا هو آخر يوم لك.

ثالثاً: في البيت: اكتب هذه الآية وعلقها في مكان ظاهر: "وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا". لتكن تذكيراً يومياً لك ولأسرتك بالموت.

رابعاً: في الخلوة: قف مع نفسك وقفة محاسبة. كم من الأعمال أخرتها؟ كم من التوبة سوفتها؟ كم من الموت غفلت عنه؟ تب الآن، ولا تؤجل.

خامساً: في كل لحظة: استحضر أن الموت قادم في أي ثانية، وأن الله خبير بما تعمل. لا تؤجل عمل الخير ثانية واحدة. كن من الصالحين الآن.

اجعل هذه الآية الخاتمة دستور عدم التسويف، ومنهج الاستعداد للموت، وبوصلة حياتك كلها. عندها فقط، ستتحول الكلمات إلى نبض، والتلاوة إلى واقع، وستكون من الذين لم يؤجلوا التوبة، ولم يغفلوا

عن الأجل، واجتمعوا بالله وهو خبير بهم راضٍ عنهم.